الصحيح من الأثر في

خطب المنبر



اسم الكتاب: الصحيح من الأثر في خطب المنبر جـ ٢

إعداد الشيخ : فيصل الحاشدي

رقم الإيداع: ٢٠١٩/٢٠٠٥ .

نوع الطباعة: لون واحد .

عدد الصفحات: ٣٢٠ .

القياس: ١٧×٢٤ .

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف أ/ يسري حسن.

٢٠١٩

الجزء الثاني

الإدارة

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات

دار القمة لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail

dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة

مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

الصحيح من الأثر في

خطب المنبر

الجزء الثاني

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه






بسم الله الرحمن الرحيم



الحَمْدُ لله رَبِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرْسلين.

أَمَّـا بَعدُ، فهذِهِ المجموعةُ الثانيةُ مِنْ كتابي: «**الصَّحيحُ مِنَ الأَثَرِ في خُطَبِ المِنْبَرِ**».

جاءتْ تلبيةً لرَغْبَةِ بَعْضِ زُمَلائي طلبةِ العِلْمِ، فإنَّهم أَحْدَقوا بي مِنْ كُلِّ جانبٍ، فما وَسِعَني إلَّا أن أحفظَ العِلْمَ ببَذْلِهِ، ولا أَضِنَّ بِهِ على أَهْلِهِ.

وقدْ راعيتُ فيه السُّهولةَ واليُسْرَ، فَمِنَ السَّهْلِ سَرْدُ الأَدِلَّةِ في الموضوعِ الواحِدِ، وأَصْعَبُ مِنْ ذلك اختيارُ الأَدِلَّةِ الَّتي تَقْرَعُ سَمْعَ السَّامعِ وقَلْبَهُ، حتَّى يَصِلَ مَعَها إلى درجةٍ مِنَ الإقناعِ والإفهامِ.

ومِنْ طَرِيفِ ما يُذْكَرُ: أنَّ الخَلِيلَ بْنَ أحمدَ رحمه الله سُئِلَ عَنْ مسألةٍ، فأَطْرَقَ[1] مَلِيًّا[2]، فتعجَّب السائلُ، وقال له: «إنَّ هذِهِ المسألةَ لا تحتاجُ لكُلِّ هذا!».

فقال الخَلِيلُ: «قَدْ عَلِمْتُ مسألتَك، وعلمتُ جوابَها، ولكنِّي أُفَكِّرُ في جَوابٍ أَسْرَعَ لفَهْمِكَ، فأَعْياني ذلك».

وهذِهِ قَضيَّةُ عَيْنٍ حَصَلَتْ لشَخْصٍ قَدْ عُلِمَ حالُهُ، فكيف إذا اجْتَمَعَتْ طَبَقاتُ النَّاسِ على اختلافِ مَشَارِبِهِمْ في صَعِيدٍ واحِدٍ؟!، لا شَكَّ أنَّ ذلك يَسْتدعي ارسالَ

(1) أطرق: سكت.

(2) مَلِياً: وقتاً طويلاً.

نواظِرِ البَحْثِ في حُسْنِ العَرْضِ؛ فَرُبَّ بليغٍ غَيْرُ مُبلغٍ، وكَلَامٍ يَعُودُ كَلْمًا[1]. وقَدِ اقتصرتُ على نُصُوصِ الوَحْيَيْنِ؛ فإنَّهما الغَيْثُ المُبارَكُ، واسْتَأْنَسْتُ بكلامِ الأكابرِ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالدِّينِ: كالصَّحابةِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ؛ فـ«البَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ»[2].

ولَمْ آتِ بجديدٍ غَيْرَ خُيُوطٍ أَعْقِدُ عليها تِلْكَ الدُّرَرَ، حتَّى غَدَتْ كعُقُودِ الجُمَانِ[3]، فتَقَبَّلْها بقَبُولٍ حَسَنٍ، «واغْفِرْ عَوْرَاءَ[4] الكَرِيمِ ادِّخَارَهُ»، وحَاشَاكَ أَنْ تَكُونَ كما قال **قَعْنَبُ بْنُ أُمِّ صاحبٍ:**

فإنْ رَأَوْا هَفْوَةً طـارُوا بهـا فَرَحًـا ... منيِّ، ومـا عَلِمُوا مِنْ صالحٍ دَفَنُوا

وإنْ لَمْ تَسْمَعْ تَغْرِيدَ العصافير، وهَدِيلَ الحَمَامِ، وخَرِيرَ المِيَاه ـ فبلاغةُ الكتابِ والسُّنَّةِ تَقْصُرُ عنها كُلُّ نهايةٍ، وما يَعْقِلُهَا إلَّا العالمون.

جَعَلَنا اللهُ مِنَ الَّذين يستمعون القَوْلَ، فيتبعون أَحْسَنَهُ.

وكتبه /

أبو عَبْدِ اللهِ

فَيْصَلُ بْنُ عبده قائد الحاشديُّ

---

(1) الكَلْم ـ بالفتح ـ : الجَرْح، والجَمْعُ كُلُومٌ وكِلَامٌ.

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه ابْنُ حبَّانَ (1912)، والحاكمُ (1/ 62) عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (1778).

(3) الـجُمَـان ـ بزِنَةِ الغُرابِ ـ : اللُّؤْلُؤ، الواحدةُ جُمَانةٌ.

(4) العَوْراءُ ـ بوَزْنِ الحَمْراءِ ـ : الكلمة القبيحة، وهي السَّقْطَةُ.

1 الشِّرْكُ الأَكْبَرُ وخَطَرُهُ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ - أيُّها النَّاسُ - حَدِيثي مَعَكُمُ اليَوْمَ عَنِ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ وخَطَرِهِ على الأُمَّةِ.

أَيُّها النَّاسُ، إنَّ التَّوحيدَ هُوَ أَوَّلُ واجبٍ على المُكَلَّفِ أَنْ يُؤَدِّيَهُ، والشِّرْكَ هُوَ أَوَّلُ واجبٍ أَنْ يجتنِبَهُ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ مُعَاذٍ رضي الله عنه قال: كُنْتُ رَدِيفَ[2] النَّبيِّ ﷺ على حِمَارٍ، فقال لي: «**يا مُعَاذُ، أَتَدْري ما حَقُّ اللهِ على العِبَادِ، وما حَقُّ العِبَادِ على اللهِ؟**».

---

(1) رواه البُخاريُّ (5967)، ومسلم (30).

(2) الرَّديف: الراكب خَلْفَ الرَّاكبِ بإذْنِهِ.

قُلْتُ: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «**حَقُّ الله على العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا بِهِ شيئًا، وحَقُّ العِبَادِ على الله أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ به شيئًا**».

قُلْتُ: يا رَسولَ الله، أفلا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قال: «**لا تُبَشِّرْهُمْ فيَتَّكِلُوا**».

أَيُّها النَّاسُ، دَلَّ الحديثُ على حَقِّ الله على العِبَادِ، وحَقِّ العِبَادِ على الله، وتِلْكَ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ حُقُوقٌ، فَهَلْ نَمُرُّ عليها مُرُورَ الكِرَامِ دُونَ معرفةٍ، ودُونَ عِلْمٍ؟، الجَوَابُ: لا.

لذا فلا بُدَّ مِنْ معرفةِ الشِّرْكِ؛ حتَّى لا نَقَعَ فيه.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ (الأنعام: 55).

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ حُذَيفةَ رضي الله عنه قال: «كان النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم عَنِ الخَيْرِ، وكنتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافةَ أَنْ يَدْرِكَني».

أَيُّها النَّاسُ، الشِّرْكُ هُوَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ، وأَكْبَرُ الكبائرِ، وما مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا والشِّرْكُ أَعْظَمُ مِنْهُ؛ **قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾** (لقمان: 13).

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[2] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يا رسولَ الله، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟.

قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا**[3] **وَهُوَ خَلَقَكَ**». قال: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟.

---

(1) رواه البخاريُّ (3606)، ومسلم (1847).

(2) رواه البخاريُّ (6861)، ومسلم (85).

(3) النِّدُّ ـ بالكَسْرِ ـ: المِثْلُ والنَّظِير، والجَمْعُ أَنْدادٌ.

قال: «**أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**».

قال: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟. قال: «**أَنْ تَزْنِيَ حَلِيلةَ جَارِكَ**».

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، فقال: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكبائرِ؟** ـ ثلاثًا ـ: **الإشراكُ بالله، وعُقُوقُ الوالدَيْنِ، وشهادةُ الزُّورِ** ـ أَوْ قَوْلُ الزُّورِ ـ ». وكان رَسُولُ الله ﷺ مُتَّكِئًا فجلس، فما زال يُكَرِّرُها، حتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

أيُّها النَّاسُ، هَلْ سَأَلَ أَحَدُنا نَفْسَهُ: لماذا كان الشِّرْكُ أكبرُ الكَبَائِرِ، وأعظمُ الذُّنُوبِ؟

فالجوابُ: لِأُمُورٍ، مِنْها:

أوَّلاً ـ أنَّ الشِّرْكَ تَشْبِيهٌ للمَخْلُوقِ بالخالقِ، فمَنْ أَشْرَكَ مَعَ اللهِ أَحَدًا، فَقَدْ شَبَّهَهُ باللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ، وهذا أعظمُ الظُّلْمِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ (البقرة: 165).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (البقرة: 22).

ثانيًا ـ أنَّ اللهَ حَرَّمَ الجنَّةَ على المُشْرِكِ، فمَأْوَاهُ النارُ خالدًا مُخَلَّدًا فيها، وبِئْسَ المَصِيرُ!.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ (المائدة: 72).

---

(1) رواه البخاريُّ (2654)، ومسلم (87).

وفي «صحيحِ مسلمٍ»[1] مِنْ حديثِ جابرٍ رضي الله عنه قال: أَتَى النَّبيَّ ﷺ رَجُلٌ، فقال: يا رسولَ الله، ما المُوجِبَتَانِ؟[2]. فقال: «**مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجنَّةَ، وَمَنْ ماتَ يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**».

ثالثًا ـ أَنَّ الشِّرْكَ يُحْبِطُ الأَعْمَالَ؛ قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾**﴾ (الزمر: 65).

وقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾**﴾ (الأنعام: 88).

رابعًا ـ أَنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ للمُشْرِكِ؛ قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ**﴾ (النساء: 48).

فالمُشْرِكُ إذا ماتَ على الشِّرْكِ ـ ولم يَتُبْ مِنْهُ ـ لا يَدْخُلُ في رحمةِ أَرْحَمِ الرَّاحمين، ولا تَنْفَعُهُ شفاعةُ الشَّافعين.

خامسًا ـ أنَّ المُشْرِكَ حَلَالُ الدَّمِ والمالِ؛ قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿**فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ**﴾ (التوبة: 5).

أَمَّا أَهْلُ الكتابِ فإنَّهُمْ يُدْعَوْنَ إلى الإسلام، فإنْ أَبَوْا أُخِذَتْ مِنْهُمُ الجِزْيَةُ، فإن أَبَوْا قُوتِلُوا.

وقَتْلُ المُشْرِكِ إنَّما هُوَ لوَلِيِّ أَمْرِ المُسلمين، ولَيْسَ لعُمُومِ النَّاسِ.

---

(1) رواه مسلم (93).

(2) المُوجبتان أَيْ: الخَصْلَةُ المُوجبة للجنَّةِ، والخَصْلَةُ المُوجِبَةُ للنَّارِ.

أَيُّها النَّاسُ، الشِّرْكُ الأَكْبَرُ يَنْقَسِمُ إلى أقسامٍ، منها:

أوَّلاً ـ شِرْكُ العِبَادَةِ :

وهو صَرْفُ شَيْءٍ مِنْ أَنْواعِ العِبَادةِ لغَيْرِ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : كالدُّعاءِ، والنَّذْرِ، والذَّبْحِ، والخَوْفِ، والرَّجاءِ، والتَّوكُّلِ، والرَّغْبَةِ، والرَّهْبةِ، والإنابةِ، والاستغاثةِ، والصَّلاةِ، والصِّيامِ، ونَحْوِها، فَمَنْ صَرَفَ شيئًا مِنْ ذلك لغَيْرِ الله، وتقرَّبَ به لغَيْرِهِ ـ فَقَدْ أَشرك، مِثْل: مَنْ يَنْذِرُ لوَلِيٍّ مِنَ الأولياءِ، أو يَذْبَحُ له، أو يتوكَّلُ عليه، أو يَطُوفُ بقَبْرِهِ تقرُّبًا للميِّت، أو يستغيثُ به، فيقولُ: يا سَيِّدي، أَغِثْني، أو اشفِ مريضي، أَوْ أرجُوكَ الوَلَدَ أوِ الزَّوْجَ أَوْ طُولَ العُمُرِ، فهذا ـ وَنَحْوُهُ ـ كُلُّهُ شِرْكٌ، صاحِبُهُ مُشْرِكٌ كافرٌ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ (فاطر: 13 ، 14).

ثانيًا ـ شِرْكُ المَحَبَّةِ :

وهُوَ أَنْ يَتَّخِذَ أَنْدادًا مِنْ دُونِ الله يُحِبُّهُمْ كحُبِّ الله، وما وَقَعَ المُشْرِكُون في الشِّرْكِ إلَّا أنَّهم أَحَبُّوا هذِهِ الأَصنامَ والأولياءَ كحُبِّ الله.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (البقرة: 165).

ثالثًا ـ شِرْكُ الهَوَى :

وهُوَ أَنْ يَقدِّمَ هَوَاهُ على طاعةِ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ ، فإنْ كان هَوَاهُ في الشِّرْكِ كان مُشْرِكًا.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ (القصص: 50).

وقَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (الفرقان: 43).

رابعًا ـ شِرْكُ الطَّاعةِ:

وذلك أنْ يُطيعَ إنسانًا في تَحْلِيلِ ما حرَّم اللهُ، أو تَحْريمِ ما أَحَلَّ اللهُ، فإذا فعل ذلك، فقد جعله ربًّا مِنْ دُونِ الله؛ لأنَّ التَّحْليلَ والتَّحْريمَ حَقٌّ لله ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ.

ففي «سُنَنِ التِّرْمِذيِّ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح التِّرْمذيِّ»[1] مِنْ حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حاتمٍ رضي الله عنه قال: أَتَيْتَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم وفي عُنُقي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فقال: «**يا عَدِيُّ، اطْرَحْ عَنْكَ هذا الوَثَنَ**». وسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ في سُورةِ بَراءةَ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة: 31).

قال: «**أَمَ إنَّهُمْ لَمْ يَكُونوا يَعْبُدُونَهُمْ، ولكنَّهم كانوا إذا أَحَلُّوا لهم شيئًا اسْتَحَلُّوهُ، وإذا حرَّموا عليهمْ شيئًا حرَّموه**».

فَمِنْ هذا يتَّضِحُ أنَّ مَنْ أطاع عَالمًا، أو أميرًا، أو غَيْرَهُما في تَحْلِيلِ ما عُلِمَ مِنْ دِينِ الإسلامِ بالضَّرُورةِ تَحْريمُهُ ـ فقدْ أشْرَكَ مَعَ اللهِ.

وأَسْتغفرُ اللهَ.

---

(1) «**حَسَنٌ**»: أخرجه التِّرْمذيُّ (3095)، وحَسَّنهُ الأَلْبانيُّ في «صَحِيح التِّرْمذيِّ» (2471).

الخُطْبةُ الثَّانيةُ ـ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ:

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أمَّا بَعْدُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ تقدَّم الحديثُ معكم عَنِ الشِّرْكِ الأكبرِ، والآنَ حديثي مَعَكُمْ عَنِ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ.

أَيُّها النَّاسُ، الشِّرْكُ الأصغرُ أَمْرُهُ خَطِيرٌ ـ وإنْ كان أَصْغَرَ ـ فَهُو أكبرُ الكبائرِ، وصاحِبُهُ على خَطَرٍ.

والفَرْقُ بَيْنَ الشِّرْكِ الأكبرِ والشِّرْكِ الأَصْغَرِ: أنَّ الشِّرْكَ الأكبرَ مَحْكُومٌ على صاحبِهِ بالخُروجِ مِنَ الإسلامِ في الدُّنيا، والتَّخْلِيدِ في النَّارِ، وتَحْرِيمِ الجنَّةِ على صاحبِهِ في الآخرةِ.

وأمَّا الشِّرْكُ الأَصغرُ فَهُوَ بخلافِ ذلك، فلا يُحْكَمُ على صاحبِهِ بالكُفْرِ، ولا بالخروجِ مِنَ الإسلامِ، ولا يُخَلَّدُ في النارِ.

كما أنَّ الشِّرْكَ الأكبرَ يُحْبِطُ جَميعَ الأعمالِ، بَيْنَما الأَصْغَرُ يُحْبِطُ العَمَلَ الَّذي قَارَنَهُ.

ومِنَ العُلَماءِ مَنْ يَقُولُ: الشِّرْكُ الأَصْغَرُ لا يُغْفَرُ إلَّا بالتَّوبةِ كالشِّرْكِ الأكبرِ تمامًا؛ لعُمُومِ قَوْلِهِ ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ (النساء: 48).

ومِنَ العُلَماءِ مَنْ يَقُولُ: إنَّ الشِّرْكَ الأَصْغَرَ داخلٌ تَحْتَ المَشيئةِ، وأنَّ المُرادَ بقَوْلِهِ: ﴿أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾: الشِّرْكُ الأَكْبَرُ، وأمَّا الشِّرْكُ الأصغرُ فإنَّهُ يُغْفَرُ؛ لأَنَّهُ لا يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ، وكُلُّ ذَنْبٍ لا يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ فإنَّهُ تَحْتَ المَشِيئةِ، على كُلٍّ فصاحِبُ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ على خَطَرٍ[1].

---

(1) انظر «القَوْلُ المُفيدُ على كتاب التَّوحيد» لابْنِ عُثَيْمِين (1/ 208).

أَيُّها النَّاسُ، الشِّرْكُ الأصغرُ يَنْقَسِمُ إلى قِسْمَيْنِ:

ظاهِرٍ، وخَفِيٍّ.

فالظَّاهِرُ: يَكُونُ في الأَقْوَالِ والأَفْعَالِ، والخَفِيُّ: في النِّيَّةِ، وهُوَ: الرِّيَاءُ.

فَشِرْكُ الأَقْوَالِ: كالحَلِفِ بغَيْرِ اللهِ: كالنَّبِيِّ، والكَعْبةِ، وحَيَاتي، وحَيَاةِ أبي وولدي، والأمانةِ، والعَيْشِ والمَلْحِ، والشَّرَفِ، والصَّداقةِ والزَّمالةِ، كُلُّ هذا ـ ونَحْوُهُ ـ مِنَ الشِّرْكِ في الأَقْوَالِ.

ففي «سُنَنِ أبي دَاوُدَ والتِّرْمِذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء»[1] مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ حلَفَ بغَيْرِ اللهِ، فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**».

ومِنَ الشِّرْكِ في الأَقْوالِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ قَوْلُ: «ما شَاءَ اللهُ، وشاء فُلَانٌ، أو لَوْلَا اللهُ وأَنْتَ، وما أَشْبَهَ ذلك».

فيجبُ على المُسْلم أَنْ يَقُولَ: «ما شاء اللهُ، ثُمَّ شاء فُلَانٌ، ولَوْلَا اللهُ ثُمَّ أَنْتَ».

ففي «سُنَنِ أبي دَاوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة»[2] مِنْ حديثِ حُذَيفةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «**لا تقولوا: ما شاء اللهُ، وشاء فُلَانٌ، ولكن قُولوا: ما شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**».

أَيُّها النَّاسُ، بَقِيَ الشِّرْكُ الخَفِيُّ، وهُوَ: الرِّيَاءُ، وقَدْ خَافَهُ النَّبيُّ ﷺ على أُمَّتِهِ، وبالغ في التَّحْذيرِ مِنْهُ.

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أبو داوُدَ (3251)، والتِّرْمذيُّ (1535)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء» (2561).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أبو داوُدَ (4980)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (137).

ففي «مُسْنَدِ أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامعِ»[1] مِنْ حديثِ محمُودِ بْنِ لبيدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ أَخْوَفَ ما أَخَافُ عليكم الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**». قالوا: وما الشِّركُ الأَصْغَرُ ـ يا رسولَ الله ـ ؟. قال: «**الرِّياءُ، يَقُولُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ لَهُمْ يَوْمَ القيامةِ ـ إذا جَزَى النَّاسَ بأَعْمَالِهِمْ ـ : اذْهَبُوا إلى الَّذين كُنْتُمْ تراءُونَ في الدُّنْيا، فانظروا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**».

و في «سُنَنِ ابْنِ ماجَهْ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «المشكاة»[2] مِنْ حديثِ أبي سَعْدِ بْنِ أبي فَضَالَةَ الأَنْصَاريِّ ـ وكان مِنَ الصَّحابةِ ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ : «**إذا جَمَعَ اللهُ الأوَّلين والآخِرينَ يَوْمَ القيامةِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ ـ نادَى مُنَادٍ: مَنْ كان أَشْرَكَ في عَمَلٍ لَهُ للهِ، فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ؛ فإنَّ اللهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ**».

وأَخْرَجَ ابْنُ ماجَهْ ـ أيضًا ـ في «سُنَنِهِ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنهُ الألبانيُّ في«صحيح الجامعِ»[3] مِنْ حديثِ أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال: خرج عَلَيْنا رسولُ الله ﷺ، ونَحْنُ نَتَذاكرُ المَسِيحَ الدَّجَّالَ، فقال: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**». قال: قُلْنا: بَلَى. فقال: «**الشِّرْكُ الخَفِيُّ: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**».

اللَّهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بك مِنَ الشِّرْكِ كُلِّهِ: دِقِّهِ وجِلِّهِ[4]، سِرِّهِ وعَلَانِيَتِهِ، اللَّهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بك مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شيئًا ونَحْنُ نَعْلَمُ، ونستغفِرُكَ لِمَا لا نَعْلَمُ.

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (5/ 428)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (1555).

(2) «**حَسَنٌ**»: أخرجه ابْنُ ماجَهْ (4203)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «المشكاة» (5318).

(3) «**حَسَنٌ**»: أخرجه ابْنُ ماجَهْ (4204)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «صَحِيح الجامعِ» (2607).

(4) دِقِّهِ وَجِلِّه ـ بكَسْرِ أَوَّلهما ـ أَيْ: صغيرِهِ وكبيرِهِ.

2 التَّمائِمُ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أَنْ لا إله إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أَنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 ـ 71).

أمَّا بَعْدُ، فإِنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ، حَدِيثي مَعَكُمْ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ عَنِ التَّمائِمِ.

والتَّمائِمُ ـ كما عرَّفها **ابْنُ الأثيرِ ـ :**

خَرَزاتٌ كانتِ العَرَبُ تُعَلِّقُها على أَوْلادِهِمْ؛ يتَّقون بها العَيْنَ في زَعْمِهِمْ، فَأَبْطَلَها الإِسلامُ(1).

وقدْ تكونُ التَّميمةُ في الرَّقَبةِ، أو اليَدِ، أو الرِّجْلِ، أو أيِّ مكانٍ مِنَ الجَسَدِ.

---

(1) «النِّهاية» (1/ 198).

وهي مِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ أَوِ الأَصْغَرِ بحَسَبِ ما يُرِيدُ الإنسانُ مِنْها، إنِ اتَّخذها مُعْتَقِدًا أنَّ المُسَبِّبَ للمحبَّةِ، وَرَدِّ العيْنِ، وتَوَقِّي المَحْذورِ ـ هُوَ اللهُ؛ فهي شِرْكٌ أَصْغَرُ، وإنِ اعتقد أنَّها تفعلُ بنفْسِها؛ فهي شِرْكٌ أَكْبَرُ.

أيُّها النَّاسُ، قَدْ دَلَّتِ الأَدِلَّةُ مِنَ الكتابِ والسُّنَّةِ على تَحْرِيمِ التمائمِ، وأنَّها مِنَ الشِّرْكِ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ (الأنعام: 17).

وقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ (يونس: 107).

وقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ (النحل: 53، 54).

وأمَّا الأدلَّةُ مِنَ السُّنَّةِ على تَحْرِيمِ التَّمائمِ فكثيرةٌ جِدًا، فَمِنْها:

ففي «مسندِ أحمدَ» و«سُنَن ابْنِ ماجَهْ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيحِ ابْنِ ماجَهْ»[1] مِنْ حديثِ زَيْنَبَ امرأةِ عَبْدِ الله ـ يَعْني: ابْنَ مَسْعُودٍ ـ قالتْ: كانتْ عَجُوزٌ تَدْخُلُ عَلَيْنا تَرْقي مِنَ الحُمْرَةِ، وكانَ لنا سَرِيرٌ طَوِيلُ القَوائمِ، وكان عَبْدُ الله إذا دَخَلَ تَنَحْنَحَ وصَوَّتَ، فَدَخَلَ يَوْمًا، فلَّما سَمِعَتْ صَوْتَهُ احْتَجَبَتْ مِنْهُ، فجاء فجلس إلى جانبي فمسَّني فَوَجَدَ مَسَّ خَيْطٍ، فقال: ما هذا؟. فَقُلْتُ: رُقَىً لي فِيهِ مِنَ الحُمْرَةِ، فَجَذَبَهُ فقطعَهُ، فَرَمَى به، وقال: لَقَدْ أَصْبَحَ آلُ عَبْدِ الله أَغْنياءَ عَنِ الشِّرْكِ،

(1) «صَحِيحٌ»: أخرجه أحمدُ (1/ 381)، وابْنُ ماجَهْ (3530)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح ابْنِ ماجَهْ» (2845).

سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إنَّ الرُّقَى والتَّمائِمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ**». قُلْتُ: فإنِّي خَرَجْتُ يَوْمًا، فأَبْصَرَنِي فُلَانٌ؛ فَدَمَعَتْ عَيْنِي الَّتي تَلِيهِ، فإذا رَقَيْتُها سَكَنَتْ دَمْعَتُها، وإذا تَرَكْتُها دَمَعَتْ. قال: ذَاكِ الشَّيْطَانُ، إذا أَطَعْتِهِ تَرَكَكِ، وإذا عَصَيْتِهِ طَعَنَ بإِصْبَعِهِ فِي عَيْنِكِ، ولكنْ لَوْ فَعَلْتِ كما فَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ كان خيرًا لَكِ، وأَجْدَرَ أَنْ تَشْفِينَ: تَنْضَحِينَ فِي عَيْنيكِ المَاءَ، وتَقُولين: أَذْهِبِ البَاسَ ربَّ النَّاسِ، اشْفِ أنتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إلَّا شِفَاؤُكَ، شفاءً لا يُغادِرُ[1] سَقَمًا.

أيُّها النَّاسُ، قَدْ جاء الحديثُ بتَحْرِيمِ الرُّقَى والتَّمائمِ والتِّوَلَةِ، وهُنَا تَنْبِيهٌ مُهِمٌّ: وَهُوَ أَنَّ الرُّقَى ليستْ مُحَرَّمةً على عُمُومِها، بَلْ كما قال العلَّامةُ **ابْنُ عُثَيمين** رحمه الله: «هي عامٌّ أُرِيدَ به خاصٌّ، وهُوَ الرُّقَى بغَيْرِ ما وَرَدَ بِهِ الشَّرْعُ، أمَّا مَا وَرَدَ بِهِ الشَّرْعُ؛ فَلَيْسَتْ مِنَ الشِّرْكِ»[2].

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[3] مِنْ حَديثِ أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه قال: نَزَلْنا مَنْزِلًا، فأَتَتْنا امْرَأةٌ، فقالتْ: إنَّ سيِّدَ الحَيِّ سَلِيمٌ[4] لُدِغَ، فَهَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ؟.

فقام مَعَها رَجُلٌ مِنَّا، ما كُنا نَظُنُّهُ يُحْسِنُ رُقْيَةً، فرَقَاهُ بفاتحةِ الكِتابِ فَبَرَأَ؛ فأعْطَوْهُ غَنَمًا، وسَقَوْنا لَبَنًا. فَقُلْنَا: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيةً؟!.

فقال: ما رَقَيْتُهُ إلَّا بفاتحةِ الكِتَابِ. قال: فَقُلْتُ: لا تُحَرِّكُوها حتَّى نَأْتِيَ النَّبيَّ ﷺ، فَأَتَيْنا النَّبيَّ ﷺ، فَذَكَرْنا ذلك له، فقال: «**ما كان يُدْرِيهِ أنَّها رُقْيَةٌ؟ اقْسِمُوا واضْرِبُوا لي بسَهْمٍ مَعَكُمْ**».

---

(1) لا يُغادر أَيْ: لا يَتْرُكُ.

(2) «القول المُفيد» (1/ 180).

(3) رواه البخاريُّ (5007)، ومسلم (2201)، واللَّفْظُ لَهُ.

(4) سليم أَيْ: لَدَيغ، سُمِّيَ بذلك تفاؤلاً بالسَّلامةِ، وقيل: لأَنَّهُ مُسْتَسْلِمٌ لما بِهِ.

والتِّوَلَةُ وما أَدْرَاكُمْ ما التِّوَلَةُ؟ هي ـ كما قال العلَّامةُ **ابْنُ عُثَيْمين** رحمه الله: «شيءٌ يُعَلِّقونه على الزَّوْجِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ الزَّوْجَةَ إلى زَوْجِها، والزَّوْجَ إلى امْرَأَتِهِ، وهذا شِرْكٌ؛ لأَنَّهُ ليس بسَبَبٍ شَرْعيٍّ، ولا قَدَريٍّ للمحبَّةِ.

ومِثْلُ ذلك الدِّبْلَةُ، والدِّبْلَةُ: خاتمٌ يُشْتَرَى عِنْدَ الزَّواجِ، يُوْضَعُ في يَدِ الزَّوجِ، وإذا أَلْقَاهُ الزَّوْجُ؛ قالتِ المَرْأَةُ: إِنَّهُ لا يُحِبُّها؛ فَهُمْ يَعتقدون فِيهِ النَّفْعَ والضَّرَرَ، ويَقُولونَ: إِنَّهُ ما دام في يَدِ الزَّوْجِ؛ فإِنَّهُ يَعْني أَنَّ العَلاَقَةَ بَيْنَهما ثابتةٌ، والعَكْسُ بالعكسِ، فإذا وُجِدَتْ هذِهِ النِّيَّةُ؛ فإِنَّهُ مِنَ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ، وإنْ لم تُوْجَدْ هذِهِ النِّيَّةُ ـ وهي بَعيدةٌ أَلَّا تَصْحَبَها ـ؛ ففيهِ تشَبُّهٌ بالنَّصارَى؛ فإِنَّها مَأْخُوذةٌ مِنْهُمْ.

وإنْ كانتْ مِنَ الذَّهَبِ، فَهِيَ بالنِّسْبةِ للرَّجُلِ فيها محذورٌ ثالثٌ، وَهُوَ لُبْسُ الذَّهَبِ ...

وقولُهُ: «شِرْكٌ»: هَلْ هي شِرْكٌ أَصْغَرُ أو أَكْبَرُ؟، نَقُولُ: بحَسَبِ ما يُريدُ الإنسانُ منها، إن اتَّخذها مُعْتقدًا أنَّ المُسَبِّبَ للمَحَبَّةِ هُوَ اللهُ؛ فهي شِرْكٌ أَصْغَرُ، وإنِ اعتقد أنها تفعلُ بنَفْسِها؛ فهي شِرْكٌ أَكْبَرُ»[1].

ومِنَ الأدلَّةِ الدَّالَّة على تَحْريمِ التَّمائمِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ ما جاء في «مُسندِ أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة»[2] مِنْ حديثِ عُقْبَةَ بْنِ عامرٍ رضي الله عنه قال: إنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ، فبايع تِسْعةً، وأَمْسَكَ عَنْ واحدٍ، فقالوا: يا رسولَ الله، بايعتَ تِسْعةً، وتَرَكْتَ هذا. وقال: إنَّ عَلَيْهِ تَميمةً، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فقطعها، فبايعَهُ وقال: «**مَنْ عَلَّقَ تَمِيمةً، فَقَدْ أَشْرَكَ**».

---

(1) «القول المفيد» (1/ 181 ـ 182).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (4/ 156)، والحاكم (4/ 219)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (492).

وَمِنَ الأَدِلَّةِ الدَّالَّة على تَحْرِيمِ التَّمائم ـ أَيُّها النَّاسُ ـ ما جاء في «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ عبَّادِ بْنِ تَمِيْمٍ: أنَّ أبا بَشِيرٍ الأَنْصاريَّ رضي الله عنه أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ كان مَعَ رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم في بَعْضِ أَسْفارِه ـ قال عَبْدُ الله: حَسِبْتُ أنه قال: والنَّاسُ في مَبِيتِهِمْ ـ فأَرسلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم رَسُولًا: «لا تَبْقَيَنَّ في رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادةٌ مِنْ وَتَرٍ ـ أَوْ قِلَادَةٌ ـ إِلَّا قُطِعَتْ».

قال **الحافظُ ابْنُ حَجَرٍ** رحمه الله: «قال **ابْنُ الجَوْزِيِّ** رحمه الله: «وفي المرادِ بالأَوْتَارِ ثلاثةُ أَقْوالٍ: **أَحَدُها** ـ أَنَّهُمْ كانوا يُقَلِّدون الإِبِلَ أَوْتارَ القِسِيِّ؛ لئلَّا تُصِيبَها العَيْنُ بزَعمِهِمْ، فأُمِرُوا بقَطْعِها؛ إعلامًا بأنَّ الأَوْتارَ لا تَرُدُّ مِنْ أَمْرِ الله شيئًا»[2].

قُلْتُ: ومِنْ هذا القَبِيلِ ما يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ في زَمَانِنا مِنْ تَعْلِيقِ النِّعالِ ـ ونَحْوِها ـ على البَعِيرِ والبَقَرِ؛ يعتقدون أنَّ ذلك يَدْفَعُ العَيْنَ، وهذا اعتقادٌ فاسدٌ؛ لأَنَّ التَّعلُّقَ بما ليس بَسَبَبٍ شَرْعيٍّ أو حِسِّيٍّ شِرْكٌ.

ومِنَ الأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ على تَحْرِيمِ التَّمائمِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ ما جاء في «مسندِ أحمدَ» و«مُستدركِ الحاكمِ»، و«سُنَن التِّرْمِذِيِّ» بسَنَدٍ حَسَنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح التِّرْمِذِيِّ»[3] مِنْ حديثِ عِيسى ـ وهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أبي لَيْلَى ـ قال: دَخَلْتُ على عَبْدِ الله بْنِ عُكَيْمٍ أبي مَعْبَدٍ الجُهَنِيِّ أَعُودُهُ، وبِهِ حُمْرَةٌ، فَقُلْتُ: أَلَا تُعَلِّقُ شيئًا؟. قال: المَوْتُ أَقْرَبُ مِنْ ذلك، قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ تَعَلَّقَ شيئًا، وُكِلَ إِلَيْهِ**».

---

(1) رواه البخاريُّ (3005)، ومسلم (2115).

(2) «الفتح» (6/ 99).

(3) «**حَسَنٌ**»: أخرجه أَحْمَدُ (4/ 210)، والحاكمُ (4/ 21)، والتِّرْمِذيُّ (2167)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «صَحِيح التِّرْمذيِّ» (1691).

أيُّها النَّاسُ، لَقَدْ بالغ النَّبيُّ ﷺ في التَّحْذيرِ مِنَ التَّمائمِ ونَحْوِها، حتَّى إِنَّهُ أَوْصَى أَحَدَ صِغارِ أَصْحَابِهِ الَّذين يَعْتَقِدُ أنَّ الحياةَ سَتَطُولُ بِهِ ـ أوصاهُ أنْ يُبَلِّغَ مَنْ بَعْدَهُ ويُحَذِّرَهُمْ.

ففي «مُسندِ أحمدَ»، و«سُنَنِ النَّسَائيِّ، وأبي دَاوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح أبي داوُدَ»[1] عَنْ رُوَيْفعِ بْنِ ثابتٍ قال: قال لي رسولَ الله ﷺ: «**يا رُوَيفِعُ، لعلَّ الحياةَ سَتَطُولُ بِكَ بَعْدِي، فأخبرِ النَّاسَ أنَّهُ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أو تقلَّدَ وَتَرًا، أو اسْتَنْجَى برَجِيعَ دابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ ـ فإنَّ مُحَمَّدًا مِنْهُ بَرِيءٌ**».

فقَوْلُهُ ﷺ: «**تقلَّد وَتَرًا**» «الوَتَرُ: سِلْكٌ مِنَ العَصَبِ، يُؤْخَذَ مِنَ الشَّاةِ، وتُتَّخَذُ للقَوْسِ وَتَرًا، ويستعملونها في أَعْنَاقِ إِبِلِهِمْ أَوْ خَيْلِهِمْ، أو في أَعْنَاقِهِمْ؛ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يَمْنَعُ العَيْنَ، وهذا مِنَ الشِّرْكِ»[2].

وأَسْتَغفرُ اللهَ.

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (4/ 108)، والنَّسائيُّ في «سُنَنه» (8/ 235)، وأبو داوُدَ (36)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح أبي داوُدَ» (27).

(2) «القول المفيد» (1/ 188).

الخُطْبَةُ الثَّانيةُ ـ الرُّقى :

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أمَّا بَعْدُ، تقدَّم الحديثُ معكم ـ أَيُّها النَّاسُ ـ عَنِ التَّمائمِ، والآنَ حديثي مَعَكُمْ عَنِ «الرُّقى».

والرُّقْيَةُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ : هي رُقْيَةُ الإنسانِ نَفْسَهُ أَوْ غَيْرَهُ للتَّداوي، ولا بَأْس بها إذا خَلَتْ مِنَ الشِّرْكِ.

ففي «صحيح مسلمٍ»[1] مِنْ حديثِ جابرٍ رضي الله عنه قال: نَهَى رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عَنِ الرُّقَى، فجاء آلُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ إلى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسولَ الله ـ إنَّهُ كانتْ عِنْدَنا رُقْيَةٌ، نَرْقِي بها مِنَ العَقْرَبِ، وإنَّك نَهَيْتَ عَنِ الرُّقَى. قال: فَعَرَضُوها عَلَيْهِ.

فقال: «**ما أَرَى بَأْسًا، مَنِ استطاع مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ**».

ففي «صحيح مسلمٍ»[2] مِنْ حديثِ عَوْفِ بْنِ مالكٍ رضي الله عنه قال:كُنَّا نَرْقي في الجاهليَّة، فَقُلْنا: يا رسولَ الله، كيف تَرَى في ذلك؟.

فقال: «**اعْرِضُوا عليَّ رُقَاكُمْ، لا بَأْسَ بالرُّقَى ما لم يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ**».

وقَدْ تقدَّم حديثُ أبي سعيدٍ الخُدْريِّ «في الصَّحيحَيْنِ» في قِصَّةِ الرَّجُلِ الَّذي لُدِغَ، فَرَقَاهُ أَحَدُ الصَّحابةِ بفاتحةِ الكِتَابِ، وأَقَرَّهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم على ذلك.

---

(1) رواه مسلم (2199).

(2) رواه مسلم (2200).

وقَدْ رَقَى النَّبيُّ ﷺ نَفْسَهُ، كما في «صحيح البُخاريِّ»[1] مِنْ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: «كان رَسُولُ الله ﷺ إذا أَوَى إلى فِراشِهِ، نَفَثَ في كفَّيْهِ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وبالمُعَوِّذتين جميعًا، ثُمَّ يَمْسَحُ بهما وَجْهَهُ، وما بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ».

وقَدْ أَمَرَ غَيْرَهُ بالرُّقْيةِ، كما في «الصَّحيحَيْنِ»[2] مِنْ حديثِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ رَأَى في بَيْتِها جارية، في وَجْهِهَا سَفْعَةٌ - أَيْ: سَوَادٌ في الوَجْهِ - ، فقال: «**اسْتَرْقُوا لها؛ فإنَّ بها النَّظْرَةَ**».

وفَعَلها ﷺ بغَيْرِهِ، كما في «الصَّحيحَيْنِ»[3] مِنْ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: كان النَّبيُّ ﷺ يُعَوِّذُ بَعْضَ أهْلِهِ، يَمْسَحُ بيدِهِ اليُمْنَى، ويَقُولُ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أذهبِ الباسَ، واشْفِهِ وأنتَ الشَّافي، لا شِفَاءَ إلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا**».

أَيُّها النَّاسُ، إجماعُ العُلماءِ مُنْعَقِدٌ على مَشْرُوعيَّةِ الرُّقْيةِ، لكنَّها تَوْقِيفيَّةٌ، فتكونُ بكتابِ الله، وبما ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، وقَدْ علَّم أُمَّتَهُ كثيرًا مِنَ الرُّقَى النَّافِعَةِ، فلا يَجُوزُ الزِّيادةُ عَلَيه، أو النَّقْصُ مِنْهُ.

كما لا يَجُوزُ التَّفَرُّغُ لأَجْلِ القِرَاءةِ على النَّاسِ، واتِّخاذُها حِرْفَةً؛ لأنَّ ذلك لم يَفْعَلْهُ الصَّحابةُ فَمَنْ بَعْدَهُمْ، فَلَوْ كان الانقطاعُ لمعالجةِ المَرْضَى بالرُّقَى، واتِّخاذُها حِرْفةً، والاشتهارُ بها بَيْنَ النَّاسِ خَيْرًا - لسُبِقْنَا إِلَيْهِ.

أَيُّها النَّاسُ، التَّفَرُّغُ للعِلَاجِ فيه مَفْسَدَةٌ للجميع: مَفْسَدةٌ للقارئِ فلا يُؤْمَنُ أَنْ يُفْتَنَ، وتُعْجِبَهُ نَفْسُهُ، ويَضْحَكَ عليه شَيطانُهُ، ويَدْخُلَهُ العُجْبُ والكِبْرُ والرِّياءُ؛ لأنَّ

---

(1) رواه البخاريُّ (5748).

(2) رواه البخاريُّ (5739)، ومسلم (2197).

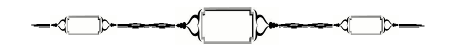
(3) رواه البخاريُّ (5743)، ومسلم (2191).

الرُّقْيَةَ كالدُّعاءِ، وكأَنَّهُ يقولُ للنَّاسِ: تَعَالَوْا أَدْعُ اللهَ لكم، ولكنْ إذا جاءَهُ مريضٌ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَرْقِيَهُ فلا بَأْسَ، لأنَّ الرَّسُولَ ﷺ قال: «**مَنِ استطاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ**»[1].

أَمَّا التَّفَرُّغُ للعلاجِ، واتِّخاذُهُ حِرْفَةً فهذا لا يَجُوزُ البَتَّةَ.

ومِنْ مَفْسَدةِ التَّفَرُّغِ: أنَّ عَوَامَّ النَّاسِ يَتَعلَّقون بالقارئِ أكثرَ مِنْ تعلُّقِهِمْ باللهِ وبكلامِهِ، حتَّى يَظُنُّونَ ارتباطَ الشِّفاءَ بالشَّخْصِ.

اللهُمَّ فَقِّهْنا في الدِّينِ، وارْزُقْنا الحِكْمَةَ، اللهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، ونَفْسٍ لا تَشْبَعُ، ودعوةٍ لا يُسْتجابُ لها، ﴿**رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾**﴾ (البقرة: 201).



(1) تقدَّم تخريجُهُ.

3 ضَعْفُ الإِيـمـان

الخُطْبَةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهّ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ (النساء: 1).

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ - أيُّها النَّاسُ - حَدِيثي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ ضَعْفُ الإيمانِ.

أَيُّها النَّاسُ، ضَعْفُ الإيمانِ ممَّا عَمَّ وانتشر في المُسلمين، وآثارُ المَرَضِ عليهم باديةٌ، وهُوَ أساسُ كُلِّ مُصِيبةٍ، وسَبَبُ كُلِّ نَقْصٍ وبَلِيَّةٍ[1].

فَمِنْ آثارِ ضَعْفِ الإيمانِ - أيُّها النَّاسُ - الوُقُوعُ في المعاصي، وارتكابِ المُحَّرماتِ، وقَدْ يتكرَّرُ ذلك مِنَ الإنسانِ حتَّى يُصبحَ عادةً مألوفة، ثُمَّ يَزُولُ قُبْحُها مِنَ القَلْبِ،

(1) انظر «ظاهرة ضعف الإيمان» (ص5-6) بتصرُّفٍ.

حتَّى يَقَعَ العاصي في المُجاهرةِ بها، ويَدْخُلَ في الحديث الَّذي في «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتي مُعَافًى إلَّا المُجاهرين، وإنَّ مِنَ المُجاهرةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وقَدْ سَتَرَهُ اللهُ، فيقولَ: يا فُلَانُ، عَمِلْتُ البارحةَ كَذَا وكَذَا، وقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ**».

ومِنْ آثَارِ ضَعْفِ الإيمـانِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ الشُّعُورُ بقَسْوةِ القَلْبِ، قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة: 74).

وصاحبُ القَلْبِ القاسي ـ أَيُّها النَّاسُ ـ لا تَنْفَعُ فِيهِ مَوْعِظَةٌ، قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ (ق: 37).

ومِنْ آثارِ ضَعْفِ الإيمانِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ عَدَمُ إتقانِ العِبَاداتِ، كحال كثيرٍ مِنَ النَاسِ اليَوْمَ مَعَ الصَّلَاةِ، فَبَعْضُهُمْ يَنْقُرُها نَقْرَ الغُرَابِ، وبَعْضُهُمْ يُصَلِّها وهُوَ يَجُولُ بقَلْبِهِ في أَوْدِيةِ الدُّنْيا وشِعَبِها، والرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ كما عِنْدَ «التِّرْمذيِّ» بسندٍ حَسَنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «الصَّحيحة»[2] مِنْ حَدِيثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «**ادْعُوا اللهَ وأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بالإجابةِ، واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قلبٍ غافِلٍ لَاهٍ**».

ومِنْ آثارِ ضَعْفِ الإيمـانِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ التَّكاسُلُ عَنِ الطَّاعاتِ، قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ (النساء: 142).

ومِنَ التَّكاسُلِ عَنِ الطَّاعاتِ التَّأَخُّرُ عَنِ الصَّفِّ الأَوَّلِ وهكذا، حتَّى إذا فاتتْ عليه سُنَّةٌ راتبةٌ، فإنَّهُ لا يرغبُ في قضائها، ولا يَزَالُ به الحالُ حتَّى يَنْطَبِقَ عليه قَوْلُ

(1) رواه البخاري (6069)، ومسلم (2990).

(2) «حَسَنٌ»: أخرجه التِّرْمذيُّ (3479)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (594).

رَسُولِ الله ﷺ كما في «سُنَن أبي داوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح أبي داوُدَ»[1] مِنْ حَدِيثِ عائشةَ ﵂: «**لا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الصَّفِّ الأوَّلِ، حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ في النارِ**».

ومِنْ آثارِ ضَعْفِ الإيمانِ عَدَمُ التَّأَثُّرِ بآياتِ القُرْآنِ، فَضَعِيفُ الإيمانِ يَمَلُّ مِنْ سماعِ القُرْآنِ، ولا تُطِيقُ نفسُهُ مُوَاصَلَةَ قِراءَتِهِ، فكُلَّما فتح المُصْحَفَ كاد أَنْ يُغْلِقَهُ.

تلك ـ أيُّها النَّاسُ ـ بَعْضُ آثارِ ضَعْفِ الإيمانِ، ولها أَسْبَابُها، فَمِنْ أَسْبَابِها:

الابتعادُ عَنِ الاستقامةِ والصَّلاحِ لفَتْرَةٍ طَويلةٍ، قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ ـ : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ (الحديد: 16).

ومِنْ أَسْبَابِ ضَعْفِ الإيمانِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ : الابتعادُ عَنِ القُدْوَةِ الصَّالحةِ؛ فالجليسُ الصَّالحُ لَهُ تَأْثيرٌ على جليسِهِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[2] مِنْ حديثِ أبي مُوسى الأَشْعَرِيِّ ﵁: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إنَّما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالحِ والجليسِ السَّوْءِ كحامِلِ المِسْكِ ونافِخِ الكِيْرِ[3]، فحامِلُ المِسْكِ إمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ[4]، وإمَّا أَنْ تَبْتَاعَ[5] مِنْهُ، وإمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، ونافِخُ الكِيرِ إمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وإمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً**».

---

(1) «صَحِيحٌ»: أخرجه أبو داوُدَ (679)، وصححه الألباني في «صَحِيح أبي داود» (630).

(2) رواه البخاري (2101)، ومسلم (2628).

(3) الكِير ـ بالكَسْرِ ـ : مِنْفَخُ الحدَّاد الَّذي يَنْفُخُ به النَّارَ.

(4) يُحْذِيَك: يُعْطيكَ.

(5) تبتَاع: تشتري.

فالجليسُ الصَّالحُ غَنِيمةٌ وخَيْرٌ؛ فإِنَّهُ إمَّا أَنْ يُعَلِّمَنا ما يَنْفَعُنا في دِينِنا ودُنْيانا، أَوْ يُهْدِيَ لنا نصيحةً، أو يُحَذِّرَنا مِنَ الإقامةِ على ما يَضُرُّنا، فيحُثّنا على طاعةِ الله، وبِرِّ الوالدَيْنِ، وصِلَةِ الأَرْحَامِ، ويُبَصِّرنا بعُيُوبِ أنفُسِنا، ويدعونا إلى مكارمِ الأخلاقِ بقَوْلِهِ وفِعْلِهِ وحالِهِ.

ومِنْ أَسْبَابِ ضَعْفِ الإيمانِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ : الابتعادُ عَنْ طَلَبِ العِلْمِ الشَّرْعيِّ، والاتِّصالِ بكُتُبِ السَّلَفِ، وخاصَّةً كُتُبَ الحديثِ، والرَّقائقِ، والسِّيرةِ النَّبوِيَّةِ، وسِيرةِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ وغَيْرِهِمْ مِنْ سادةِ العُلَماءِ والأَوْلياءِ: كالأئمَّةِ الأَرْبَعةِ، وأَصْحابِ السُّنَنِ.

ومِنْ أَسْبَابِ ضَعْفِ الإيمانِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ : الإغراقُ في الإنشغالِ بالدُّنْيا، وعَدَمُ أَخْذِ البلاغِ منها، والاكْتِفَاءِ به.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ ﴾ (التكاثر: 1).

أَيْ: شَغَلَكُمُ التكاثرُ في الأموالِ، والأولادِ، والأنصارِ، ونَحْوَ ذلك مِمَّا قَدْ يُفْتَنِ بِهِ المُسْلِمُ، فينشغلُ به عَنْ طاعةِ ربِّهِ، والاستعدادِ لليَوْمِ الَّذي ينتظرُهُ، وقَدْ يَضْعُفُ إيمانُهُ، ويَقْسُو قَلْبُهُ بسَبَبِ ذلك، وهذا واقعٌ، ما لَهُ مِنْ دافِعٍ.

ومِنْ أَسْبَابِ ضَعْفِ الإيمانِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ طُولُ الأَمَلِ، وطُولُ الأَمَلِ يقصرُ بصاحبِهِ عَنِ العَمَلِ الصَّلحِ، ويُسَوِّفُهُ ويُلْهِيهِ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣ ﴾ (الحجر: 3).

أَيُّها النَّاسُ، تِلْكَ بَعْضُ آثارِ ضَعْفِ الإيمانِ، وتلك بَعْضُ أَسْبَابِ ضَعْفِهِ، وقَدْ دَلَّ الدَّليلُ مِنْ كتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ على أَنَّ الإيمانَ يَزِيدُ ويَنْقُصُ، يَزِيدُ

بالطَّاعةِ، ويَنْقُصُ بالمَعْصِيَةِ، ومِنَ الأَدِلَّةِ على زِيَادَةِ الإيمانِ ونَقْصُهُ: أنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وتعالى ـ قَسَمَ المؤمنين ثلاثَ طَبقاتٍ، فقال ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (فاطر: 32).

فالسابقون بالخيراتِ: هُمُ الَّذين أَدُّوا الواجباتِ والمُسْتَحَبَّاتِ، وتركوا المُحرَّماتِ والمَكْرُوهَاتِ، وهؤلاءِ هُمُ المُقَرَّبُونَ.

والمُقْتَصِدُون: هُمُ الَّذين اقتصرُوا على أَدَاءِ الوَاجِبَاتِ، وتَرْكِ المُحَرَّماتِ.

والظَّالِمُونَ لأنفُسِهِمْ: هُمُ الَّذين اجْتَرَأُوا على بَعْضِ المُحرَّمَاتِ، وقَصَّروا ببعضِ الواجباتِ، مَعَ بقاءِ أَصْلِ الإيمانِ مَعَهُمْ.

وَمِنَ الأَدِلَّةِ على زِيادةِ الإيمانِ ونَقْصِهِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ: قولُهُ تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (التوبة: 124).

وقولُهُ تعالى: ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾ (المدثر: 31).

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ (الأنفال: 2).

وقَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ (الفتح: 4).

وففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم وَعَظَ النِّسَاءَ، وقال لَهُنَّ: «**ما رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ ودِينٍ أَذْهَبُ للُبِّ الرَّجُلِ الحازمِ مِنْ إحداكُنَّ**».

(1) رواه البخاريُّ (304)، ومسلم (80).

فالحديثُ دَلَّ على ثُبُوتِ النَّقْصِ، والآياتُ دَلَّتْ على إثباتِ الزِّيادةِ، والزِّيادةُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ مُسْتَلْزِمةٌ للنَّقْصِ، وكُلُّ نَصٍّ في كتابِ الله يَدُلُّ على زِيادةِ الإيمانِ فإنَّهُ مُتَضَمِّنٌ للدَّلالةِ على نَقْصِهِ، كما قال ذلك العلَّامةُ ابْنُ عُثَيْمِين رحمه الله، ويُعْجِبُني هُنا قَوْلُ الإمامِ خَيْثَمةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحمنِ رحمه الله: «الإيمانُ يَسْمَنُ في الخِصْبِ، وَيَهْزَلُ في الجَدْبِ، فخِصْبُهُ العَمَلُ الصَّالِحُ، وجَدْبُهُ الذُّنُوبُ والمَعَاصي».

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

الخُطْبةُ الثَّانيةُ ـ عِلاجُ ضَعْفِ الإِيمان :

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ تقدَّم الحديثُ معكمْ عَنْ ضَعْفِ الإيمانِ، والآنَ حديثي معكم عَنْ علَاجِ ذلك الضَّعْفِ.

أَيُّها النَّاسُ، قَدْ قال أَحَدُ السَّلَفِ: «مِنْ فِقْهِ العَبْدِ أَنْ يَتَعاهَدَ إيمانَهُ، وما يَنْقُصُ مِنْهُ، ومِنْ فِقْهِ العَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَيَزْدَادُ إيمانُهُ أَوْ يَنْقُصُ؟، وإنَّ مِنْ فِقْهِ أن يعلم نزغات الشَّيطانِ أَنَّى تَأْتِيه»[1].

فَمِنْ عِلَاجِ ضَعْفِ الإيمانِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ : مَعْرِفَةُ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ بأسمائِهِ وصفاتِهِ؛ فإنَّه كلَّما ازداد الإنسانُ معرفةً باللهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ، ازداد إيمانُهُ.

---

(1) «شرح نُونيَّةِ ابْنِ القيِّم» لابن عيسى (2/ 140).

ومِنْ عِلَاجِ ضَعْفِ الإيمانِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ: النَّظَرُ في آياتِ الله الكَونيَّةِ والشَّرْعيَّةِ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)﴾ (الغاشية: 17 – 20).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١)﴾ (يُونُس: 101).

أَيُّها النَّاسُ، كلَّما ازداد الإنسانُ عِلْمًا بما أودع اللهُ ـ تعالى ـ في الكَوْنِ مِنْ عَجَائِبِ المخلوقاتِ، ومِنَ الحِكَمِ البَالِغَاتِ، ازداد إيمانًا بالله ـ عَزَّ وجلَّ ـ، زكذلك النَّظَرُ في آياتِ الله الشَّرْعيَّةِ، يَزيدُ الإنسانَ إيمانًا بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ؛ لأنَّنا إذا نظرنا إلى الآياتِ الشَّرْعيَّةِ ـ وهي الأحكامُ الَّتي جاءتْ بها الرُّسُلُ ـ وَجَدْنا فيها ما يَبْهَرُ العُقُولَ مِنَ الحِكَمِ البالغةِ، والأَسْرَارِ العَظِيمةِ، الَّتي نَعْرِفُ بها أنَّ هذهِ الشَّريعةَ نَزَلَتْ مِنْ عِنْدِ الله، وأنَّها مَبْنِيَّةٌ على القَوْلِ والرَّحْمةِ، فنزدادُ بذلك إيمانًا[1].

ومِنْ عِلَاجِ ضَعْفِ الإيمانِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ: تَدَبُّرُ القُرْآنِ العظيمِ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤)﴾ (التوبة: 124).

ومِنْ عِلَاجِ ضَعْفِ الإيمانِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ: طَلَبُ العِلْمِ الشَّرْعيِّ، والعِلْمُ الشَّرْعيُّ الَّذي يَزْدَادُ بِهِ المُؤْمن إيمانًا: هُوَ العِلْمِ باللهِ وباليومِ الآخرِ، وأَوَّلُهُ العِلْمُ المُقْتضِي للاستغفارِ، كما قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ (محمد: 19).

---

(1) «شرح العقيدة الواسطيَّة» لابْنِ عُثَيْمِين (2/ 233 ـ 235) بتصُّرفٍ يسيرٍ.

ومِنْ عِلَاجِ ضَعْفِ الإيمانِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ : الاستكثارُ مِنَ الأعمالِ الصَّالحةِ، فإنَّ للأعمالِ الصَّالحةِ أَثَرًا عظيمًا في ازديادِ الإيمانِ.

وفي «صحيح مسلمٍ»[1] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ ﵁: قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَصْبحَ مِنْكُمُ اليَوْمَ صائمًا؟**». قال أبو بَكْرٍ: أَنَا. قال: «**فَمَنْ تَبعَ اليَوْمَ مِنْكُمْ جَنَازةً؟**». قال أبو بَكْرٍ: أنا. قال: «**فَمَنْ أَطْعَمَ اليَوْمَ مِنْكُمْ مِسْكينًا؟**». قال أبو بَكْرٍ: أنا. قال: «**فَمَنْ عاد اليَوْمَ مِنْكُمْ مَرِيضًا؟**». قال أَبُو بَكْرٍ: أنا. فقال رَسُولُ الله ﷺ: «**ما اجْتَمَعْنَ في امْرِىءٍ إلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**».

وهذا ـ أيُّها النَّاسُ ـ يَدُلُّ على ما كان عليه الصحابةُ الكِرَامُ مِنَ المُسارعةِ في الخَيْراتِ، فَغَدا إيمانُهُمْ كالجِبَالِ الرَّواسي، أقاموا الدُّنْيا وأَقْعَدُوها، ولم تهتزَّ لهم شَعَرةٌ، ولم تَلِنْ لَهُمْ قَنَاةٌ[2]؛ لأَنَّهُمْ استجابوا لأَمْرِ الله القائلِ: ﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ**﴾ (آل عمران: 133).

والقائل: ﴿**سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ**﴾ (الحديد: 21).

فتركوا الدُّنيا وراءَهُمْ ظِهْرِيًّا تَلْبيةً لنداءِ الحقِّ ـ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ ففي «صحيح مسلمٍ»[3] مِنْ حديثِ أنس ﵁ في قِصَّةِ غَزْوَةِ بَدْرٍ: لَمَّا دَنَا المُشْرِكونَ...، قال رسولُ الله ﷺ: «**قُوموا إلى جَنَّةٍ عَرْضُها السَّمواتُ والأَرْضُ**». قال: يقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الحُمَامِ الأَنْصَاريُّ: يا رسولَ الله، جَنَّةٌ عَرْضُها السَّمَواتُ والأَرْضُ؟ قال: «**نَعَمْ**». قال: بَخٍ بَخٍ[4].

(1) رواه مسلم (1028).

(2) القَناة ـ بالفتح ـ : القامة.

(3) رواه مسلم (1901).

(4) بَخٍ بخٍ ـ بتنوين الكَسْرِ ويَجُوزُ الإسكانُ ـ : كلمة تُطْلَقُ لتعظيمِ الأَمرِ وتَفْخيمِهِ في الخَيْرِ.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**ما يَحْمِلُكَ على قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟**».قال: لا، واللهِ ـ يا رَسُولُ الله ـ إلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِها. قال: «**فإنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**». فأخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ[1]، فجعل يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قال: لَئِنْ أنا حَيِيْتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هذه، إنَّها لحياةٌ طَوِيلةٌ، قال: فَرَمَى بما كان مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قاتَلَهُمْ حتَّى قُتِلَ.

ومِنْ عِلَاجِ ضَعْفِ الإيمـانِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ : الـمُدَاوَمَةُ على العَمَلِ الصَّالحِ، قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ ـ : ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ٢٣﴾ (المعارج: 23)، أَيْ: مُداومون عَلَيها، ولَيْسُوا كَمَنْ يَفْعَلُها في وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ.

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[2] مِنْ حديثِ عائشةَ ﵂: قالتْ: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**إنَّ أَحَبَّ الأعمالِ إلى اللهِ ما دُووِمَ عَلَيْهِ، وإنْ قَلَّ**».

وكانَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ إذا عَمِلُوا عَمَلًا أَثْبَتُوهُ. قال **النَّوويُّ** ﵀: «أَيْ: لَازَمُوهُ وداوَمُوا عَلَيْهِ»[3].

ومِنْ عِلَاجِ ضَعْفِ الإيمانِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ : الدُّعَاءُ.

ففي «مُستدرك الحاكم» بسندٍ حَسَنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «الصَّحيحةِ»[4] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ العاصِ ﵄: قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الإيمانَ لَيَخْلَقُ[5] في جَوْفِ أَحَدِكُمْ كما يَخْلَقُ الثَّوْبُ؛ فاسْأَلُوا اللهَ أَنْ يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلُوبِكُمْ**».

---

(1) القَرَن ـ بفتحتَيْنِ ـ : جَعْبَة السِّهام.

(2) رواه البخاريُّ (5861)، ومسلم (782).

(3) «شرح النَّوويِّ على صَحيح مسلمٍ» (3/ 319).

(4) «**حَسَنٌ**»: رواه الحاكمُ في «المستدرك» (1/ 4)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة»(1585).

(4) ليخلق: ليَبْلَى.

اللّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ بكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سمَّيتَ به نَفْسَكَ، أو ذكرته في كتابِكَ، أو علَّمته أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَو اسْتَأْثَرْتَ به في عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ ـ أَنْ تُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلُوبِنا، وتُحَبِّبَ إلينا الإيمانَ، وتُزَيِّنَهُ في قُلُوبنا، وتَجْعَلَنا هُدَاةً مُهْتدين، غَيْرَ ضالِّين ولا مُضِلِّين، إنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ.



4 ذِكْرُ شَيْءٍ مِنَ الكَبَائِرِ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ، حَدِيثي مَعَكُمْ اليَوْمَ ـ أيُّها النَّاسُ ـ عَنْ بَعْضِ كبائرِ الذُّنُوبِ تذكيرًا وتنبيهًا لِمَنْ كان له قَلْبٌ؛ يتَّقي غَضَبَ الله، وأليمَ عِقَابِهِ، فإنَّ اجتنابَ المُسْلمِ الكبائرَ مِنَ الذُّنُوبِ أَفْضَلُ مِنَ التقرُّبِ إلى الله بنوافلِ العِبادةِ، بَلْ إنَّ اجتنابَ كبائرِ الذُّنُوبِ سَبَبٌ لدُخُولِ الجنَّةِ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ (النساء: 31).

أمَّا كَيْفَ تَعْرِفُ الكبيرةَ مِنْ الذُّنُوبِ، فَنَحْنُ نَدَعُ الجَوَابَ لتُرْجُمانِ القُرْآنِ، وحِبْرُ هذِهِ الأُمَّةِ عَبْدِ الله بْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «الكبائِرُ: كُلُّ ذَنْبٍ خَتَمَهُ اللهُ بنارٍ، أو لَعْنةٍ، أَوْ غَضَبٍ، أَوْ عَذَابٍ». رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ في «تفسيرِهِ»[1].

وأمَّا عَنْ عَدَدِها فيقولُ: «هِيَ إلى سَبْعِمِائَةٍ أَقْرَبُ مِنْها إلى السَّبْعِ، غَيْرَ أَنَّهُ لا كبيرةَ مَعَ الاستغفارِ، ولا صَغِيرةَ مَعَ الإصرارِ». (رواه ابْنُ جَرِيرٍ)[2].

وأخرج عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْهُ قولَهُ: «هِيَ إلى سَبْعِينَ أَقْرَبُ مِنْها إلى السَّبْعِ».

وسَوْفَ أَذْكرُ بَعْضَ الكبائرِ على سَبيلِ المِثَالِ لا الحَصْرِ، **فَمِنَ الكبائرِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ: الشِّرْكُ باللهِ،** بَلْ هُوَ أكبرُ الكبائرِ، وأعظمُ الذُّنُوبِ على الإطلاقِ، وهُوَ الّذنْبُ الَّذي لا يَغْفِرُهُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ إلَّا بالتَّوبةِ والرُّجُوعِ عَنْهُ، قَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء: 48).

وفي «الصَّحيحين»[3] مِنْ حديثِ أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بأكبرِ الكبائرِ**».

قُلْنَا: بَلَى، يا رسولَ الله.

قال: «**الإشراكُ باللهِ، وعُقُوقُ الوالدَيْنِ** ـ وجَلَسَ وكان مُتَّكِئًا فقال: ـ **أَلَا وَقَوْلُ الزُّوْرِ**».

قال: فما زَالَ يُكَرِّرُها، حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

---

(1) «تفسيرُ ابْنِ جَرِيرٍ» (4/ 41).

(2) المرجع السابق (4/ 41).

(3) رواه البخاريُّ (2654)، ومسلمٌ (87).

وَمِنَ الكَبَائِرِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ : المُوْبقاتُ[1] **السَّبْعُ**، وهُنَّ: الشِّرْكُ بالله، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إلَّا بالحقِّ، وأَكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مالِ اليتيمِ، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَنَاتِ[2] المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاتِ.

ففي «الصَّحيحين»[3] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوْبِقَاتِ**».

قِيلَ: يا رسولَ الله، وما هُنَّ؟.

قال: «**الشِّرْكُ بالله، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حرَّم اللهُ إلَّا بالحقِّ، وأَكْلُ مالِ اليَتِيمِ، وأَكْلُ الرِّبا، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ**».

ومِنَ الكبائرِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ : تَرْكُ الصَّلاةِ كَسَلًا وتهاونًا، أمَّا تاركها جاحدًا لوُجُوبِها، أو مُسْتَهْزِئًا بها ـ فَهُوَ كافرٌ خارجٌ مِنْ ملَّةِ الإسلامِ باتِّفاقِ الأُمَّةِ، أمَّا تاركُ الصَّلاةِ تهاونًا وكَسَلًا فهُوَ مُرْتَكِبٌ لكبيرةٍ عُظْمَى.

ففي «صحيح مسلمٍ»[4] مِنْ جابرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ قال: «**إنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وبَيْنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاةِ**».

ومِنَ الكَبَائِرِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ : مَنْعُ الزَّكاةِ، قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ** ﴾ (آل عمران: 180).

---

(1) المُوبقات أَيِ: المُهْلِكات.

(2) المُحْصَنات: الحرائر العفيفات.

(3) رواه البخاريُّ (2766)، ومسلم (89).

(4) رواه مسلم (82).

وفي «صحيح البُخاريِّ»[1] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ آتاهُ اللهُ مالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زكاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ[2]، لَهُ زَبِيبَتَانِ[3]، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القيامةِ، ثُمَّ يأخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ ـ يَعْني: شِدْقَيْهِ ـ، يَقُولُ: أَنَا مالُكَ، أنا كَنْزُكَ**». ثُمَّ تَلا هذِهِ الآيةَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ (آل عمران: 180).

ومِنَ الكَبَائِرِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ: إفطارُ يَوْمٍ في رَمَضَان بَلا عُذْرٍ.

فقد أخرج النَّسائيُّ في «الكُبْرى»[4] بسندٍ صحيحٍ مِنْ حديثِ أبي أُمَامَةَ ﷺ قال: سَمِعْتُ رسولُ الله ﷺ يقولَ: «**بَيْنَما أنا نائمٌ أَتَاني رَجُلان، فَأَخَذَا بضَبْعي ـ أَيْ: بعَضُدي ـ، فأتيا بي جَبَلًا وَعِرًا، فقالا: اصْعَدْ، فَقُلْتُ: إنِّي لا أُطِيقُهُ. فقالا: سَنُسَهِّلُهُ لك، فَصَعِدْتُ، حَتَّى إذا كُنْتُ في سَوَادِ الجَبَلِ، إذا بأَصْوَاتٍ شَديدةٍ، قُلْتُ: ما هذِهِ الأَصْوَاتُ؟!، قالوا: هذا عُوَاءُ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ انطلقا بي، فإذا أنا بقَوْمٍ مُعلَّقين بعَرَاقِيبِهِمْ[5]، مُشَقَّقةٍ أَشْدَاقُهُمْ[6]، تَسِيلُ أَشْدَاقُهُمْ دمًا، قُلْتُ: مَنْ هَؤلَاءِ؟، قال: الَّذين يُفْطِرون قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ ـ أَيْ: قَبْلَ وَقْتِ الإفْطَارِ ـ ......**».

ومِنَ الكَبَائِرِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ: تَرْكُ الحَجِّ مَعَ القُدْرَةِ عَلَيْهِ.

---

(1) رواه البخاريُّ (4565).

(2) الشُّجَاع: الحيَّة، والأَقْرَع: الَّذي تَمَرَّطَ شَعَرُ رَأْسِهِ؛ لجَمْعِهِ السُّمَّ فيه.

(3) الزَّبيبتانِ: النُّقْطتانِ السَّوْداوانِ فَوْقَ عَيْنَيِ الحيَّةِ، وهُوَ أَوْحَشُ ما يكونُ مِنَ الحيَّاتِ وأخبثُهُ، وقيل: هُمَا زَبَدَتانِ في شِدْقَيْها.

(4) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه النسائي في «الكبرى» (3286).

(5) العراقيب: جَمْعُ عُرْقُوبٍ ـ بزِنَةِ عُصْفُورٍ ـ، وهُوَ عَصَبٌ غليظٌ فوقَ عَقِبِ الإنسانِ.

(6) الأشداق: جَمْعُ شِدْقٍ ـ بالكَسْرِ ـ، وهو جانبُ الفَمِ.

ما أعْظَمَهُ مِنْ ذَنْبٍ تَرْكَ العَمَلِ بأَحَدِ أَرْكَانِ الإسلامِ مَعَ القُدْرةِ عَلَيْهِ!، واللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ يَقُولُ في كتابِهِ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ (آل عمران: 97).

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**بُني الإسلامُ على خَمْسٍ: شَهادةِ أَنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ وأَنَّ مُحمَّدًا رَسولُ اللهِ، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضانَ**».

ومِنَ الكَبَائِرِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ: الزِّنا.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ (الإسراء: 32).

وفي «سنن أبي داوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة»[2] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا زَنَى الرَّجُلُ، خَرَجَ مِنْهُ الإيمانُ، كان عَلَيْهِ كالظُّلَّةِ، فإذا انْقَلَعَ رَجَعَ إليهِ الإيمانُ**».

ومِنَ الكَبَائِرِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ: السَّرِقَةُ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ (المائدة: 38).

ومِنَ الكَبَائِرِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ: شُرْبُ الخَمْرِ، قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: 90).

---

(1) رواه البخاريُّ (8)، ومسلم (16).

(2) «صَحيحٌ»: أخرجه أبو داوُدَ (4690)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (509).

وفي «سنن أبي داوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[1] مِنْ حديثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لَعَنَ اللهُ الخَمْرَ، وشَارِبَهَا، وسَاقِيَهَا، وبائِعَها، ومُبْتَاعَها، وعَاصِرَها، ومُعْتَصِرَها، وحَامِلَها، والمَحْمُولةَ إليهِ»**.

وبالإضافةِ إلى عُقُوبةِ اللَّعْنِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ فَقَدْ توعَّد اللهُ شَارِبَ الخَمْرِ بعُقُوباتٍ شَديدةٍ في الآخرةِ، ففي «صحيح مسلمٍ»[2] مِنْ حديثِ جابرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إنَّ على الله ـ عَزَّ وجلَّ ـ، عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ المُسْكِرَ: أَنْ يُسْقِيَهُ مِنْ طِينةِ الخَبَالِ»**. قالوا: يا رسولَ الله، وما طِينةُ الخَبَالِ؟. قال: **«عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عُصَارةُ أَهْلِ النَّارِ»**.

ويَدْخُلُ في الخَمْرِ كُلُّ ما خَمَرَ العَقْلَ، فالقاعدةُ العامَّةُ: أنَّ كُلَّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ.

ففي «صحيح مسلمٍ»[3] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»**.

مُسْكِرات ـ أيُّها النَّاسُ ـ خَمْرٌ، وإنْ سَمَّوْها بغَيْرِ اسْمِها، ففي «سنن أبي داوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة»[4] مِنْ حديثِ أبي مالكٍ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **«لَيَشْرَبَنَّ ناسٌ مِنْ أُمَّتي الخَمْرَ، يُسَمُّونها بغَيْرِ اسْمِها»**.

أيُّها النَّاسُ، إنَّ في الجنَّة أَنْهارًا مِنْ خَمْرٍ، كما قَالَ تَعالَى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ (محمد: 15).

---

(1) «صَحِيحٌ»: أخرجه أبو داوُدَ (3674)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (5091).

(2) رواه مسلم (2002).

(3) رواه مسلم (2003).

(4) «صَحِيحٌ»: أخرجه أبو داوُدَ (3688)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (90، 91).

ومَعْنَى ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ أَيْ: قَدْ نُفِيتْ عَنْها الآفاتُ الَّتي تَمْنَعُ كَمالَ اللَّذَّةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩﴾ (الواقعة: 18، 19).

أَيْ: لَيْسَ فيها صُدَاعٌ، ولا تُذْهِبُ عُقُولَهُمْ كخَمْرِ الدُّنْيا.

أيُّها النَّاسُ، ذلك وَصْفُ خَمْرِ الآخرةِ، لكنَّهُ حَرَامٌ على مَنْ شَرِبَ خَمْرَ الدُّنيا، إنْ ماتَ وَهُوَ يَشْرَبُها يُدْمِنُها، إلَّا أَنْ يَتُوبَ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ في الدُّنيا، فمات وهُوَ يُدْمِنُها لم يَتُبْ ـ لم يَشْرَبْهَا في الآخرةِ»**.

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ ..

الخُطْبةُ الثَّانيةُ ـ ذِكْرُ شَيْءٍ مِنَ الكَبَائرِ:

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أيُّها النَّاسُ، لم ننتَهِ مِنْ ذِكْرِ الكبائرِ، فلا يَزَالُ الشَّرِيطُ طَوِيلًا، **فمن الكبائرِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ الكَذِبُ.**

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[2] مِنْ حديثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«.... وإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدي إلى النارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كذَّابًا»**.

---

(1) رواه البخاريُّ (5575)، ومسلم (2003)، واللَّفْظُ لَهُ.

(2) رواه البخاريُّ (6094)، ومسلم (2067).

ومِنَ الكَبَائِرِ - أيُّها النَّاسُ - : الظُّلْمُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾ (الشعراء: 227).

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يَوْمَ القيامةِ**».

ومِنَ الكَبَائِرِ - أيُّها النَّاسُ - هَجْرُ الأقاربِ، وتَقْطِيعُ الأَرْحَامِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾** ﴾ (محمد: 22، 23).

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[2] مِنْ حديثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا يَدْخُلُ الجنَّةَ قاطِعُ رَحِمٍ**».

ومِنَ الكَبَائِرِ - أيُّها النَّاسُ - : أَخْذُ الرِّشْوَةِ على الحُكْمِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾** ﴾ (البقرة: 188).

وفي «مسند أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» مِنْ حديثِ ابْنِ عُمْرٍو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لَعْنَةُ الله على الرَّاشي والمُرْتشي**»[3].

والرَّاشي - أيُّها النَّاسُ - : هُوَ الَّذي يَدْفَعُ الرِّشْوَةَ، **والمُرْتَشي**: الَّذي يَأْخُذُها، والرِّشْوَةُ: ما يُعْطَى لإبْطَالِ حَقٍّ، أَوْ لإحقاقِ باطلٍ، أمَّا إذا أَعْطاها ليتوصَّلَ بها إلى

---

(1) رواه البخاريُّ (2447)، ومسلم (2579).

(2) رواه البخاريُّ (5984)، ومسلم (2556)، واللَّفْظُ لَهُ.

(3) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أَحْمَدُ (2/ 164)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (5101).

حَقٍّ، أو ليدفعَ بها عَنْ نَفْسِهِ ظُلْمًا، ولم يكن هُنَاكَ سبيلٌ لحُصُولِ الحَقِّ، ودَفْعِ الظُّلْمِ إلَّا بالرِّشْوةِ، وليس هُنَاكَ مِنْ يُنْصِفُهُ ـ فإنَّهُ ـ والحالةُ هذِهِ ـ لا يَدْخُلُ في اللَّعْنِ.

ومِنَ الكَبَائِرِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ اللَّعْنُ.

ففي «صحيح البخاريِّ»[1] مِنْ حديثِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: **«سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وقِتَالُهُ كُفْرٌ»**.

ومِنَ الكَبَائِرِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ الغَدْرُ وعَدَمُ الوَفَاءِ بالعَهْدِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[2] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيه، كانَ مُنافقًا خالصًا، ومَنْ كانتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كانتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَها: إذا اؤْتُمِنَ خان، وإذا حَدَّث كَذَبَ، وإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذا خاصَمَ فَجَرَ»**.

ومِنَ الكَبَائِرِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ أَذِيَّةُ الجارِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[3] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: **«لا يَدْخُلُ الجنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوَائِقَهُ[4]»**.

ومِنَ الكَبَائِرِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ أَذَى المُسلمين وشَتْمُهُمْ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (الأحزاب: 58).

---

(1) رواه البخاريُّ (48).

(2) رواه البخاريُّ (34)، ومسلم (58).

(3) رواه البخاريُّ (6016)، ومسلم (46)، واللَّفْظُ لَهُ.

(4) البوائق: جَمْعُ بائقةٍ، وهي الغَائِلةُ والدَّاهيةُ والفَتْكُ.

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها: قالتْ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامةِ مَنْ تركَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ**».

ومِنَ الكَبَائِرِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ النَّميمةُ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ ـ: ﴿**هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ⑪**﴾ (القلم: 11).

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[2] مِنْ حديثِ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا يَدْخُلُ الجنَّةَ نَمَّامٌ**».

ومِنَ الكَبَائِرِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ الغِيْبةُ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ ـ: ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا**﴾ (الحجرات: 12).

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[3] مِنْ حديثِ أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قال في خُطْبَةِ يَوْمِ النَّحْرِ «**أَيُّ شَهْرٍ هذا؟**». فسكَتْنا حتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بغَيْرِ اسْمِهِ، قال: «**أَلَيْسَ ذَا الحَجَّةِ؟**». قُلْنا: بَلَى. قال: «**فَأَيُّ بَلَدٍ هذا؟**». فَسكتْنا حتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بغَيْرِ اسْمِهِ، فقال: «**أَلَيْسَ بَلَدَ اللهِ الحَرَامَ؟**». قُلْنا: بَلَى.

قال: «**فَأَيُّ يَوْمٍ هذا؟**». فَسكتْنا حتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بغَيْرِ اسْمِهِ، فقال: «**أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟**». قُلْنا: بَلَى.

قال: «**فإنَّ دِمَاءَكُمْ، وأموالَكُمْ، وأَعْرَاضَكُمْ عليكم حَرَامٌ كحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا**».

---

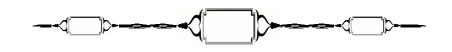
(1) رواه البخاريُّ (6032)، ومسلم (2591).

(2) رواه البخاريُّ (6056)، ومسلم (105)، واللَّفْظُ لَهُ.

(3) رواه البخاريُّ (1741)، ومسلم (1679).

أَيُّها النَّاسُ، تِلْكَ بَعْضُ الكبائرِ، وإلَّا فالكبائِرُ كثيرةٌ، يَجِبُ العِلْمُ بها، وهي مُدَوَّنةٌ في كتابِ «الزَّوَاجِرِ» للهيثميِّ، و«الكبائر» للذَّهبيِّ، و«تنبيه الغافلين» للدِّمَشْقيِّ، وغَيْرِها مِنْ كُتُبِ أَهْلِ العِلْمِ.

اللّهُمَّ وَفِّقْنا للعِلْمِ النَّافِعِ، والعَمَلِ الصَّالحِ، وجَنِّبْنا الكبائرَ والمُحَرَّماتِ، واحفَظْنا مِنْ كُلِّ شَرٍّ، إنَّكَ أنت خَيْرُ حافظٍ، وأنت أَرْحَمُ الرَّاحمين.



5 مِنْ أحْكـــامِ اليَـمِـينْ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ، حَدِيثي مَعَكُمُ اليَوْمَ ـ أيُّها النَّاسُ ـ عَنْ أَحْكامِ اليَمِينِ.

واليَمِينُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ مَشْرُوعةٌ بالكتابِ، والسُّنَّةِ، والإجْماعِ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ (المائدة: 89).

وقَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ (النحل: 91).

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ أبي مُوْسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي واللهِ ـ إنْ شَاءَ اللهُ ـ لا أَحْلِفُ على يَمِينٍ، فأَرَى غَيْرَها خيرًا مِنْهَا، إلَّا أَتَيْتُ الَّذي هُوَ خَيْرٌ، وتَحَلَّلْتُها**».

---

(1) رواه البخاريُّ (6623)، ومسلم (1649).

أيُّها الناسُ، إنَّ لليمينِ أحكامًا لا يَنْبَغي للمُسْلِمِ أَنْ يَمُرَّ عليها مُرُورًا عابرًا، فلا بُدَّ أَنْ يَلُمَّ بها، وسَوْفَ أذكرُ شيئًا مِنْ ذلك، فَمِنْ تِلْكَ الأحكامِ: أَنَّهُ يَحْرُمُ الحَلِفُ بغَيْرِ الله: كالحَلِفِ بالأمانةِ، والشَّرَفِ العسكريِّ، والنَّبيِّ، والكَعْبةِ، وولدي، وحَيَاتي، أو بمِلَّةٍ غَيْرِ الإسلامِ، ونَحْوِ ذلك؛ لأدلَّةٍ كثيرةٍ، فمنها:

ما جاء في «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قال: قال لي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ يَنْهاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بآبائِكُمْ »**.

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[2] مِنْ حديثِ ثابتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ حَلَفَ على يَمِينٍ بملَّةٍ غَيْرِ الإسلامِ كاذبًا ـ فَهُوَ كما قَالَ»**.

وفي «سنن أبي داوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء»[3] مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ حَلَفَ بغَيْرِ اللهِ، فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»**.

وهُنَا فائدةٌ مُهِمَّةٌ مِنْ إفادةِ اللَّجنةِ الدَّائمةِ للإفتاءِ بالسُّعُوديَّةِ: «الحَلِفُ بغَيْرِ اللهِ يُعْتَبَرُ شِرْكًا أَصْغَرَ، فإنْ قام بقَلْبِهِ تعظيمٌ لِمَنْ حَلَفَ بِهِ مِنَ المَخْلُوقاتِ مِثْلُ تعظيمِ اللهِ ـ فَهُوَ شِرْكٌ أكبرُ»[4].

وفي «سنن أبي داوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة»[5] مِنْ حديثِ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ حَلَفَ بالأمانةِ، فَلَيْسَ مِنَّا»**.

---

(1) رواه البخاريُّ (6647)، ومسلم (1646).

(2) رواه البخاريُّ (1363)، ومسلم (110).

(3) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أبو داوُدَ (3251)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء» (2561).

(4) «فتاوى اللَّجنة الدَّائمة» (1/ 224).

(5) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أبو داوُدَ (3253)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (94).

وَمِنْ أحكامِ اليَمِينِ: العِلْمُ أَنَّ الحَلِفَ بغَيْرِ الله لَيْسَ لَهُ كفَّارةُ يَمِينٍ، كما لا يَنْعَقِدُ بِهِ اليمينُ، ولكنْ لَهُ كفَّارةٌ خاصَّةٌ، هيَ التَّوْبَةُ والاستغفارُ، وأنْ يَأْتِيَ الحَالِفُ بكلمةِ التَّوْحيدِ؛ لأنَّهُ أَتَى شِرْكًا، وفَعَلَ مُحَرَّمًا، دَلِيلُنا ما جاء في «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ، فقال في حَلِفِهِ: باللَّاتِ، فَلْيَقُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ومَنْ قال لصاحبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ فَلْيَتَصَدَّقْ بشَيْءٍ**».

والأَصْلُ في هذا ـ أيُّها النَّاسُ ـ قَوْلُ ربِّنا ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿**إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ**﴾ (هود: 114).

وفي «مسندِ أحْمَدَ» و«سُنَن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[2] مِنْ حديثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُها، وخَالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ**».

وَمِنْ أحكامِ اليَمِينِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ: العِلْمُ بأَقْسَامِها، وأنَّها تَنْقسم إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

القِسْمُ الأوَّلُ ـ اليَمِينُ اللَّغْوُ.

وَهِيَ ـ أيُّها النَّاسُ ـ ما جَمَعَتْ أَمْرَيْنِ:

الأوَّل ـ ما يَجْري على لِسَانِ المُتكلِّم بلا قَصْدٍ.

الثَّاني ـ اليَمِينُ الَّتي يَحْلِفُها يَظُنُّ صِدْقَ نَفْسِهِ.

وصُورَتُها: كأَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ ـ مَثَلًا ـ: واللهِ، لَتَفْعَلَنَّ كذا، ولا واللهِ، وبَلَى واللهِ.

(1) رواه البخاريُّ (4860)، ومسلم (1647).

(2) «**حَسَنٌ**»: أخرجه أحمدُ (5/ 153)، والتِّرْمِذيُّ (1987)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (1/ 97).

وقد جاء هذا في «صحيحِ البُخاريِّ»[1] عَنْ عائشةَ رضي الله عنها: قالتْ: «أُنْزِلتْ هذِهِ الآيةُ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ في قَوْلِ الرَّجُلِ: لا واللهِ، وبَلَى واللهِ».

وحُكْمُ اليَمِينِ اللَّغْوِ: لا كَفَّارةَ فيها ولا شَيْءَ؛ لعَدَمِ انعقادِ القَلْبِ عليها، دليلُنا قَوْلُ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ (المائدة: 89).

فاللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: نَفَى المُؤَاخذةَ عليها، وهذا يَقْتَضِي رَفْعَ حُكْمِها، وعَدَمَ لُزُومِ الكفارةِ فيها.

والقِسْمُ الثَّاني مِنْ أقسامِ اليَمِينِ ـ اليَمِينُ الغَمُوسُ:

وهي مِنْ كبائرِ الذُّنُوبِ، وسُمِّيتْ بذلك؛ لأنَّها تَغْمِسُ صاحِبَها في الإثْمِ، ثُمَّ في النارِ.

والمُرَادُ باليَمينِ الغَمُوسِ: الَّتي يَحْلِفُها على أَمْرٍ ماضٍ كاذبًا عالمًا، واليَمِينُ الَّتي يَحْلِفها كاذبًا؛ ليقتطعَ بها مالَ امْرِىءٍ مُسْلمٍ.

ففي «صحيحِ البُخاريِّ»[2] مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قال: جاء أَعْرابيٌّ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسولَ اللهِ، ما الكَبَائِرُ؟. قال: «**الإشراكُ باللهِ**». قال: ثُمَّ ماذا؟. قال: «**ثُمَّ عُقُوقُ الوالدَيْنِ**». قال: ثُمَّ ماذا؟. قال: «**اليَمِينُ الغَمُوسُ**». قُلْتُ: وما اليَمِينُ الغَمُوسُ؟. قال: «**الَّذي يَقْتَطِعُ مالَ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ، هُوَ فيها كاذبٌ**».

فالحديثُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ صَرِيحٌ في تَفْسِيرِ اليَمِينِ الغَمُوسِ.

واليَمِينُ الغَمُوسُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ لا كفارةَ فيها على الصَّحِيحِ، وهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ العُلَماءِ.

---

(1) رواه البخاريُّ (4613).

(2) رواه البخاريُّ (6920).

ففي «مُسْنَدِ أحمدَ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «الإرواء»[1] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**خَمْسٌ لَيْسَ لَهُنَّ كفَّارةٌ**». وذَكَرَ مِنْهُنَّ: «**الحَلِف على يَمِينٍ فاجرةٍ؛ يقتطعُ بها مالَ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ**».

والقِسْمُ الثَّالثُ مِنْ أَقْسامِ اليَمِينِ - اليَمِينِ المُكَفَّرَةُ:

أَي: المُنْعَقِدَةُ على أَمْرٍ مُسْتقبلٍ هي الَّتي تَجِبُ فيها الكفَّارةُ، ولا تَجِبُ الكفَّارةُ إلَّا بشُرُوطٍ، منها:

الشَّرْطُ الأَوَّل - العَقْلُ: فإنْ كان مجنونًا، لم تَنْعَقِدْ يمينُهُ.

الشَّرْطُ الثَّاني - البُلُوغُ: فإن كان غَيْرَ مُمَيِّزٍ، فيمينُهُ غَيْرُ مُعْتَمدةٍ.

الشَّرْطُ الثَّالِثُ - الاختيارُ: فإن كان مُكْرَهًا، أو مُخْطئًا ناسيًا - لم تَنْعَقِدْ يمينُهُ.

أَيُّها النَّاسُ، إنَّهُ مَتَى اسْتَثْنَى الحَالِفُ، فقال: إنْ شَاءَ اللهُ مَعَ يَمِينِهِ، لَمْ يَحْنَثْ فيها، ولم تَلْزَمْهُ الكفَّارةُ، دليلُنا قَوْلُهُ - تعالى -: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (الكهف: 69).

وفي «مُسْنِدِ أحمدَ» و«سُنَنِ أبي داوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح أبي داوُدَ»[2] مِنْ حديثِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ يَبْلُغُ به النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ على يَمِينٍ، فقال: إنْ شَاءَ اللهُ - فَقَدِ اسْتَثْنى**».

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

---

(1) «**حَسَنٌ**»: أخرجه أحمدُ (2/ 361)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «الإرواء» (8/ 193).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (2/ 6)، وأبو داوُدَ (3261)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح أبي داوُدَ» (2794).

الخُطْبةُ الثَّانيةُ ـ كفَّارةُ اليَمين :

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ تقدَّم الحديثُ مَعَكُمْ عَنْ بَعْضِ أَحْكَامِ اليَمِينِ، والآنَ حَدِيثي مَعَكُمْ عَنْ مَرْبَطِ الفَرَسِ، وبَيْتِ القَصيدِ، أَلَا وهُوَ كفَّارةُ اليَمِينِ.

أيُّها النَّاسُ، شَرَعَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ الكفَّاراتِ سِتْرًا للذُّنُوبِ، وتمحيصًا لها، وتَهْذِيبًا للنُّفُوسِ، ومِنْ تِلْكَ الكفَّاراتِ كفَّارةُ اليَمِينِ، وهي واجبةٌ بالكتابِ، والسُّنَّةِ، والإجْماعِ.

أمَّا الكتابُ فقولُهُ ـ تعالى ـ : ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ (المائدة: 89).

وَمِنْ حِفْظِ اليَمِينِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ : التَّكْفِيرُ بَعْدَ الحِنْثِ[1].

وقَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ (التحريم: 2).

والتَّحِلَّةُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ : هي الكفَّارةُ؛ لأنَّها تَحُلُّ اليَمِينَ، وقَدْ فَرَضَها الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ .

وأمَّا السُّنَّةُ ففي «الصَّحيحَيْنِ»[2] مِنْ حديثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ : «**إذا حَلَفْتَ على يَمِينٍ، فرأيتَ غَيْرَها خَيْرًا منها ـ فَأْتِ الَّذي هُوَ خَيْرٌ، وكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ**».

(1) الحِنْث ـ بالكَسْر ـ : الخُلْف في اليَمين.

(2) رواه البُخاريُّ (6722)، ومسلم (1652).

وأمَّا الإجماعُ فقال **ابْنُ الْمُنْذِرِ** رحمه الله: «وأَجْمَعُوا على أنَّ مَنْ حَلَفَ باسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ ـ سبحانَهُ وتعالى ـ، ثُمَّ حَنِثَ ـ أنَّ عليه الكفَّارةَ»[1].

أَيُّها النَّاسُ، كفَّارةُ اليَمِينِ الْمُنْعَقِدَةِ ـ إذا حَنِثَ مِنها الحالفُ ـ هي: إطعامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ، أو كسْوَتُهُمْ، أو تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُسْلِمةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ، فَصِيَامُ ثلاثةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَةٍ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ **لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾** ﴾ (المائدة: 89).

أَيُّها النَّاسُ، لَقَدْ بَيَّنَتِ الآيةُ كَفَّارةَ اليَمِينِ أَتَمَّ بَيَانٍ، فقولُهُ ـ تعالى ـ: ﴿ **فَكَفَّارَتُهُ** ﴾ أَيْ: كفَّارةُ اليَمِينِ الَّتِي عَقَدْتُمُوها بقَصْدِكُمْ، وقولُهُ ـ تعالى ـ: ﴿ **إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ** ﴾.

وذلك الإطعامُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ كما بَيَّنَهُ ربُّنا ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ بقَوْلِهِ: ﴿ **مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ** ﴾.

وَلَهُ صِفتَانِ:

الصِّفَةُ الأُولَى ـ إمَّا أَنْ يَصْنَعَ طَعَامًا، أَوْ يَشْتَرِيَهُ لَهُمْ، فَيُطْعِمَهُمْ جَمِيعًا، وهذا جائزٌ.

الصِّفَةُ الثَّانيةُ ـ وَيُرَادُ بها التَّقْدِيرُ، وهي: أَنْ يُعْطِيَ كُلَّ مِسْكينٍ كيلو مِنَ الأَرُزِّ، أَوِ القَمْحِ، أَوْ ما يَقُومُ مَقَامَهُمَا مِنَ الطَّعامِ، فيكون الجميع عَشَرةَ كيلو جرامًا، وهذا ما ذَهب إليه العلَّامةُ النجميُّ رحمه الله في بَحْثٍ قَيِّمٍ، حَيْثَ نَصَرَ القَوْلَ بأنَّ التَّقْدِيرَ عَشَرَةُ كيلو جرامًا ـ وأَبْطَلَ جَمِيعَ التَّقْديراتِ بأدلَّةٍ كالشَّمْسِ في رابعةِ النَّهَارِ رحمه الله، وغَفَر له.

---

(1) «الإجماع» (ص137).

ثانيًا ـ الكِسْوَةُ:

بَيَّن اللهُ ـ سبحانَهُ وتعالى ـ أنَّها نَوْعٌ مِنَ الأَنْوَاعِ الَّتي تَتِمُّ بها الكَفَّارةُ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ دَلِيلٌ شَرْعيٌّ يُبَيِّنُ القَدْرَ الواجبَ مِنَ الكِسْوَةِ، والَّذي يَظْهَرُ أنَّ المَرْجِعَ إلى عُرْفِ كُلِّ بَلَدٍ، والكِسْوَةُ: هي الَّتي تُجْزِىءُ في الصَّلَاةِ.

ثالثًا ـ تَحْرِيرُ الرَّقَبَةِ:

وهذا هُوَ النَّوْعُ الثَّالثُ مِنْ أَنْواعِ كفَّارةِ اليَمِينِ، ودَلِيلُهُ قولُهُ ـ تعالى ـ: ﴿**أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ**﴾ أيْ: عِتْقُ رقبةٍ مُؤْمِنةٍ، كما قُيِّدَتْ في غَيْرِ هذا المَوْضِعِ، فمتى فَعَلَ واحدًا مِنْ هذِهِ الثَّلاثَةَ، فَقَدِ انْحَلَّتْ يَمِينُهُ.

رابعًا ـ الصِّيامُ: والصِّيامُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ: هُوَ صِيَامُ ثَلَاثةِ أيَّامٍ مُتتابعةٍ، لا انقطاعَ بَيْنَها.

وتأمَّلوا مَعِي قولَهُ ـ تعالى ـ ﴿**فَمَن لَّمْ يَجِدْ**﴾ أَيْ: واحدةً مِنَ الثَّلاثِ المُتقدِّمةِ، وهي: الإطعامُ، والكِسْوَةُ، وتَحْرِيرُ الرَّقَبةِ ـ فعليه بما يَأْتِي، وهُوَ قولُهُ ـ تعالى ـ: ﴿**فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ**﴾.

فكفَّارةُ اليَمِينِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ جَمَعَتْ بَيْنَ التَّرتيبِ والتَّخْيِيرِ، فالتَّخْيِيرُ فيما سَبَقَ (أَيْ: هُوَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ الإطعامِ والكِسْوَةِ وتَحْرِيرِ رَقَبةٍ) فإنْ تَعَذَّرَ ذلك، رَجَعَ إلى الصَّوْمِ.

اللّهُمَّ إنَّا نسألُكَ عِلْمًا نافعًا، وعَمَلًا مُتَقَبَّلًا، اللّهُمَّ حَبِّبْ إلينا العِلْمَ، وارْزُقْنا مِنْهُ، وكرِّهْ إلينا الجَهْلَ، واصْرِفْنا عَنْهُ، واجْعَلْنا هُدَاةً مُهْتَدِينَ.

6 الاستخارةُ(*)

الخُطْبةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهّ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ، حَدِيثي مَعَكُمْ اليَوْمَ ـ أيُّها النَّاسُ ـ عَنْ الاستخارةِ.

والاستخارةُ لُغَةً: هِيَ طَلَبُ الخَيْرِ مِنَ اللهِ في أَمْرٍ يَقْدُمُ الإنسانُ على فِعْلِهِ.

وشَرْعًا: دُعَاءٌ مَخْصُوصٌ يَدْعُو به المسلمُ عَقِبَ صلاةِ ركعتينِ مِنْ غَيْرِ الفريضةِ، يسأَلُ فيه ربَّهُ أنْ يختارَ له الخَيْرَ في فِعْلِ شيءٍ مَشْروعٍ أَوْ تَرْكِهِ.

سَنَّها رسولُ الله ﷺ للمسلمين، بَلْ إنَّهُ ﷺ كان يُعَلِّمُ صحابتَهُ دُعَاءَ الاستخارةِ، كما يُعَلِّمُهُمُ السُّورةَ مِنَ القُرْآنِ.

(*) انظر «البشارة في أحكامِ الاستخارة» لأحمدَ حَمْدان، فقدِ استفدتُ منه في إعدادِ هذِهِ الخُطْبةِ، جزاه اللهُ خيراً.

ففي «صحيح البُخاريِّ»[1] مِنْ حديثِ جابرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قال: كان رسولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنا الاستخارةَ في الأُمُورِ كُلِّها، كما يُعَلِّمُنا السُّورةَ مِنَ القُرْآنِ، يَقُولُ: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بالأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ:**

اللّهُمَّ إنِيِّ أَسْتَخِيرُكَ بعِلْمِكَ، وأَسْتَقْدِرُكَ بقُدْرَتِكَ، وأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العظيمِ، فإِنَّكَ تَقْدِرُ ولا أَقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولا أَعْلَمُ، وأنتَ علَّامُ الغُيُوبِ، اللّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذا الأَمْرَ ـ ويُسَمِّي حاجَتَهُ ـ خَيْرٌ لي في دِيني ومَعَاشي، وعاقبةِ أَمْرِي ـ أو قال: عاجِلِ أَمْرِي وآجِلِهِ ـ فاقْدُرْهُ لي، ويَسِّرْهُ لي، ثُمَّ بارِكْ لي فيهِ، وإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذا الأَمْرَ شَرٌّ لي في دِيني ومعاشي، وعاقبةِ أَمْرِي ـ أو قال: في عاجِلِ أَمْرِي وآجِلِهِ ـ فاصْرِفْهُ عنِّي، واصْرِفْني عَنْهُ، واقْدُرْ لي الخَيْرَ حَيْثُ كان، ثُمَّ أَرْضِني بِهِ»

أَيُّها النَّاسُ، الاستخارةُ مِنَ الدَّلائِلِ الظاهرةِ على صِدْقِ إيمانِ العَبْدِ بربِّهِ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ ، والاعترافِ لَهُ بالرُّبُوبيَّةِ، والألوهيَّةِ، والأسماءِ والصِّفاتِ؛ فإِنَّ العَبْدَ لا يَفْزَعُ إلى استخارةِ ربِّهِ فيما يَعْرِضُ لَهُ مِنَ الأُمُورِ ـ إِلَّا وَهُوَ يُؤْمِنُ بأَنَّ اللهَ هُوَ المَلِكُ الحَقُّ، المُتَصَرِّفُ في الكَوْنِ، المُتَّصفُ بصفاتِ الكمالِ كُلِّها، المُنَزَّهُ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ كُلِّها، دِقِّها وَجِلِّها.

فَهُوَ العَلِيمُ: الَّذي يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، لا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ في الأَرْضِ ولا في السَّماءِ، يَعْلَمُ ما كان وما سَيَكُونُ بعِلْمِهِ الواسعِ المُحيطِ بكُلِّ شيءٍ، فيعلمُ ما يَنْفَعُ العَبْدَ، وما يَضُرُّهُ، وما يُصْلِحُهُ، وما يُفْسِدُهُ.

وهُوَ القَدِيرُ: الَّذي لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ في الأَرْضِ ولا في السَّماءِ، إذا أراد شيئًا كان، وإذا أراد أَنْ يُيَسِّرَ أَمْرًا، لا يستطيعُ أَحَدٌ تَعْسِيرَهُ، وَهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

---

(1) رواه البُخاريُّ (1162).

وهُوَ المَلِكُ: الَّذي بيدِهِ مَلَكُوتُ السَّمَواتِ والأَرْضِ، فلا يَتَحَرَّكُ في الكَوْنِ مُتَحرِّكٌ، ولا يَسْكُنُ في الكَوْنِ ساكنٌ إلَّا بإذنِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ (النحل: 40).

وَهُوَ ذُو الفَضْلِ العظيم: الَّذي يَمُنُّ على مَنْ يَشَاءُ، ويُعْطي مَنْ يَشاءُ، ويتفضَّلُ على مَنْ يشاءُ، ويَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بغَيْرِ حِسَابٍ.

فَدُعاءُ الاستخارةِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ تضمَّنَ: الإقرارَ بوُجُودِ الله ـ سُبْحَانَهُ ـ، برُبُوبيَّتِهِ، وتَفْويضَ الأَمْرِ إليه، والاستعانةَ به، والتَّوَكُّلَ عليه، والخُرُوجَ مِنْ عُهْدةِ نَفْسِهِ، والتَّبرِّيَ مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ إلَّا بِهِ، واعترافَ العَبْدِ بعَجْزِهِ عَنْ عِلْمِهِ بمصلحةِ نَفْسِهِ، وقُدْرتِهِ عليها، وإرادتِهِ لها، وأنَّ ذلك كُلَّهُ بيدِ وَلِيِّهِ وفاطرِهِ وإلَهِهِ الحقِّ، كما قال ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ[1].

أيُّها النَّاسُ، الاستخارةُ إنَّما تكونُ في الأُمُورِ المُباحاتِ، ولا تكونُ في المُسْتَحَبَّاتِ، ولا الواجباتِ، وكذلك لا تكونُ في المكروهاتِ، ولا المُحَرَّمات. فلا يستخِرُ رَجُلٌ ـ مثلًا ـ كي يُصَلِّيَ نافلةَ الظُّهْرِ، ولا يستخِرِ لصَوْمِ رَمَضَانَ، ولا لصومِ الاثنينِ والخميسِ، ونَحْوِ ذلك، وكذلك لا يستخِرِ للشُّرْبِ قائمًا، ولا يستَخِرِ كي يَسْرِقَ، ولا يستخِرِ في أَصْلِ الزَّواجِ، ولكنْ إنِ استخارَ في أَمْرِ الزَّواجِ يَسْتَخِرْ في الَّتي يتزوَّجها، ويَسْتَخِرْ في وَقْتِ الزَّواجِ، وأَهْلِ العَرُوسِ، ونَحْوِ ذلك.

وكذلك يُسْتَخَارُ في الواجباتِ الَّتي وَقْتُها مُوَسَّعٌ: كالحَجِّ ـ عِنْدَ مَنْ يَرَى أَنَّهُ يَجِبُ على التَّراخي، وهذا عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ ـ بمَعْنَى: أَنَّهُ يستخيرُ هَلْ يَحُجُّ هذا العَامَ، أَوِ الَّذي يَلِيهِ؟.

---

(1) «زاد المعاد» (2/ 444).

وكذلك يَجُوزُ أَنْ يُسْتَخَارَ في المُسْتَحَبَّاتِ عِنْدَ تواردُها، وتعارُضِها، فمَثَلًا: أراد رَجُلٌ أَنْ يَتَطَوَّعَ بعُمْرَةٍ، وبَدَا لَهُ أَنْ يَذْهَبَ لمكانٍ آخَرَ لتعلُّمِ العِلْمِ الشَّرْعيِّ لِخِدْمةِ دِينِهِ، وأَهْلِ بَلَدِهِ، فيجوزُ لَهُ حينَئِذٍ أَنْ يَسْتَخِرَ[1].

أَيُّها النَّاسُ، سَمِعْتُمْ أَنَّه لا تَجُوزُ الاستخارةُ في أَصْلِ الزَّواجِ ـ أَيْ: هَلْ يتزوَّجُ المَرْءُ أَمْ يَتْرُكُ الزَّواجَ ـ نَعَمْ، لا تَجُوزُ الاستخارةُ هكذا؛ لأنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَمَرَ بالزَّواجِ، فقال: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ (النور: 32).

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[2] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ استطاع مِنْكُمُ الباءَةَ (أَيِ: القُدْرَةَ على الزَّواج) فَلْيَتَزَوَّجْ**».

ولكنْ إذا استخار في أَمْرِ الزَّواجِ، يَسْتَخِيرُ في الَّتي يتزوَّجُها، ويستخِرُ في وَقْتِ الزَّواجِ، وأَهْلِ العَروسِ، ونَحْوِ ذلك[3].

فهذا الَّذي يَجِبُ أَنْ يَسْتخِرَ حَوْلَهُ، وقَدْ تقدَّم أنَّ الواجبات، والمُسْتَحَبَّاتِ، والمكروهاتِ، والمُحَرَّماتِ ـ لا استخارةَ فيها، وإنَّما الاستخارةُ في الأُمُورِ المُبَاحاتِ، فَمَتَى أَقْدَمَ رَجُلٌ على خِطْبَةِ امْرَأةٍ، وقَوِيَتْ نِيَّتُهُ، ورَأَى في مَخْطُوبتِهِ الصِّفاتِ الحسنةَ ـ ومنها الدِّينُ ـ استخار رَبَّهُ، وكذلك المرأةُ؛ لما في «صحيح مسلم»[4] مِنْ حديثِ أَنَسٍ رضي الله عنه: أنَّ أُمَّ المؤمنينَ زَيْنَبَ رضي الله عنها استخارتْ ربَّها حِينَ أَرْسَلَ النَّبيُّ ﷺ لِخِطْبَتِها،

(1) «جامع أحكام النِّساء» للعَدَويِّ (3/ 218).

(2) رواه البُخاريُّ (1905)، ومسلم (1400).

(3) «جامع أحكام النِّساء» (3/ 218).

(4) رواه مسلم (1428).

فقالتْ: «ما أنا بصانعةٍ شَيْئًا، حتَّى أُوَامِرَ رَبِّي». فقامتْ إلى مَسْجِدِها (أَيْ: موضعِ صلاتِهَا مِنْ بَيْتِهَا)، ونَزَلَ القُرآنُ، وجاء رسولُ الله ﷺ، فدخل عليها بغَيْرِ إذْنٍ.

أَيُّها النَّاسُ، هُناك أُمُورٌ في الزَّواجِ لا تحتاجُ إلى استخارة، فإذا تقدَّم لامْرَأَةٍ رَجُلٌ خَمَّارٌ أو فاسقٌ مِنَ الفُسَّاقِ، أو مُفَرِّطٌ في دِينٍ ـ فعلى المَرْأَةِ أَنْ تَرْفُضَ مَنْ هذا حالُهُ، وكذلك الرَّجُلُ.

أَيُّها النَّاسُ، البَعْضُ يَنْتَظِرُ بَعْدَ الاستخارةِ انْشَرَاحَ صَدْرٍ، أَوْ رُؤْيا مَنَاميَّةً، وهذا لا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

قال **ابْنُ الزِّمْلِكَانِيِّ** رَحِمَهُ اللهُ: «إذا صَلَّى الإنسانُ رَكْعَتَي الاستخارةِ لأَمْرٍ، فَلْيَفْعَلْ بَعْدَها ما بَدَا لَهُ، سواء انْشَرَحَتْ نَفْسُهُ أَمْ لا؛ فإنَّ فيه الخَيْرَ، وإنْ لم تَنْشَرِحْ لَهُ نَفْسُهُ». قال: «وليس في الحديثِ اشتراطُ انْشِرَاحِ النَّفْسِ»[1].

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

(1) «طبقات الشَّافعيَّة» (9/ 206).

الخُطْبةُ الثَّانيةُ ـ مِنْ فوائدُ الاستخارةِ :

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ الُمرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ تقدَّم الحديثُ مَعَكُمْ عَنْ الاستخارةِ، والآن حديثي مَعْكُمْ عَنْ ذِكْرِ شَيْءٍ مِنْ فوائِدِها.

فَمِنْ فَوائِدِ الاستخارةِ:

الاستجابةُ لأَمْرِ رَسُولِ الله ﷺ، حَيْثُ قال: «**إذا هَمَّ أَحَدُكُمْ بالأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ ركعتين مِنْ غَيْرِ الفَرِيْضةِ، ثُمَّ ليقُلْ .....**»[1].

وَمِنْ فوائدُ الاستخارةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ : تَحْقيقُ العُبُوديَّةِ، وذلك بالتَّوجُّهِ إلى الله بالصَّلاةِ والدُّعَاءِ، وهُما مِنْ أَجَلِّ العِبَادةِ.

ففي «صحيح مسلم»[2] مِنْ حديثِ ربيعةَ بْنِ مالكٍ الأَسْلميِّ رضي الله عنه قال: قال لي رَسُولُ الله ﷺ: «**سَلْ**». فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرافَقَتَكَ في الجنَّةِ. فقال: «**أَوَ غَيْرَ ذلك**». قُلْتُ: هُوَ ذاك. قال: «**فأَعِني على نَفْسِكَ بكَثْرَةِ السُّجُودِ**». والمَقْصُودْ بـ«**بكَثْرَةِ السُّجُودِ**»: الصَّلاةُ.

وفي «سُنن أبي داوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[3] مِنْ حديثِ النُّعْمانِ بْنِ بَشيرٍ رضي الله عنهما أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةِ**».

---

(1) تقدَّم تخريجُهُ.

(2) رواه مسلم (489).

(3) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أبو داوُدَ (1479)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (3407).

وَمِنْ فوائدُ الاستخارةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ :إيمانُ العَبْدِ بأَنَّهُ لا يَقَعُ في الكَوْنِ إِلَّا ما أرادَهُ اللهُ واخْتَارَهُ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (القصص: 68).

قال ابْنُ كثيرٍ رحمه الله: «يخبر ـ تعالى ـ: أَنَّهُ المُنْفَرِدُ بالخَلْقِ والاختيارِ، وأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ في ذلك مُنازِعٌ، ولا مُعَقِّبٌ ... فما شاءَ كان، وما لم يَشَأْ لم يَكُنْ، فالأُمُورُ كُلُّها خَيْرُها وشَرُّها بيدِهِ، ومَرْجِعُها إِلَيْهِ»[1].

وَمِنْ فوائدُ الاستخارةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ :أَنَّها مِنْ أَسْبابِ سعادةِ العَبْدِ لتوكُّلِهِ على ربِّهِ، ورضاهُ بما يَقْضِيهِ لَهُ.

قال ابْنُ القَيِّم رحمه الله: «فتأمَّلْ كيف وقع المَقْدُورُ مُكْتَنَفًا بأَمْرَيْنِ:

التَّوَكُّلِ الَّذي هُوَ مَضْمُونُ الاستخارةِ قَبْلَهُ، والرِّضى بما يَقْضي اللهُ لَهُ بَعْدَهُ، وهُمَا عنوانُ السَّعادةِ. وعنوانُ الشَّقاءِ: أَنْ يَكْتَنفَهُ تَرْكُ التَّوَكُّلِ والاستخارةِ قَبْلَهُ، والسَّخَطُ بَعْدَهُ»[2].

أَيُّها النَّاسُ، تِلْكَ الإستخارةُ، وتِلْكَ بَعْضُ فوائِدِها، فالْزَمُوها؛ فإِنَّها تَكَادُ أَنْ تَكُونَ سُنَّةً مَنْسيَّةً عِنْدَ كثيرٍ مِنَ النَّاسِ.

اللّهُمَّ وفِّقْنا لاتِّباعِ السُّنَّةِ، والعَمَلِ بها، اللّهُمَّ فقِّهْنا في الدِّينِ، وارْزُقْنا الحِكْمَةَ، وعلِّمْنا التَّأْوِيلَ، وَوَفِّقْنا إلى ما فيه رِضَاكَ، يا رَبَّ العالمينَ.

---

(1) تفسير ابْنِ كثيرٍ (6/ 98).

(2) «زاد المعاد» (2/ 444).

7 أُسُسُ اختيار الزَّوْجَةِ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ حَدِيثي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ أُسُسُ اختيارِ الزَّوْجَةِ.

أَيُّها النَّاسُ، الزَّوْجَةُ سَكَنٌ لزَوْجِها، وحَرْثٌ لَهُ، وهي فَهْوَى فُؤَادِهِ، ورَبَّةُ بَيْتِهِ، وأُمُّ أَوْلَادِهِ، عَنْها يَأْخُذُون صفَاتِهِمْ وَطِباعَهُمْ، فإنْ لم تكُنْ على قَدْرٍ عظيمٍ مِنَ الدِّينِ والخُلُقِ، فَشِلَ الزَّوجُ في تَكْوِينِ أُسْرَةٍ صالحةٍ؛ لهذا كان أُسُسَ اختيارِ الزَّوْجةِ: أَنْ تَكُونَ ذاتَ دِينٍ وخُلُقٍ لأدلَّةٍ كثيرةٍ، مِنْها:

قَوْلُ ٱللَّهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ : ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ (الحجرات: 13).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ (النور: 32).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء: 34).

ومِمَّا جاء في تَفْسيرِ هذِهِ الآيةِ: ما أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ بسَنَدٍ صَحيحٍ[1] عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رحمه الله في قَوْلِهِ ـ تعالى ـ : ﴿قَانِتَاتٌ﴾ : «يَعْني: مُطِيعاتٍ لله وَلِأَزْواجِهِنَّ».

وقال في قَوْلِهِ ـ تعالى ـ : ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ : «حافظاتٌ لأزواجِهِنَّ لما غاب من شَأْنِهِنَّ».

وفي «الصَّحيحين»[2] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: **«تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لـمـالِها، ولـحَسَبِها، ولجمـالِها، ولدِينِها، فاظْفَرْ بذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»**.

فقولُهُ: «**تَرِبَتْ يَدَاكَ**».أَيْ: الْتَصَقَتَا بالتُّرابِ، فَلَيْسَ الُمرادُ بِهِ الدُّعَاءَ على المَرْءِ، بَلِ المُبالغةَ في التَّحْرِيضِ على الشَّيْءِ، والحَثَّ على الأَخْذِ بِهِ[3].

وفي «صحيح مسلمٍ»[4] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: **«الدُّنْيا مَتَاعٌ، وخيرُ مَتَاعِها المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»**.

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه ابْنُ جَرِيرٍ في «تفسيره» (5/ 39).

(2) رواه البُخاريُّ (5090)، ومسلم (1466).

(3) انظر «جامع الأصول» (11/ 430)، و «عَوْن المعبود» (6/ 40).

(4) رواه مسلم (1467).

وفي «مسندِ أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة»[1] مِنْ حديثِ سَعْدِ بْنِ أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «**أربعٌ مِنَ السَّعَادةِ: المَرْأَةُ الصَّالحةُ، والمَسْكَنُ الواسِعُ، والجارُ الصَّالحُ، والمَرْكَبُ الهَنِيءُ. وأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاءِ: الجَارُ السَّوْءُ، والمَرْأَةُ السَّوْءُ، والمَرْكَبُ السَّوْءِ، والمَسْكَنُ الضَّيِّقُ**».

وفي «مسندِ أحمدَ» و«سُنَنِ ابْنِ ماجَهْ والتِّرْمِذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[2] مِنْ حديثِ ثَوْبانَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**ليتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شاكرًا، ولِسَانًا ذاكرًا، وزَوْجةً مُؤْمنةً؛ تُعِينُهُ على أَمْرِ الآخِرَةِ**».

أَيُّها النَّاسُ، إنَّ الإسلامَ ليُفَضِّلُ ذاتَ الدِّينِ على غَيْرِها، ولَوْ كانتْ أَمَةً.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ (البقرة: 221).

أَيُّها النَّاسُ، ليَخْتَرِ العاقلُ لنَفْسِهِ ـ أَوْ لِوَلَدِهِ ـ مِنَ اللَّائي ذَكَرَهُنَّ اللهُ في كتابِهِ، فقال: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ (النساء: 34).

وسُئِلَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ خَيْرِ النِّسَاءِ، فقال: (كما في «مسندِ أحمدَ» بسندٍ حَسَنٍ، حسَّنهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحة»[3] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه) «**الَّتي تَسُرُّهُ إذا نَظَرَ، وتُطِيعُهُ إذا أَمَرَ، ولا تُخَالِفُهُ في نَفْسِها ولا مالِها بما يَكرَهُ**».

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (1/ 118)، وابْنُ حِبَّانَ في «صَحِيحه» (1232)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (282).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (5/ 278)، وابْنُ مَاجَهْ (1856)، والتِّرْمِذيُّ (3093)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (5355).

(3) «**حَسَنٌ**»: أخرجه أحمدُ (4/ 341)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (1838).

وَمِنْ أُسُسِ اختيارِ الزَّوْجَةِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ: أَنْ تكُونَ وَلُودًا؛ لأنَّ طَلَبَ الذُّرِّيَّاتِ الصالحةِ مِنْ أُمْنِيَاتِ المُؤمنينَ، بَلْ هُوَ صفةٌ مِنْ صِفَاتِهِمْ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (الفرقان: 74).

وفي «مسندِ أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء»[1] مِنْ حديثِ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«تزوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ؛ فإنِّي مُكاثِرٌ بكمُ الأُمَمَ يَوْمَ القِيامةِ»**.

فالحديثُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ قَدْ حَثَّ على الوَلُودِ مِنَ النِّسَاءِ، وتُعْرَفُ الوَلُودُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ بالنَّظَرِ إلى حالِها مِنْ كَمالِ جِسْمِها، وسَلَامةِ صِحَّتِها مِنَ الأَمْراضِ الَّتي تَمْنَعُ الحَمْلَ أَوِ الوِلَادةَ، وبالنَّظَرِ إلى حالِ أُمِّها، وقِيَاسها على مَثِيلاتِها: مِنْ أَخَواتِها، وعمَّاتِها، وخالاتِها المُتَزَوِّجاتِ، فإنْ كُنَّ مِمَّنْ عادَتُهُنَّ الحَمْلُ والوِلَادةُ، كانتْ ـ في غالبِ أَمْرِها ـ مِثْلَهُنَّ[2].

كما حَثَّ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم على الزَّواجِ بالوَدُودِ ـ وهي: الَّتي تُقْبِلُ على زَوْجِها، فَتُحِيطُهُ بالمَوَدَّةِ والحُبِّ والرِّعايةِ، وتَحْرِصُ على طاعتِهِ ومَرْضَاتِهِ؛ يتحقَّقَ بها الهَدَفُ الأساسيُّ مِنَ الزَّواجِ، وهُوَ السَّكَنُ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ في وَصْفِ الحُورِ العِينِ:

﴿ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الواقعة: 36، 37).

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (3/ 158)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء» (1784).

(2) انظر «أُسُس اختيار الزَّوجة»، بَحْثٌ أعدَّهُ مُصْطفى الصياحنة في «مجلَّة البحوث» العدد 24 (ص250). وقَدِ استفدتُ مِنْهُ في إعدادِ هذِهِ الخُطْبَةِ، جزاه اللهُ خيراً.

والعَرُوبُ: هي المَرْأَةُ المُتحبِّبَةُ إلى زَوْجِها الوَدُودَةُ.

وقَدْ قال رسولُ الله ﷺ كما في الحديثِ السَّابقِ: «**تزوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ**».

وأَثْنَى رَسُولُ الله على نِسَاءِ قُرَيْشٍ بقَوْلِهِ (كما في «الصَّحيحين»[1] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه): «**نِسَاءُ قُرَيْشٍ خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ؛ أَحْنَاهُ على طِفْلٍ في صِغَرِهِ، وأَرْعاهُ على زَوْجٍ في ذَاتِ يَدِهِ**». وفي رِوايةٍ لهما: «**خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ**».

فَقدْ وَصَفَهُنَّ ﷺ بالشَّفَقَةِ على أَطْفَالِهِنَّ، والرَّأْفَةِ بِهِمْ، والعَطْفِ عليهم، وبأنَّهُنَّ يُرَاعِينَ حَالَ أَزْوَاجِهِنَّ، ويَرْفُقْنَ بهم، ويُخَفِّضْنَ الكُلَفَ عَنْهُمْ، فواحِدَتُهُنَّ تَحْفَظُ مالَ زَوْجِها، وتَصُونُهُ بالأمانةِ والبُعْدِ عَنِ التَّبْذِيرِ، وإذا افْتَقَرَ كانَتْ عَوْنًا لَهُ وسَنَدًا، لا عَدُوًّا وخَصْمًا.

وأخرج البَيْهقيُّ في «سُنَنِهِ»[2] بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة»[3] مِنْ حديثِ أبي أُذَيْنَةَ الصَّدَفِيِّ رضي الله عنه :أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**خَيْرُ نِسَائِكُمُ الوَدُودُ، الوَلُودُ، المُوَاتِيةُ، المُواسِيَةُ، إذا اتَّقَيْنَ اللهَ**».

ويَحْسُنُ أَنْ تَكُونَ المَرْأَةُ ذاتَ حَسَبٍ وجَمَالٍ؛ لأنَّ مَنِ اتَّصفتْ بالحَسَبِ تكُونُ في الغالبِ حَرِيصةً على صَلَاحِ الأُسْرَةِ، وصِيانِ شَرَفِ البَيْتِ، وقَدْ قال رسولُ الله ﷺ: «**تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لمالِها، ولحَسَبِها ....**»[4].

---

(1) رواه البُخاريُّ (5365)، ومسلم (2527).

(2) انظر «مجلَّة البحوث» العدد 24 (ص250).

(3) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه البَيْهَقيُّ في «سُننه» (7/ 82)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (1849).

(4) تقدَّم تخريجُهُ.

والحَسَبُ: هُوَ الشَّرَفُ بالآباءِ والأَقَارِبِ، مَأْخُوذٌ مِنَ الحِسَابِ؛ لأَنَّهُمْ كانوا إذا تَفَاخَرُوا عَدَّدُوا مَنَاقِبَهُمْ، ومآثِرَ آبائِهِمْ وقَوْمِهِمْ وحَسَبُوها.

ويُؤْخَذُ مِنَ الأحاديثِ المَذْكُورةِ أنَّ الشَّرِيفَ النَّسِيبَ يُسْتحبُّ لَهُ أنْ يتزوَّجَ بذاتِ حَسَبٍ ونَسَبٍ مثْله، إلَّا إنْ تعارض نَسِيبةٌ غَيْرُ دَيِّنَةٍ وغَيْرُ نَسِيبةٍ دَيِّنَةٍ ـ فَتُقَدَّمُ ذاتُ الدِّينِ، وهكذا في كُلِّ الصِّفَاتِ[1].

وبَديهيٌ أَنَّ الرَّجُلَ إذا تَزَوَّجَ المَرْأَةَ الحَسِيبةَ المُنْحَدِرةَ مِنْ أَصْلٍ كَريمٍ ـ أَنْجَبَتْ لَهُ أولادًا مَفْطُورين على مَعَالِي الأُمُورِ، مُتَطَبِّعين بعاداتٍ أَصيلةٍ، وأخلاقٍ قويمةٍ؛ لأَنَّهُمْ سيرضعون مِنْها لبَانَ المكارمِ، ويكتسبون خصَالَ الخَيْرِ[2].

وأمَّا الجمالُ فَهُوَ مَطْلُوبٌ مَرْغُوبٌ؛ ليحصلَ به للزَّوْجِ تَمَامُ العِفَّةِ، وقَدْ قال رسولُ الله ﷺ: «**خَيْرُ النِّساءِ الَّتي تَسُرُّهُ إذا نَظَرَ**»[3].

وقال: «**تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لمالِها، ولحَسَبِها، ولجمالها، ولدينِها**»[4].

وفي «صحيح مسلم»[5] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: كنتُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، فأَتَاهُ رَجُلٌ، فأخبره: أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، فقال لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَنَظَرْتَ إليها؟**». قال: لا.

قال: «**فاذْهَبْ فانْظُرْ إليها؛ فإنَّ في أَعْيُنِ الأَنْصَارِ شَيْئًا**».

---

(1) انظر «الفتح» (9/ 135)، و«عَوْن المعبود» (6/ 42).

(2) انظر «مجلَّة البحوث» العدد 24 (ص257).

(3) تقدَّم تخريجُهُ.

(4) تقدَّم تخريجُهُ.

(5) رواه مسْلم (1424).

قال صاحبُ «عَوْنِ المَعْبُودِ» رحمه الله: «يُؤْخَذُ مِنَ الأحاديثِ استحبابُ تَزَوُّجِ الجَمِيلةِ، إلَّا إذا كانتِ الجَمِيلةُ غَيْرَ دَيِّنَةٍ، والَّتي أَدْنَى مِنْها جمالًا مُتَدَيِّنَةً ـ فتُقَدَّمُ ذاتُ الدِّينِ، أمَّا إذا تَسَاوَتا في الدِّينِ فالجميلةُ أَوْلَى»[1].

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

الخُطْبَةُ الثَّانيةُ ـ أُسُسُ اختيارِ الزَّوْجِ :

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ تقدَّم الحديثُ مَعَكُمْ عَنْ أُسُسِ اختيارِ الزَّوْجَةِ، والآنَ حديثي مَعْكُمْ عَنْ أُسُسِ اختيارِ الزَّوْجِ.

أَيُّها النَّاسُ، إنَّهُ يَجِبُ على وليِّ المَرْأَةِ أَنْ يَتَخَيَّرَ لها الرَّجُلَ الصَّالحَ صاحِبَ الدِّينِ، وإنْ كان فقيرًا.

فَقَدْ قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور: 32).

وفي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ حَسَنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح التِّرْمذيِّ»[2] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : **«ثَلَاثَةٌ حَقٌّ على الله عَوْنُهُمْ: المجَاهِدُ في سَبيلِ الله، والمُكَاتِبُ الَّذي يُرِيدُ الأدَاءَ، والنَّاكِحُ الَّذي يُرِيدُ العَفَافَ»**.

---

(1) «عَوْن المعبود» (6/ 42)، وانظر «الفتح» (9/ 135).

(2) «**حسَنٌ**»: أخرجه التِّرْمِذِيُّ (1655)، والنَّسَائيُّ (6/ 16)، وابْنُ ماجَهْ (2518)، وحَسَنه الألبانيُّ في «صَحِيح التِّرْمِذِيِّ» (1352).

وقَدْ قدَّم النَّبيُّ ﷺ الفَقِيرَ صاحبَ الدِّينِ على غَيْرِهِ.

ففي «صحيح مسلمٍ»[1] مِنْ حديثِ فاطمةَ بِنْتِ قَيْسٍ: أنَّها جاءتْ إلى النَّبيِّ ﷺ، وذكرتْ لَهُ أنَّهُ خطبها مُعَاوِيةُ بْنُ أبي سُفْيَانَ، وأبو جَهْمٍ، وأُسَامةُ بْنُ زَيْدٍ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أمَّا مُعاويةُ فَرَجُلٌ تَرِبٌ**[2] **لا مالَ لَهُ، وأَمَّا أبو جَهْمٍ فَرَجُلٌ ضَرَّابٌ للنِّساءِ، ولكنْ أُسَامةُ بْنُ زَيْدٍ**». فقالتْ بِيَدِها هكذا: أُسَامَةُ أُسَامَةُ!.

فقال لها رسولُ الله ﷺ: «**طاعةُ اللهِ وطاعةُ رَسُولِهِ خَيْرٌ لَكِ**». قالتْ: فتَزوَّجْتُهُ فاغْتَبَطْتُ.

أيُّها النَّاسُ، صحابةُ رَسُولِ الله ﷺ كُلُّهُمْ عُدُولٌ، أصحابُ دِينٍ وفَضْلٍ، وإنَّما تخيَّرَ لها النَّبيُّ ﷺ أَفْضَلَ الثَّلاثةِ.

قال الإمامُ **النَّوويُّ** رحمه الله: «أَمَّا إشارتُهُ بنِكَاحِ أُسَامةَ؛ فَلِمَا عَلِمَهُ مِنْ دِينِهِ، وفَضْلِهِ، وحُسْنِ طرائِقِهِ[3]، وكَرَمِ شمائِلِهِ؛ فَنَصَحَها بذلك، فكَرِهَتْهُ؛ لكَوْنِهِ مَوْلًى[4]، ولكَوْنِهِ كانَ أَسْوَدَ جدًّا، فَكَرَّرَ عليها النَّبيُّ ﷺ الحَثَّ على زواجِهِ؛ لِمَا عَلِمَ مِنْ مَصْلَحَتِها في ذلك، فكان كذلك»[5].

فَالكَفَاءَةُ في الإسلامِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ على أَسَاسِ الدِّيانةِ، لا على أَسَاسِ المالِ أَوِ الجاهِ.

---

(1) رواه مسلم (1480).

(2) تَرِب ـ بزِنَةِ كَتِفٍ ـ: فقير.

(3) طرائق: جَمْعُ طَرِيقةٍ، وهي السِّيرة والحال.

(4) المَوْلَى: العَبْد، والجمعُ الموالي.

(5) «شرح النَّوويِّ على صَحيحِ مسلمٍ» (3/ 694).

ففي «صحيحِ البُخاريِّ»[1] مِنْ حديثِ عائشةَ ﵂: «أنَّ أبا حُذَيفةَ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ رَبيعةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ (وكان ممَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مع النَّبيِّ ﷺ) تَبَنَّى سالمًا، وأَنْكَحَهُ بِنْتَ أَخِيهِ هِنْدَ بِنْتَ الوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ رَبيعةَ، وَهُوَ مَوْلَى لامرأةٍ مِنَ الأَنْصارِ».

وَقَدْ بَوَّبَ الإمامُ البخاريُّ ﵀ لهذا الحديثِ بقَوْلِهِ: «بابُ الأَكْفَاءِ في الدِّينِ».

أيُّها النَّاسُ، ها هُمُ العُلَماءُ يُحَذِّرون وليَّ المَرْأَةِ مِنْ تَزْوِيجِ المَرْأَةِ مِنْ رَجُلٍ ضَعيفِ الدِّينِ.

قال رَجُلٌ للحَسَنِ ﵀: «إنَّ لي بُنَيَّةً، وإنَّها تُخْطَبُ، ممَّنْ أُزَوِّجُها؟».

فقال: «زوِّجْها ممَّنْ يتَّقي اللهَ؛ فإنْ أَحَبَّهَا أَكْرَمَهَا، وإنْ أَبْغَضَها لم يَظْلِمْها»[2].

وسُئِلَ الإمامُ أحمدُ ﵀: «رَجُلٌ وَرِعٌ فَقِيرٌ يَخْطُبُ إلى رَجُلٍ ابْنَتَهُ، ورَجُلٌ ذُو مالٍ لَيْسَ بورِعٍ، أيُّها أَحَبُّ إليك أنْ يُزَوِّجَهُ؟. قال: يُزَوِّجُ الفَقِيرَ الوَرِعَ خَيْرٌ لها، وأَحَبُّ إليَّ؛ لا يُعْدَلُ بالصَّلَاحِ شَيْءٌ»[3].

أيُّها النَّاسُ، الزَّواجُ كالرِّقِّ؛ فَلْيَنْظُرْ وليُّ المَرْأَةِ أَيْنَ يَضَعُها، فإنْ وَضَعَها عِنْدَ تارِكِ الصَّلاةِ، ـ أو فاسقٍ ـ فَقَدْ خان الأمانةَ، وعَقَّ رَحِمَهُ.

فأمَّا تارِكُ الصَّلاةِ فَلْيَكْفِهِ أَنَّ العُلَماءَ اختلفوا في تَكْفيرِهِ، وَمَنِ اخْتلفَ العُلماءُ في تَكْفِيره لا يُزَوَّجُ بمسلمةٍ صالحةٍ فيَضُرَّهَا، ولا ضعيفةِ الدِّينِ فَيُضَيِّعَها.

وأَمَّا الفاسقُ فَقَدْ باحتْ أَصْوَاتُ العُلَماءِ في التَّحْذيرِ مِنْهُ؛ فلا يَكُونُ كُفْءًا للعَفِيفةِ.

---

(1) رواه البُخاريُّ (5088).

(2) «عيون الأخبار» (4/ 17).

(3) «مسائل أحمد» بروايةِ إسحاقَ بْنِ إبراهيمَ بْنِ هانىءٍ (980).

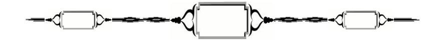
قـال الإمـامُ **السُّبْكيُّ** رحمه الله: «الفاسِقُ لا يُؤْمَنْ أَنْ يَـحْمِلَهُ فِسْقُهُ على أَنْ يَـجْنِيَ على المَرْأَةِ»[1].

وقال **الشَّيبانيُّ** رحمه الله: «الفاسقُ مَرْدُودُ الشَّهادةِ والرِّوايةِ، وذلك نَقْصٌ في إنسانِيَّتِهِ، فلا يَكُونُ كُفْءًا للعَدْلِ»[2].

وقال **ابْنُ قُدَامةَ** رحمه الله: «الفاسقُ مَرْذُولٌ مَرْدُودُ الشَّهادةِ والرِّوايةِ، غَيْرُ مَأْمُونٍ على النَّفْسِ والمالِ، مَسْلُوبُ الولاياتِ، ناقصٌ عِنْدَ الله ـ تعالى ـ وَعِنْدَ خَلْقِهِ، قَلِيلُ الحَظِّ في الدُّنْيا والآخرةِ؛ فلا يَجُوزُ أَنْ يكونَ كُفْءًا للعَفِيفةِ، ولا مُساوِيًا لها، لكِنْ يكونُ كُفْءًا لِمِثْلِهِ»[3].

وقال **الشَّوكانيُّ** رحمه الله: «ما لا يُرْضَى دِينُهُ لا يُزَوَّجُ، فذلك هُوَ مَعْنَى الكَفَاءَةِ في الدِّينِ، والمُجَاهِرُ بالفِسْقِ لَيْسَ بِمَرْضِيِّ الدِّينِ»[4].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: 74).



(1) تكملة «المجموع» (16/ 188).

(2) «حاشية الصَّاوي على الشَّرح الصغير» (2/ 401).

(3) «المُغْني» (9/ 391).

(4) «السَّيل الجرَّار» (2/ 291 ـ 292).

8 صَـلاحُ الأَوْلَادِ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ، حَدِيثي مَعَكُمْ ـ أيُّها النَّاسُ ـ عَنْ صَلَاحُ الأَوْلَادِ.

أَيُّها النَّاسُ، إنَّهُ لَمَّا كان الوَلَدُ الصَّالحُ قُرَّةَ عَيْنٍ للوالدَيْنِ، ومَنَافِعُهُ كَثيرةً في الدُّنيا والآخرة ـ كان الأنبياءُ ـ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم ـ يسألون اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَنْ يَرْزُقَهُمْ ذُرِّيَّةً صالحةً.

أَخْبَرَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ عَنْ إبراهيمَ: أَنَّهُ قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (الصافات: 100).

وقال: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً ﴾ (البقرة: 128).

وأَخْبَرَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ عَنْ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنَّه قال: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾ (مريم: 5، 6).

أيُّها النَّاسُ، قَدْ دَلَّتِ النُّصُوصُ مِنْ كتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ الصَّحيحةِ ـ على أنَّ صَلاحَ الأولادِ يَنْفَعُ الوالدَيْنِ بَعْدَ مَوْتِهِما.

كما دلَّتِ النُّصُوصُ على أنَّ للوَالِدَيْنِ مِثْلَ أَجْرِ ما يَفْعَلُهُ الوَلَدُ مِنَ الأعمالِ الصَّالحةِ؛ لأنَّ الوَلَدَ مِنْ سَعْيِهِمَا وكَسْبِهِمَا.

واللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ يَقُولُ: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ ﴾ (النجم: 39).

وفي «صحيح مسلم»[1] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إذا مات الإنسانُ، انقطع عَمَلُهُ إلَّا مِنْ ثلاثةٍ: إلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جاريةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالحٍ يَدْعُو لَهُ».**

وفي «سُنَنِ أبي داوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح أبي داوُدَ»[2] مِنْ حَدِيثِ عَمَّةِ عُـمَـارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ: أنَّها سألتْ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «في حَجْري يَتِيمٌ، أَفَآكُلُ مِنْ مَالِهِ؟».

فقالتْ: قال رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنَّ مِنْ أَطْيَبِ مِا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَوَلَدُهُ مِنْ كَسْبِهِ».**

---

(1) رَواهُ مُسْلمٌ (1632).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أبو داوُدَ (3528)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيحِ أبي داوُدَ» (3013).

وفي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بسندٍ حَسَنٍ[1]، مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولَ الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ ـ عَزَّ وجلَّ ـ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ للعَبْدِ الصَّالحِ في الجَنَّةِ، فيَقُولُ: يا ربِّ، أنَّى لي هذِهِ؟!، فيَقُولُ: باستغفارِ وَلَدِكَ لَكَ**».

وفي «مُستدركِ الحاكمِ» بسندٍ حَسَنٍ لغيرِهِ، قالَهُ الألبانيُّ في «صحيح التَّرغيب والتَّرهيب»[2] مِنْ حديثِ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ القُرآنَ، وتعلَّم وعَمِلَ بِهَ، أُلْبِسَ والداهُ يَوْمَ القيامةِ تاجًا مِنْ نُورٍ ضَوْءُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، ويُكْسَى والدَاهُ حُلَّتَيْنِ لا يُقَوَّمُ[3] بهما الدُّنْيا، فيَقُولانِ: بِمَ كُسِينا هذا؟، فيُقَالُ: بأَخْذِ وَلَدِكما القُرْآنَ**».

فهذِهِ الأدلَّةُ وغَيْرُها ـ أَيُّها الناسُ ـ لَتدُلُّ دلالةً صريحةً على أنَّ ما يفعلُهُ الوَلَدُ مِنَ الأعمالِ الصَّالحةِ فإنَّ لوالدَيْهِ مِثْلَ أَجْرِهِ.

ولكنْ ما هي الأسبابُ المشروعةُ لصلاحِ الأَوْلَادِ ـ بَعْدَ توفيقِ اللهِ ـ؟.

أَيُّها النَّاسُ، دَعْوني أَذْكُرُ لكمْ أسبابَ صلاحِ الأَوْلَادِ ـ بإذنِ اللهِ ـ، فأعيروني آذانًا صاغيةً، وقلوبًا واعيةً.

أَيُّها النَّاسُ، أوَّلُ أسبابِ صَلَاحِ الذُّرِّيَّةِ: دُعَاءُ الله أَنْ يَرْزُقَنا الذُّرِّيَّةَ الصَّالحةَ، فهكذا كان الأنبياءُ والصالحون يَدْعُونَ اللهَ أنْ يَرْزُقَهُمْ الذُّرِّيَّةَ الصَّالحةَ.

---

(1) «**حَسَنٌ**»: رواه أحمدُ (2/ 509).

(2) «**حَسَنٌ لغيره**»: رواه الحاكم (1/ 756)، وقال الألْبانيُّ في «صَحِيح التَّرغيب والتَّرهيب» (1433): حَسَنٌ لغيرِهِ.

(3) لا يُقَوَّم: لا يُثَمَّنُ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ (آل عمران: 38).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (الفرقان: 74).

قال **ابْنُ عبَّاسٍ** رضي الله عنهما في هذِهِ الآيةِ: «أَمَا إِنَّهُ لم يَكُنْ قُرَّةَ أَعْيُنٍ أَنْ يَرَوْنَهُ صحيحًا جميلًا، ولكنْ أَنْ يَرَوْنَهُ مُطيعًا لله ـ عزَّ وجلَّ ـ»[1].

وَمِنْ أسبابِ صَلَاحِ الذُّرِّيَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ : دُعَاءُ الله لهم بالهدايةِ والصَّلاحِ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأحقاف: 15).

فالشَّاهدُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ فإنَّه لَمَّا دعا لنفسِهِ بالصَّلاحِ، دَعَا لذُرِّيَّتِهِ أَنْ يُصْلِحَ اللهُ أَحْوَالَهُمْ، وذكر أَنَّ صَلَاحَهُمْ يَعُودُ نَفْعُهُ على والديهم لقولِهِ: ﴿وَأَصْلِحْ لِي ﴾[2].

فإذا أعياكم ـ أَيُّها النَّاسُ ـ عِصْيَانَ أولادِكُمْ، فاستعينوا عَلَيْهِمْ بهذِهِ الآيةِ، فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أبي حاتمٍ ـ كما في «الدّرّ المنثور» ـ عَنْ مالكِ بْنِ مِغْوَلٍ رحمه الله قال: «شَكَا أبو معشر ابْنَهُ إلى طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ رحمه الله، فقال طَلْحَةُ: اسْتَعِنْ عَلَيْهِ بهذِهِ الآيةِ: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾»[3].

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في «العيال» (4027).

(2) انظر «تفسير السَّعْديِّ» (ص781).

(2) «الدُّرُّ المَنْثُور» (7/ 443)، و«الحلية» (5/ 19).

وَمِنْ أسبابِ صَلَاحِ الذُّرِّيَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ : صَلَاحُ الأَبَوَيْنِ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ في قِصَّةِ مُوسَى مَعَ الخَضِرِ عليهما السلام: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف: 82).

قال ابْنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: « ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا ﴾ حُفِظَا بصَلَاحِ أَبِيهما»[1].

وقال سَعيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رحمه الله: «إنِّي لَأَزِيدُ في صَلَاتي مِنْ أَجْلِ ابْني هَذا»[2].

وَمِنْ أسبابِ صَلَاحِ الذُّرِّيَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ : بِرُّ الآباءِ آباءَهُمْ؛ فإنَّ الجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، وقَدْ قال ربُّنا ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الرحمن: 60).

وَمِنْ أسبابِ صَلَاحِ الذُّرِّيَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ : اختيارُ الزَّوْجَةِ الصالحةِ، كما أَوْصَى بذلك النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم.

ففي «الصَّحيحين»[3] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: **«تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لمالِها، ولحَسَبِها، ولجمالها، ولدينِها، فاظْفَرْ بذاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ».**

وَمِنْ أسبابِ صَلَاحِ الذُّرِّيَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ : التَّسْمِيَةُ عِنْدَ الجِماعِ.

ففي «الصَّحيحين»[4] مِنْ حديثِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إذا أراد أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قال: باسْمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنا الشَّيْطَانَ، وجَنِّبِ الشَّيْطَانَ ما رَزَقْتَنا ـ فإنَّهُ إنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُما وَلَدٌ في ذلك، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا».**

---

(1) رواه ابن أبي الدُّنيا في «العيال» (360).

(2) «الحلية» (4/ 279).

(3) رواه البخاريُّ (5090)، ومسلم (1466).

(4) رواه البخاريُّ (6388)، ومسلم (1434).

وَمِنْ أسبابِ صَلَاحِ الذُّرِّيَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ : التَّرْبِيةُ الصَّالحةُ، والتَّأْدِيبُ الحَسَنُ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبَرانيُّ في «الكَبيرِ» بسندٍ حَسَنٍ، حسَّنهُ الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[1] مِنْ حديثِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**عَلِّقُوا السَّوْطَ حَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُ البَيْتِ؛ فإِنَّهُ لَهُمْ أَدَبٌ**».

فالوالِدُ مَأْمُورٌ بأَنْ يَقيَ أَوْلَادَهُ النَّارَ، وذلك بأَمْرِهِمْ وتَرْبِيَتِهِمْ على أداءِ ما أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، واجتنابِ ما نَهى اللهُ عَنْهُ، وإنَّ هذا حَقٌّ مِنْ حُقُوقِهِمْ، سَيُسْأَلُ عَنْهُ بَيْنَ يَدَي اللهِ ـ تبارك وتعالى ـ ، كما قال ربُّنا ـ جَلَّ في عُلَاهُ ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ (التحريم: 6).

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

الخُطْبةُ الثَّانيةُ ـ النَّهْيُ عَن الدُّعاءِ على الأَوْلَادِ :

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ تقدَّم الحديثُ مَعَكُمْ عَنْ صلاحِ الأَوْلَادِ، والآنَ حديثي معكم حَوْلَ النَّهْيُ عَن الدُّعاءِ على الأَوْلَادِ.

أَيُّها النَّاسُ، الدُّعاءُ على الأَوْلَادِ أَمْرُهُ خَطِيرٌ، بَلْ هُوَ شَرٌّ مُسْتَطِيرٌ، وحتَّى إذا كان الخَطَأُ حاصلًا مِنَ الأَوْلَادِ، فالدُّعاءُ لَهُمْ بالهدايةِ والتَّوفيقِ، وسُلُوكِ الصِّراطِ المُستقيمِ إنَّما هُوَ إعانةٌ لهم، فقدْ يَكُونُ الدُّعاءُ عَلَيهِمْ إعانةً للشَّيطانِ عليهم.

---

(1) «حَسَنٌ»: أخرجه الطَّبراني في «الكبيرِ» (10671)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (1447).

والنَّبيُّ ﷺ نَهى عَنِ الدُّعَاءِ عليهم، وحَثَّ على الدُّعَاءِ لهم.

ففي «صحيح مسلم»[1] مِنْ حديثِ جابرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تَدْعُوا على أَنْفُسِكُمْ، ولا تَدْعُوا على أَوْلَادِكُمْ، ولا تَدْعُوا على أَمْوَالِكُمْ؛ لا تُوافِقُوا مِنَ اللهِ ساعةً، يُسْأَلُ فيها عَطاءٌ، فيستَجِيبَ لَكُمُ**».

وفي «مسندِ أحمدَ» و«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بسندٍ حَسَنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «الصَّحيحة»[2] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**دَعْوَةُ المَظْلُومِ، ودَعْوَةُ المُسافِرِ، ودَعْوَةُ الوالِدِ عَلَى وَلَدِهِ**».

وأخرج البَيْهقيُّ في «سُنَنِهِ»، والضِّياءِ في «المُختارة» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «الصَّحيحة»[3] مِنْ حديثِ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ثَلَاثُ دَعَواتٍ لا تُرَدُّ: دَعْوَةُ الوالِدِ، ودَعْوَةُ الصَّائِمِ، ودَعْوَةُ المُسَافِرِ**».

أيُّها النَّاسُ، ها هُمُ العُلماءِ يُحَذِّرون مِنَ الدُّعَاءِ على الأَوْلَادِ.

قال **الحَسَنُ البَصْرِيُّ** رحمه الله: «دُعاءُ الوَالِدِينِ يَسْتَأْصِلُ المَالَ والوَلَدِ».

وَقِيلَ لَهُ: ما دُعَاءُ الوَالِدِيْنِ للوَلَدِ؟. قال: «نَجاةٌ». قِيلَ: فَعَلَيْهِ؟. قال: «اسْتِئْصَالٌ!»[4].

---

(1) رواه مسلم (3009)، وأبو داوُدَ (1532).

(2) «حَسَنٌ»: أخرجه أحمدُ (2/ 528)، والتِّرمذيُّ (1905)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (596).

(3) «حَسَنٌ»: أخرجه البَيْهَقيُّ في «سننه» (3/ 345)، والضِّياء في «المختارة» (1/ 108) وحَسَّنه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (1797).

(4) رواه ابْنُ الجَوْزيِّ في «البرِّ والصِّلة» (161).

وجاء رجلٌ إلى عَبْدِ اللهِ بْنِ المُبَارَكِ رحمه الله يَشْكُو لَهُ عُقُوقَ وَلَدِهِ. فقال: «هَلْ دَعَوْتَ عَلَيْهِ؟». فقال: بَلَى. فقال عَبْدُ الله: «أَنْتَ أَفْسَدْتَهُ!»[1].

أَيُّها النَّاسُ، مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُكْثِرَ المُسْلِمُ الدُّعَاءَ لأولادِهِ بالصَّلاحِ والبركةِ والخَيْرِ؛ لعلَّ اللهَ أَنْ يَسْتَجِيبَ له فيهم، فقدْ كان النَّبيُّ ﷺ كَثِيرًا ما يَدْعُو للصِّبْيانِ.

ففي «صحيحِ البُخاريِّ»[2] مِنْ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: «كان رَسُولُ الله ﷺ يُؤْتَى بالصِّبْيانِ، فَيَدْعُو لَهُمْ».

أَيُّها النَّاسُ، مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بالآباءِ أَنَّهُ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ أَحَدِهِمْ عَلَى وَلَدِهِ حالةَ غَضَبِهِ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

(الإسراء: 11).

ومِمَّا جاء في تفسيرِ هذِهِ الآيةِ: ما أخرجه عَبْدُ بْنُ حُميد، وابْنُ المنذرِ، وابْنُ أبي حاتمٍ ـ كما في «الدُّرّ المنثور» ـ عَنِ الحَسَنِ رحمه الله في قولِهِ: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ قال: «ذلك دُعَاءُ الإنسانِ بالشَّرِّ على وَلَدِهِ، وعَلَى امْرَأَتِهِ، يَغْضَبُ أَحَدُهُمْ، فَيَدْعُو عَلَيه، فَيُسبَّ نفسَه، ويَسُبُّ زوجتَهُ، ومالَهُ، ووَلَدَهُ، فإنْ أَعْطَاهُ اللهُ ذلك، شَقَّ عَلَيْهِ؛ فَيَمْنَعُهُ ذلك، ثُمَّ يَدْعُو بالخَيْرِ فَيُعْطِيهِ»[3].

---

(1) «الاحتفال بأحكام وآداب الأطفال» للشَّيخ عادلٍ الغامديِّ (ص220). وقَدِ استفدتُ مِنْ كتابِهِ في إعدادِ الخُطبةِ الأُولى والثَّانية، جَزَاهُ الله خيراً.

(2) رواه البخاريُّ (6355).

(3) «الدُّرُّ المنثور» (5/ 246).

وقال شَيْخُ المُفَسِّرينَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ رحمه الله في «تفسيره»: «يَقُولُ ـ تعالى ذِكْرُهُ ـ مُذَكِّرًا عبادَهُ أَيادِيَهُ عِنْدَهُمْ: ويَدْعُو الإنسانُ على نَفْسِهِ ووَلَدِهِ ومالِهِ بالشَّرِّ، فيقولُ: اللَّهُمَّ اهْلِكْهُ والْعَنْهُ عِنْدَ ضَجَرِهِ وغَضَبِهِ كَدُعَائِهِ بالخَيْرِ، يَقُولُ: كدُعَائِهِ ربَّهُ بأَنْ يَهَبَ لَهُ العافيةَ، ويَرْزُقَهُ السَّلامةَ في نَفْسِهِ ومالِهِ وَوَلَدِهِ.

يَقُولُ: فَلَو اسْتُجِيبَ لَهُ في دُعَائِهِ على نَفْسِهِ ومالِهِ ووَلَدِهِ بالشَّرِّ ـ كما يُسْتَجَابُ لَهُ في الخَيْرِ ـ هَلَكَ، ولكنَّ اللهَ ـ بفَضْلِهِ ـ لا يَستجيبُ لَهُ في ذلك»[1].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

(الفرقان: 74).



(1) «تفسير الطَّبَرِيِّ» (15/ 47).

9 تعليمُ الأَطفالِ التَّوحيدَ ثمَّ القُرْآنَ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهّ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّـا بَعْـدُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ حَدِيثي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ تعليمُ الأَطفالِ التَّوحيدَ ثُمَّ القُرْآنَ.

أَيُّها النَّاسُ، إنَّ توحيدَ ربِّ العالمين هُوَ الَّذي يَجْعَلُ العَبْدَ المُؤْمِنَ يتشرَّفُ بالانتسابِ لهذا الدِّينِ.

وَمَتَى عَلَّمْنا أَطْفَالَنا التَّوحيدَ الخالصَ، وشَرَحْنا لَهُمْ ـ على الأَقَلِّ ـ كتابًا مِنْ كُتُبِ التَّوْحيدِ: كالأُصُولِ الثَّلاثةِ بأُسْلُوبٍ سَهْلٍ مُيَسَّرٍ، وتعاهَدْناهُمْ بالتَّوجيه والإرشادِ ـ فَقَدْ صَبَغْناهُمْ بتوحيدِ المِلَّةِ، ومَنْ كان كذلك، فَقَدْ جَعَلَ مِنْهُ التَّوحيدُ رَجُلًا آخَرَ.

حلَقُ العِلْمِ رَوْضَتُهُ وجَنَّتُهُ، وعِنْدَ المَرَضِ والجنائزِ رِقَّتُهُ، وفي المقابرِ تَنْهَمِرُ دَمْعَتُهُ، ولتلاوةِ القُرْآنِ تحضرُ عَبْرَتُهُ، وفي الصَّلاةِ يُعاينُ آخِرَتَهُ، وبَعْدَ الصَّلاةِ يُجَدِّدُ توبتَهُ، ومَعَ الجِيرانِ تُرَى مَوَدَّتَهُ، ويُسَاعِدُ إخوانَهُ باستطاعتِهِ، ومَعَ النَّاسِ عامَّةً يُعامِلُهُمْ بِسُمُوِّ خُلُقِهِ.

كَمِ احْتَرَقَ قَلْبُهُ وذَابَ مِنْ أَجْلِ هذا الدِّينِ، كَمْ تَنَفَّسَ الصُّعَداءَ[1] مِنْ أَجْلِ المسلمين، كَمْ سال دَمْعُهُ مِنْ أَجْلِ إخوانِهِ المُشَرَّدين.

فللهِ دَرُّهُ مِنْ طِفْلٍ مُسْلِمٍ، قَدْ ربَّاهُ التَّوحيدُ الخالصُ لله رَبِّ العالمين!، لله دَرُّهُ مِنْ طِفْلٍ مُشْرِقٍ، يَمْلأُ القُلُوبَ والأَبْصَارَ![2].

أَيُّها النَّاسُ، لننظرْ قليلًا في دِيوانِ سُنَّةَ رَسُولِ الله ﷺ، ولْنَتَأَمَّلْ كيف كانتِ التَّربيةُ النَّبويَّةُ للأطفالِ، وكيف كان النَّبيُّ ينتهِزُ الفُرَصَ في غَرْسِ عقيدةِ التَّوحيدِ في نُفُوسِهِمْ.

فها هُوَ ابْنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما يَقُولُ ـ كما في «سُنَن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة»، و«ظلال الجنَّةِ»[3] ـ كُنْتُ خَلْفَ النَّبيِّ ﷺ يَوْمًا، فقال: **«يا غُلَامُ، إنِّي أُعَلِّمُكَ كلِماتٍ: احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إذا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ باللهِ، واعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ على أَنْ يَنْفَعُوكَ بشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إلَّا بشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لك، وإن اجْتَمَعُوا على أَنْ يَضُرُّوكَ بشَيْءٍ، لم يَضُرُّوكَ إلَّا بشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»**.

---

(1) الصُّعَداء ـ بِزِنَةِ البُرَحاءِ ـ : تنفُّسٌ طويلٌ.

(2) انظر «التوحيد وآثره على العبيد» لخميس السعيد (18 ـ 19).

(3) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه التِّرْمذيُّ (2516)، وصحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة» (5302)، و«رياض الجنَّة» (316).

أَيُّها النَّاسُ، إنَّ النَّبيَّ ﷺ هُوَ أَحْسَنُ المُعلمين، وخَيْرُ المُعَلِّمين، كما قال الصَّحابيُّ الجَلِيلُ مُعَاوِيةُ بْنُ الحَكَمِ السُّلَميُّ رضي الله عنه: «ما رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ ـ ولا بَعْدَهُ ـ أَحْسَنَ تَعْليمًا مِنْهُ».

اسْتَغَلَّ لتعليمِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما وكان صغيرًا تِلْكَ المسائلَ العظيمةَ حالةَ إردافِهِ مَعَهُ على الدَّابَّةِ، وهُمَا يسيرانِ في الطَّريقِ، وهي حالةٌ يَغْلِبُ فيها السُّرُورُ على الصِّبْيانِ، وانشراحُ صُدُورِهِمْ، وقَبُولُهُمْ لِمَا يُلْقَى إليهمْ.

أيُّها النَّاسُ، ما أَجْمَلَ أَنْ نُعَلِّمَ أولادَنا تَوْحِيدَ اللهِ ـ سُبْحانه وتعالى ـ صِغارًا، فينتعِشُ ذلك في صُدُورِهِمْ!.

قَقدْ أَخْرَجَ ابْنُ الجَعْدِ في«مُسنده»، وابْنُ سَعْدٍ في «الطَّبقات»[1] عَنِ الحَسَنِ البَصْريِّ، وقَتَادَةَ، ونافعٍ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ قَوْلَهُمْ: «الحِفْظُ في الصَّغَرِ كالنَّقْشِ في الحَجَرِ».

أيُّها النَّاسُ، قَدْ دَلَّ الحديثُ على اهتمامِ النَّبيِّ ﷺ بتعليمِ الأَطْفَالِ التَّوحيدَ.

وقَدْ كان النَّبيُّ ﷺ يُعَلِّمُ الأَطْفَالَ التَّوحيدَ قَبْلَ تعليمِهِمُ القُرْآنَ.

ففي «سُنَنِ ابْنِ ماجَهْ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سُنَنِ ابْنِ ماجَهْ»[2] مِنْ حديثِ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه قال: «كُنَّا مَعَ النَّبيِّ ﷺ ونَحْنُ فِتْيانٌ حَزَاوِرَةٌ[3]، فَتَعَلَّمْنا الإيمـانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ القُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنا القُرْآنَ، فازْدَدْنا بِهِ إيمانًا».

---

(1) «مسند ابْنِ الجَعْدِ» (1079)، و«طَبَقات ابْنِ سَعْدٍ» (7/ 229).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه ابْنُ ماجَهْ (61)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح ابْنِ ماجَهْ» (52).

(3) حَزَاوِرَة: جَمْعُ حَزَوَّرٍ ـ بتشديدِ الواوِ ـ، وهُوَ الغُلامُ الَّذي قَدْ شَبَّ وقَوِيَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ سَارَ السَّلَفُ الصَّالِحُ على هذا المَنْهَجِ القَوِيمِ في تَعْلِيمِ أَطْفَالِهِمْ، فكانوا يَبْدَءُونَ بتَلْقِينِهِمْ وتَعْلِيمِهِمْ التَّوحيدَ والإيمانَ والسُّنَّةَ مُنْذُ صِغَرِهِمْ؛ حتَّى يَنْشَأَ الطِّفْلُ مُوَحِّدًا سُنِّيًّا، لا تَضُرُّهُ الفِتَنُ والأَهْوَاءُ والبِدَعُ.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ في «الطَّبقات»[1] عَنِ إسحاقَ بْنِ عَبْدِ الله عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ سُلَيْمٍ: «أَنَّهَا آمَنَتْ بِرَسُولِ الله ﷺ، قالتْ: فجاء أبو أَنَسٍ ـ وكانَ غائبًا ـ فقال: أَصَبَوْتِ؟. قالَتْ: ما صَبَوْتُ، ولكنِّي آمَنْتُ بهذا الرَّجُلِ. قال: فَجَعَلَتْ تُلَقِّنُ أَنَسًا، وتُشِيرُ إِلَيْهِ: قُلْ: لا إلهَ إِلَّا اللهُ، قُلْ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، قال: فيقولُ لها أَبُوهُ: لا تُفْسِدي عَلَيَّ ابْني. فتقولُ: إنِّي لا أُفْسِدُهُ. قال: فَخَرَجَ مالكٌ أَبُو أَنَسٍ، فَلَقِيَهُ عَدُوٌّ فَقَتَلَهُ، فلمَّا بَلَغَها قَتْلُهُ، قالتْ: لا جَرَمَ[2]، لا أَفْطِمُ أَنَسًا حَتَّى يَدَعَ الثَّدْيَ حيًّا».

وأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ بسندِهِ[3] عَنْ عَلِّي بْنِ الحُسَيْنِ رحمه الله: «أَنَّهُ كان يُعَلِّمُ وَلَدَهُ، يقولُ: قُلْ: آمَنْتُ بالله، وكَفَرْتُ بالطَّاغُوتِ[4]».

وأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ـ أيضًا ـ، وعَبْدُ الرَّزَّاقِ في«مُصَنَّفِهِ»[5] عَنْ إبراهيمَ التَّيْمِيِّ رحمه الله قال: «كانوا يستحبُّون أَوَّل ما يُفْصِحُ ـ يَعْني: الصَّبِيَّ ـ أَنْ يُعَلِّمُوهُ لا إلهَ إِلَّا اللهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فيكونُ ذلك أَوَّلَ ما يتكَلَّمُ به».

أَيُّهَا النَّاسُ، بَعْدَ تلقينِ الأطفالِ التَّوحيدَ وفَهْمِهِ عَلَيْنا أَنْ نُعَلِّمَهُمْ كتابَ الله، حَتَّى يَزْدَادُوا إيمانًا إلى إيمانِهِمْ، وقَدْ تقدَّم هذا في حَدِيثِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قال: «كُنَّا مَعَ

---

(1) «الطَّبقات الكُبرى» (8/ 425).

(2) لا جَرَمَ أَيْ: لا بُدَّ أَوْ حَقًّا، أو هذا أَصْلُهُ، ثُمَّ كَثُرَ حتَّى تَحَوَّلَ إلى معنى القَسَمِ.

(3) رواه ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ في «مسنده» (1/ 348).

(4) الطَّاغوت: كُلُّ ما عُبِدَ مِنْ دُونِ الله وهُوَ راضٍ.

(5) رواه ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (1/ 348)، وعَبْدُ الرَّزَّاقِ في «مصنَّفه» (7977).

النَّبيِّ ﷺ ونَحْنُ فِتْيانٌ حَزَوارَةٌ، فتَعَلَّمْنا الإيمانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ القُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنا القُرْآنَ، فازْدَدْنا بِهِ إيمانًا، وإنَّكُمُ اليَوْمَ تُعَلِمون القرآن قَبْلَ الإيمانِ»[1].

وقَدْ حَثَّ النَّبيُّ ﷺ على تعليمِ الأَطْفَالِ القُرْآنَ.

ففي «صحيح البخاريِّ»[2] مِنْ حديثِ عُثْمانَ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ**».

أَيُّها النَّاسُ، يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ كتابُ الله أَوَّلَ العُلُومِ تَحْصِيلًا وتَعَلُّمًا بَعْدَ التَّوحيدِ والإيمانِ، فَقَدْ كان السَّلَفُ يَمْنَعُوا أَولادَهُمْ مِنَ الاشتغالَ بغَيْرِ القُرْآنِ، حَتَّى يَحْفَظُوهُ ويُتْقِنُوهُ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبرانيُّ في «الكبير»[3] عَنْ عُقْبَةَ بْنِ نافعٍ رضي الله عنه: «أَنَّهُ أَوْصَى وَلَدَهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ: يا بَنيَّ، إنِّي أنهاكُم عَنْ ثَلَاثٍ، فاحتفظوا بها ...» وذَكَرَ مِنْها: «ولا تكتبوا شِعْرًا؛ تَشْغَلُوا به قُلُوبَكُمْ عَنِ القُرْآنِ».

وأَخْرَجَ الذَّهبيُّ في «تَذْكِرَة الحُفَّاظ»[4] عَنِ ابْنِ أَبي حاتمٍ رحمه الله أَنَّهُ قال: «لم يَدَعْني أَبي أَطْلُبُ الحديثَ، حَتَّى قَرَأْتُ القُرْآنَ على الفَضْلِ بْنِ شاذان».

أَيُّها النَّاسُ، لَقَدْ كان عُلَماءُ الحديثِ مِنَ السَّلَفِ الصَّالحِ يَمْنعون الأطفالَ مِنْ حُضُورِ مجَالسِ الحديثِ قَبْلَ حِفْظِ كتابِ اللهِ؛ حتَّى لا يَنْشَغِلُوا بالحديثِ وكتابتِهِ وحِفْظِهِ عَنْ كتابِ اللهِ.

---

(1) تقدَّم تخريجُهُ.

(2) رواه البخاريُّ (5027).

(3) رواه الطَّبرانيُّ في «الكبير» (737)، والخطيبُ في «الكفاية» (49).

(4) «تذكرة الـحُفَّاظ» للذَّهبيِّ (3/ 830).

ففي «تهذيب الكمال» و«تاريخ دِمَشْقَ»[1] عَنْ أبي العَيْنَاءِ مُحَمَّدِ بْنِ القاسمِ أَنَّهُ قال: «أَتَيْتُ عَبْدَ الله بْنَ دَاوُدَ الخُرَيبيَّ، قال: ما جاء بك؟. قُلْتُ: الحَدِيثُ. قال: اذْهَبْ فتحفَّظِ القُرْآنَ. قال: قُلْتُ: قَدْ حَفِظْتُ. قال: اقْرَأْ ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾ (يونس: 71). قال: فَقَرَأْتُ العُشْرَ حتَّى أَنْفَذْتُهُ».

ورَوَى الخَطِيبُ في «جامِعِهِ»[2] عَنِ الوليدِ بْنِ مسلمٍ قال: «كُنَّا إذا جَالَسْنا الأَوْزَاعيَّ رحمه الله، فَرَأَى فينا حَدَثًا[3]، قال: يا غُلَامُ، قَرَأْتَ القُرْآنَ؟. فإِنْ قال: نَعَمْ. قال: اقْرَأْ ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ (النساء: 11). وإنْ قال: لا. قال: اذْهَبْ تعلَّمِ القُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُبَ العِلْمَ».

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

الخُطْبَةُ الثَّانيةُ ـ أمْرُ الأَطْفال بالصَّلاةِ :

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ تقدَّم الحديثُ مَعَكُمْ عَنْ تعليمُ الأَطفالِ التَّوحيدَ ثُمَّ القُرْآنَ، والآنَ حديثي معكمْ عَنْ أَمْرِهِمْ بالصَّلاةِ لسَبْعَ، وضَرْبِهِمْ عليها لعَشْرٍ.

(1) «تهذيب الكمال» (14/ 466)، و«تاريخ دِمَشْقَ» (28/ 29).
(2) «الجامع لأخلاق الرَّاوي» (ص81).
(3) الحَدَث ـ بفتحتَيْنِ ـ : الشَّابُّ، والجَمْعُ أَحْداثٌ.

ففي «مسندِ أحمدَ»، و«سنن أبي داوُدَ»[1] بسندٍ حسنٍ صحيحٍ، قاله الألبانيُّ في «صحيح أبي داوُدَ» عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بالصَّلاةِ وهُمْ أبناءُ سَبْعِ سنينَ، واضْرِبُوهُمْ عليها وهُمْ أبناءُ عَشْرٍ، وفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ في المضاجعِ**».

أَيُّها النَّاسُ، قَدْ دَلَّ الحديثُ على وُجُوبِ أَمْرِ الطِّفْلِ بالصَّلاةِ، إذا بَلَغَ سَبْعَ سنينَ إلى بُلُوغِهِ سِنَّ العاشرةِ، ثُمَّ الأَمْرَ بضَرْبِهِ على تَرْكَ الصَّلاةِ إلى سِنِّ البُلُوغِ، فإنْ ضَيَّعَ الوَلِيُّ هذا الأَمْرَ، سُئِلَ عَنْهُ يَوْمَ القيامةِ؛ لقول النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم (كما في«الصَّحيحَيْنِ»[2] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما): «**كُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: فالإمامُ راعٍ، وهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رعيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أَهْلِهِ، وهو مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ راعيةٌ في بَيْتِ زَوْجِها، وهي مَسْئُولةٌ عَنْ رَعيَّتِهَا**».

أَيُّها النَّاسُ، أطفالُنا أمانةٌ، لَهُمْ عَلَينا حَقٌّ، وحَقُّهُمْ عَلَينا أَنْ نُعَلِّمَهُمُ الصَّلاةُ، ونُعَوِّدَهُمْ عليها، ونُتابِعَهُمُ المُتابعةَ المُسْتَمِرَّةَ، ونَسْأَلَهُمْ عَنِ الصَّلاةِ.

فها هُوَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يتعاهدُ الأَطْفالَ، ويَسْأَلُ عَنْ صلاتِهِمْ.

ففي «سنن أبي داوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح أبي داوُدَ»[3] مِنْ حديثِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال:بِتُّ عِنْدَ خالتي مَيْمُونةَ، فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بَعْدَ ما أَمْسَى، فقال: «**أَصَلَّى الغُلَامُ؟**». قالوا: نَعَمْ.

---

(1) «**حَسَنٌ صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (2/ 180)، وأبو داوُدَ (495)، وقال الألبانيُّ في «صَحِيح أبي داوُدَ» حَسَنٌ صَحِيح.

(2) رواه البخاريُّ (893)، ومسلم (1829).

(3) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أبو داوُدَ (1356)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح أبي داوُدَ» (1208).

أَيُّها النَّاسُ، عَوِّدُوا أَوْلَادَكُمْ على الصَّلاةِ؛ فإِنَّ الخَيْرَ عادةٌ.

فَقَدْ أخرج عَبْدُ الرَّزَّاقِ في «مُصنَّفِهِ»، والطَّبرانيُّ في «الكبير»[1] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قال: «حافظوا على أَبنائِكُمْ في الصَّلاةِ، وعَوِّدُوهُمُ الخَيْرَ؛ فإِنَّ الخَيْرَ عادةٌ».

قال الإمامُ المَرْوَزيُّ رحمه الله مُعَلِّقًا على هذا الأَثرِ: «ففي هذا دلالةٌ أَنْ يُؤْمَرُوا بالصَّلاةِ صِغَارًا؛ ليعتادُوا فلا يُضَيِّعُوها كِبَارًا، فإِنِ اعتادُوا قَبْلَ وُجُوبِ الفَرْضِ عَلَيهِمْ أَحْرَى أَنْ يَلْزَمُوها عِنْدَ وَقْتِ الفَرْضِ عَلَيهِمْ»[2].

أَيُّها النَّاسُ، قَدْ قال بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: إنَّ مَنْ لَمْ يَأْمُرْ أَوْلَادَهُ بالصَّلاةِ وهُمْ أبناءُ سَبْعٍ ـ فَهُوَ عاصٍ للهِ ورسولِهِ، ويَسْتَحِقُّ التَّعْزِيرَ.

قال **ابْنُ تَيْميَّةَ** رحمه الله: (ويَجِبُ على كُلِّ مُطَاعٍ أَنْ يَأْمُرَ مَنْ يُطِيعُهُ بالصَّلاةِ، حتَّى الصِّغارَ الَّذين لم يَبْلُغُوا؛ قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بالصَّلاةِ وهُمْ أبناءُ سَبْعٍ سنينَ، واضْرِبُوهُمْ عليها وهُمْ أبناءُ عَشْرٍ، وفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ في المضاجعِ**»)[3].

ومَنْ كان عِنْدَهُ صَغِيرٌ مَمْلُوكٍ، أَوْ يَتيمٌ، أَوْ وَلَدٌ، فَلَمْ يَأْمُرْهُ بالصَّلاةِ، فإِنَّهُ يُعاقَبُ الكَبيرُ إذا لم يَأْمُرِ الصَّغِيرَ، ويُعَزَّرُ الكبيرُ على ذلك تَعْزِيرًا بليغًا؛ لأَنَّهُ عَصَى اللهَ ورسولَهُ[4].

وقال **الإمامُ الشَّافعيُّ** رحمه الله: «على الآباءِ والأُمَّهاتِ أَنْ يُؤَدِّبُوا أولادَهُمْ، ويُعَلِّموهُمُ الطَّهارةَ والصَّلاةَ، ويَضْرِبُوهُمْ على ذلك إذا عَقَلُوا، فَمِنَ احْتَلَمَ، أَوْ حَاضَ، أَوِ استكملَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ـ لَزِمَهُ الفَرْضُ».

---

(1) أخرجه عَبْدُ الرَّزَّاقِ في «مُصنَّفِهِ» (4742)، والطَّبرانيُّ في «الكبير» (9155) والزِّيادةُ الأخيرةُ لَهُ.

(2) «قيام اللَّيل» للمَرْوَزِيِّ (ص243).

(3) «مجموع الفتاوى» (22/ 50 ـ 51).

(4) «شرح السُّنَّة» (2/ 407).

أَيُّها النَّاسُ، حُثُّوا أولادَكُمْ على الصَّلاةِ، والمُحافظةِ عليها في المساجدِ، خُذُوهُمْ مَعَكُمْ إلى بُيُوتِ الله، شَجِّعُوهُمْ على ذلك بما يُحِبُّونَ مِنَ التَّشْجيعِ، ولو بإعطائِهِمْ ما يُحِبُّون مِنَ الهَدَايا، الَّتي تكونُ سببًا في تعويدِهِمْ على الصَّلاةِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ المُنْذِرِ في «الأَوْسَطِ»[1] بسندِهِ عَنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: «كنَّا نَأْخُذُ الصِّبْيانَ مِنَ الكُتَّابِ، فَنُقَدِّمُهُمْ يُصَلُّون لنا شَهْرَ رَمَضَانَ، ونعملُ لهمُ القِليةَ والخشنكانَ».

والقيلةُ والخشنكانُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ نَوْعٌ مِنْ أنواعِ الطَّعامِ والحَلْوَى.

وأخرج أبو نعيمٍ في «الحِلْيَة»[2] قال: «كان زيادٌ الإيَاميُّ رحمه الله مُؤَذِّنُ مَسْجِدِهِ، فكان يقولُ للصِّبْيانِ: أَهَبُ لَكُمُ الجَوْزَ، قال: فكانوا يَجيئُون ويُصَلُّون، ثُمَّ يَحُوطُونَ حَوْلَهُ. فَقُلْنا لَهُ: ما تَصْنَعُ بهذا؟. قال: وما عليَّ أَشْتَرِي لَهُمْ جَوْزًا بخمسةِ دَرَاهِمَ، ويتعوَّدون الصَّلاةَ».

أَيُّها النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مقامي هذا أَقُولُ: الَّذي هُوَ دُونَ التَّمْييزِ مِمَّن لا يَعْقِلُ الصَّلاةَ ولا الطَّهارةَ ـ لا يُشْرَعُ أَمْرُهُ بالصَّلاةِ، ولا تمكينُهُ مِنَ الوُقُوفِ في صُفُوفِ المُصَلِّين وهُمْ يُصَلُّونَ؛ لأنَّهُ يَقْطَعُ صُفُوفَ المُصَلِّين.

ففي «مسندِ أحمدَ»، و«سنن أبي داوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح أبي داوُدَ»[3] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ**».

---

(1) رواه ابْنُ المنذر في «الأوسط» (1936).

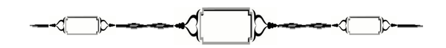
(2) «الحلية» (5/ 31).

(3) «صَحِيحٌ»: أخرجه أحمدُ (2/ 97 ـ 98)، وأبو داوُدَ (666)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح أبي داوُدَ» (620).

كما أُنَبِّهُ إلى تَعْلِيمِ الأَطْفَالِ أداب المساجد.

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان: 74)، ربَّنا اغفرْ لآبائنا وأُمَّهاتنا، ربَّنا وارحمهم كما رَبَّوْنا صغارًا، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (البقرة: 201).

ربَّنا اجعلْنا مقيمي الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّياتِنا، إنَّك سميعُ الدُّعاءِ.



10 وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّه ﷺ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ، حَدِيثي مَعَكُمْ اليَوْمَ ـ أيُّها النَّاسُ ـ عَنْ وَصِيَّةِ رَسُولِ الله ﷺ.

أَتَدْرُونَ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ بماذا أَوْصَى رَسُولُ اللهِ ﷺ؟، إنَّهُ أَوْصَى بكتابِ اللهِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ طَلْحَة بْنِ مُصرِّفٍ قال: «سَأَلْتُ عَبْدَ الله ابْنَ أبي أَوْفَى رضي الله عنهما: هَلْ كان رَسُولُ الله ﷺ أَوْصَى؟. قال: لا. فَقُلْتُ: كَيْفَ كُتِبَ على النَّاسِ الوَصِيَّةُ ـ أَوْ أُمِرُوا بالوَصِيَّةِ ـ؟. قال: أَوْصَى بكتابِ اللهِ».

(1) رواه البُخاريُّ (2740)، ومسلم (1634).

أَيُّها النَّاسُ، لَقَدْ امْتَنَّ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ على عِبَادِهِ بإنزالِ هذا الكتابِ العظيمِ، قَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ (يونس: 57).

وقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ (النحل: 89).

وقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: 15، 16).

قَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ (النساء: 174، 175).

وقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ (الإسراء: 9).

وقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ (الإسراء: 82).

وقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ (فصلت: 44).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾ (الزمر: 23).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة: 48).

ومَعْنَى ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ ـ أيُّها النَّاسُ ـ أَيْ: شهيدًا على كُلِّ كتابٍ قَبْلَهُ، كما قال ابْنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما[1].

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (فصلت: 41، 42).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (هود: 1).

أَيُّها النَّاسُ، إنَّ البَرَكَةَ كُلَّ البركةِ في قِراءةِ كتابِ اللهِ، والعَمَلِ بِهِ، والتَّخَلُّقِ بأخلاقِهِ، والتحليِّ بآدابِهِ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأنعام: 155).

وقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (الأنعام: 92).

وقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (ص: 29).

قال **ابْنُ سَعْدِيٍّ** رحمه الله: « ﴿ مُبَٰرَكٌ ﴾: فيهِ الخَيْرُ الكَثِيرُ، والعِلْمُ الغَزِيرُ، وَهُوَ الَّذي تُسْتَمَدُّ مِنْهُ سائِرُ العُلُومِ، وتُسْتَخْرَجُ مِنْهُ البَرَكَاتُ، فما مِنْ خَيْرٍ إلَّا وَقَدْ دَعَا إليهِ،

---

(1) «الدُّرّ المنثور في التفسير بالمأْثُور» (ص95).

ورَغَّبَ فيهِ، وذَكَرَ الحِكَمَ والمَصَالِحَ الَّتي تَحُثُّ عَلَيْهِ، وما مِنْ شَرٍّ إلَّا وَقَدْ نَهى عَنهُ، وحَذَّرَ مِنْهُ، وذَكَرَ الأسبابَ المُنَفِّرةَ عَنْ فِعْلِهِ، وعواقِبَهُ الوَخِيمةَ»[1].

أيُّها النَّاسُ، السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ حافلةٌ بذِكْرِ ما لحَمَلَةِ القُرْآنِ مِنَ الشَّرَفِ العَظِيمِ، والمَنْزِلَةِ الرَّفيعةِ، وسُمُوِّ المكانةِ وعُلُوِّ الدَّرَجَةِ.

ففي «صحيح مسلمٍ»[2] مِنْ حديثِ عُمَرَ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ يَرْفَعُ بهذا الكتابِ أَقْوامًا، ويَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**».

وفي «صحيح البخاريِّ»[3] مِنْ حديثِ عُثْمانَ رضي الله عنه قال:قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ**».

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[4] مِنْ حديثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «**لا حَسَدَ**[5] **إلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتاهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهو يَقُومُ بِهِ آناءَ**[6] **اللَّيْلِ وآناءَ النَّهارِ، ورَجُلٌ آتاهُ اللهُ مالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ**».

وفي «صحيح مسلمٍ»[7] مِنْ حديثِ أبي أُمَامةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اقْرَءُوا القُرْآنَ؛ فإنَّهُ يأْتي يَوْمَ القيامةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ**».

---

(1) «تفسير السَّعْديِّ» (ص234).

(2) رواه مسلم (804).

(3) رواه البخاريُّ (5027).

(4) رواه البخاريُّ (5025)، ومسلم (815).

(5) أطلق الحَسَد على الغِبْطة مجازاً، وهي أن يَتَمنَّى الإنسانُ مثلَ النِّعمةِ الَّتي على غَيْرِهِ، دون زوالِها عنه.

(6) الآناء: السَّاعات، وفي واحدِها أَرْبَعُ لُغَاتٍ: إنىً، وأَنىً ـ بكَسْرِ الهمزةِ وفتحِها ـ، وإِنْيٌ، وإِنْوٌ ـ بالياء والواو والهمزة مكسورة فيهما ـ، ومثلُها الآلاءُ.

(7) رواه مُسْلمٌ (817).

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ:قال رَسُولُ الله ﷺ: **«الماهِرُ بالقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، والَّذي يَقْرَأُ القُرْآنَ ويَتَعْتَعُ فيْهِ، وهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ ـ لَهُ أَجْرَانِ»**.

وفي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بسَنَدٍ حَسَنٍ، صحَّحَه الأَلْبانيُّ في «صحيح التِّرْمِذِيِّ»[2] مِنْ حديثِ عَبْدُ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: قال رسُولُ الله ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كتابِ الله، فَلَهُ به حَسَنَةٌ، والحسنةُ بعَشْرِ أَمْثَالِها، لا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، ولكنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، ولامٌ حَرْفٌ، ومِيْمٌ حَرْفٌ»**.

وفي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بسَنَدٍ حَسَنٍ، حسَّنه الأَلْبانيُّ في «صحيح التِّرْمِذِيِّ»[3] مِنْ حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: **«يَجِيء صَاحِبُ القُرْآنِ يَوْمَ القِيَامةِ، فَيَقُولُ: يارَبِّ حَلِّه[4]، فَيُلْبَسُ تاجَ الكرامةِ، ثُمَّ يقُولُ: يا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ[5] الكَرامةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فيَرضَى عنه، فيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ، وارْقَ[6]، ويُزَادُ بكُلِّ آيةٍ حَسَنَةً»**.

وفي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بسَنَدٍ حَسَنٍ صحيحٍ، قاله الأَلْبانيُّ في «صحيح التِّرْمِذِيِّ»[7] مِنْ حديثِ عَبْدُ الله بْنِ عمرو رضي الله عنهما عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: **«يُقَالُ ـ يَعْني: لصاحبِ**

(1) رواه البخاريُّ (4937)، ومسلم (798)، واللَّفْظُ لَهُ.

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه التِّرْمِذيُّ (2910)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح التِّرْمذيِّ» (2327).

(3) «**حسَنٌ**»: أخرجه التِّرْمِذيُّ (2915)، وحَسَّنه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح التِّرْمِذيِّ» (2328).

(4) حَلِّهِ أَيْ: أَلْبِسْهُ حَلْياً، والحَلْيُ: ما تُزُيِّنَ بَهَ مِنْ مَصُوغِ المَعْدِنيَّاتِ أو الحجارةِ.

(5) الحُلَّة ـ بالضَّمِّ ـ: الثَّوْب الجيِّدُ، والجمعُ حُلَلٌ وحَلَالٌ.

(6) ارْقَ: اصْعَدْ في دَرَجِ الجَنَّةِ بِقَدْرِ ما حَفِظْتَهُ مِنْ آيِ القُرْآنِ.

(7) «**حسَنٌ صَحِيحٌ**»: أخرجه التِّرمِذيُّ (2914)، وحَسَنه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح التِّرْمذيِّ» (2329): حَسَنٌ صَحِيحٌ.

القُرْآنِ ـ : اقْرَأْ، وَارْقَ، ورَتِّلْ كما كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُّنْيا، فإنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا».

أَيُّها النَّاسُ، هذِهِ وَصَيَّةُ رَسُولِ الله ﷺ، إنها الوَصِيَّةُ بكتابِ اللهِ، مَنْ تَرَكَهُ وهَجَرَهُ وأَعْرَضَ عَنْهُ خَسِرَ الدُّنْيا والآخرةَ، ذلك هُوَ الخُسْرانُ المُبِينُ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ **قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾** ﴾ (طه: 123 – 127).

أَيُّها النَّاسُ، قَدْ سُئِلَ أَحَدُ المَحْسُوبين على الخير والصَّلاحِ: مَتَى تَقْرَأُ القُرْآنَ؟، فَأَجاب: في رَمَضَانَ، وَبِئسَ القَوْمُ الَّذين لا يَعْرِفُونَ اللهَ إلَّا في رَمَضَانَ!، ولا يقرءُونَ كتابَهُ إلَّا في رَمَضَانَ!، وقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَخْتِمِ القُرْآنَ في مُدَّةٍ أَكْثَرُها شَهْرٌ إلى أَربعينَ يَوْمًا ـ فإنَّهُ يُسَمَّى هاجرًا للقُرْآنِ، وهُوَ مِنْ أَهَلِ هذِهِ الآيةِ: ﴿ **وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾** ﴾ (الفرقان: 30).

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

الخُطْبَةُ الثَّانيةُ ـ تعليمُ الأَبْنَاءِ وَصِيَّةُ رَسُول اللَّهِ ﷺ :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ ﴾ (الكهف: 1، 2).

أمَّا بَعْدُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ تقدَّم الحديثُ معكم عَنْ وصيةِ رَسُولِ الله ﷺ، وأنَّهُ أوْصَى بكتابِ الله، والآنَ حديثي مَعَكُمْ عَنْ تَعْليمِ الأبناءِ كتابَ اللهِ.

أَيُّها النَّاسُ، إنَّ ممَّا كلَّفَنا اللهُ بِهِ حُسْنَ رِعايةِ الذُّرِّيَّةِ، والسَّعْيَ لاستنقاذِ النَّفْسِ مَعَ الأَهْلِ والأولادِ مِنَ النَّارِ.

فقال ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (التحريم: 6).

وقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾ (النساء: 11).

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«كُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: فالرَّجُلُ رَاعٍ في بَيْتِهِ، وهو مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ راعيةٌ في بَيْتِ زَوْجِها، وهي مَسْئُولةٌ عَنْ رَعيَّتِه»**.

وفي «صحيح مسلمٍ»[2] مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«وإنَّ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»**.

---

(1) رواه البخاريُّ (2554)، ومسلم (1829).

(2) رواه مسلم (1129).

أَيُّها النَّاسُ، إنَّ مِنْ أعظمِ حُقُوقِ أبنائِنا عَلَينا تَعْلِيمَهُمْ كتابَ اللهِ، وفيه الأَجْرَ العظيمُ، والفَضْلُ الجليلُ، وقَدْ حَثَّ عليه ربُّنا ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ ، ورغَّب فيه نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (آل عمران: 79).

وفي «صحيح البُخاريِّ»[1] مِنْ حديثِ عُثْمانَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ**».

وأعظمُ النَّاسِ حَقًّا علينا هُمْ أبناؤُنا؛ فيجبُ علينا أَنْ نُعَلِّمَهُمْ قَبْلَ غَيْرِهِمْ؛ لأَنَّهُمْ أمانةٌ عِنْدَنا؛ لينشَئُوا على الفِطْرَةِ.

قال **الحافظُ السُّيوطيُّ** رحمه الله: «تعليمُ الصِّبْيانِ القُرْآنَ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الإسلامِ، فينشئُونَ على الفِطْرَةِ، ويَسْبِقُ إلى قُلُوبِهِمْ أنوارُ الحِكمةِ، قَبْلَ تَمَكُّنَ الأَهْوَاءُ منها، وسوادِها بأكْدَارِ المعصيةِ»[2].

أَيُّها النَّاسُ، لَقَدْ دَرَجَ آباؤُنا، وأَجْدَادُنا، وَمِنْ قَبْلِهِمْ سَلَفُنا الصَّالحُ ـ على تعليمِ أَوْلَادِهِمْ كتابَ اللهِ مِنَ الصِّغَرِ.

ففي «صحيح البخاريِّ»[3] مِنْ حديثِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «تُوُفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ وأَنَا ابْنُ عَشْرِ سنينَ، وقَدْ قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ[4]».

---

(1) رواه البخاريُّ (5027).

(2) انظر «أطفَال المسلمين الَّذين ربَّاهُمُ النَّبيُّ الأَمِين ﷺ» لجمالِ بْنِ عَبْدِ الرَّحمنِ (ص145).

(3) رواه البخاريُّ (5036).

(4) المُحْكم: المُفَصَّل، وهو مِنَ «ق» إلى آخِرِ القرآن على الصَحِيح.

قال **الحافظُ ابْنُ كثيرٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ أَوْرَدَ هذا الحديثِ: «وعلى كُلِّ تقديرٍ ففيه دلالةٌ على جوازِ تعليمِهِمُ القُرْآنَ في الصِّبا، بَلْ قَدْ يكونُ مُسْتحبًّا أو واجبًا؛ لأنَّ الصَّبيَّ إذا تعلَّم القُرْآنَ، بَلَغَ وهُوَ يَعْرِفُ ما يُصَلِّي بِهِ، وحفْظُهُ في الصِّغَرِ أَوْلى مِنْ حِفْظِهِ كبيرًا، وأَشَدُّ عُلُوقًا بخاطِرِهِ وأرسخُ وأَثْبَتُ، كما هو المَعْهُودُ في حالِ النَّاسِ»[1].

وها هُوَ الشَّافعيُّ يَقُولُ: «حَفِظْتُ القُرآنَ وأنا ابْنُ سَبْعِ سنينَ، وحَفِظْتُ المُوَطَّأَ وأنا ابْنُ عَشْرِ سنينَ»[2].

وحَفْصَةُ بنْتُ سِيرينَ حَفِظَتِ القُرآنَ وهي بِنْتُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سنةً[3].

وبالجُمْلَةِ: يَطولُ بنا المقامُ في سَرْدِ مِثْلِ هذا، فَقَدْ أَصْبَحَ حِفْظُ القُرْآنِ في الصِّغَرِ عِنْدَ سَلَفِنا الصَّالحِ شِعَارًا مِنْ شعائرِ الدِّينِ.

قال العلَّامةُ **ابْنُ خلدون** رَحِمَهُ اللَّهُ: «تعليمُ الوِلْدانِ للقرآنِ شِعَارٌ مِنْ شعائرِ الدِّينِ، أَخَذَ به أَهْلُ المِلَّةِ، ودَرَجُوا عليه في جميعِ أمصارِهِمْ، لما يَسْبِقُ فيه إلى القُلُوبِ مِنْ رُسُوخِ الإيمانِ وعقائدِهِ بسببِ آياتِ القُرْآنِ، ومُتُونِ الأحاديثِ، وصار القُرْآنُ أَصْلَ التَعْلِيمِ، الَّذي يَنْبني عليه ما يُحَصَّلُ بَعْدُ مِنَ المَلَكاتِ؛ وسَبَبُ ذلك أنَّ تعليمَ الصِّغَرِ أشدُّ رُسُوخًا، وهُوَ أَصْلٌ لِمَا بَعْدَهُ؛ لأنَّ السابِقَ الأوَّلَ للقُلُوبِ كالأساسِ للمَلَكاتِ، وعلى حَسَبِ الأساسِ وأساليبِهِ يكونُ حالُ ما يَنْبني عَلَيْهِ»[4].

---

(1) «تفسير ابْنِ كثيرٍ» (1/ 106).

(2) «مناقب الشافعيِّ» لابْنِ الأثيرِ الجَزَريِّ (ص80).

(3) «سِير أعلام النبلاء» للذَّهبيِّ (4/ 507).

(4) «مقدِّمة ابْنِ خلدون» (689).

أَيُّها النَّاسُ، علِّموا أولادكمُ القُرْآنَ صِغارًا، قَبْلَ أَنْ يَشِبُّوا، واحْذَرُوا التَّساهُلَ؛ فإنَّ الوَلَدَ أَمَانةٌ.

فهذا عِكْرِمَةُ رحمه الله يَقُولُ: «كان ابْنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما يَجْعَلُ الكَبْلَ (أَي: القَيْدَ) في رِجْلي على تَعْلِيمِ القُرْآنِ والسُّنَّةِ»[1].

أيُّها النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقامي هذا أُذَكِّرُكُمْ بالحديثِ الَّذي أخرجه الحاكمُ في «مُسْتَدركه» بسندٍ حسنٍ لغيرِهِ، كما قال الأَلْبانيُّ في «صحيح التَّرْغيبِ والتَّرهيبِ»[2] مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « **مَنْ قَرَأَ القُرْأنَ، وتَعَلَّم وعَمِلَ به، أُلْبِسَ والداهُ يَوْمَ القِيامةِ تاجًا مِنْ نُورٍ، ضَوْءُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، ويُكْسَى والداهُ حُلَّتَيْنِ لا يُقَوَّمُ بهما الدُّنْيا، فيقولانِ: بِمَ كُسينا هذا؟، فيُقَالُ: بأَخْذِ وَلَدِكُما القُرْآنَ**».

وأُذَكِّرُكُمْ ـ أيضًا ـ بما جاء في «صحيح مسلمٍ»[3] مِنْ حديثِ جابرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ ما لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ـ إن اعْتَصَمْتُمْ بِهِ ـ كِتَابُ الله**».

اللّهُمَّ اجعلِ القُرآنَ رَبِيعَ قُلُوبِنا، ونُورَ صُدُورِنا، وَجِلَاءَ أَحْزانِنا، وذَهَابَ هُمُومِنا، اللّهُمَّ اجْعَلْنا مِنْ أَهْلِ القُرْآنِ الَّذين هُمْ أَهْلُكَ وخاصَّتُكَ، يا أَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ.

---

(1) رواه أبو نعيم في «الحلية» (3/ 326)، والخطيبُ في «الفقيه والمُتفقِّه» (1/ 47)، وابْنُ عَسَاكِرَ في «تاريخه» (41/ 82).

(2) «**حَسَنٌ لغيره**»: أخرجه الحاكمُ (1/ 568)، وقال الأَلْبانيُّ في «صَحِيح التَّرغيب» (1433): حَسَنٌ لِغَيْرِهِ.

(3) رواه مسلمٌ (1218).

11 النَّبيُّ ﷺ في بَيْتِه

الخُطْبَةُ الأُولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (النساء: 1).

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ - أيُّها النَّاسُ - حديثي معكمُ اليَوْمَ عَنْ شيءٍ مِنْ حياةِ النَّبيِّ ﷺ في بَيْتِهِ.

أَيُّها النَّاسُ، لَقَدْ كان نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ خَيْرَ النَّاسِ لأهلِهِ، ولا عَجَبَ؛ فَقَدْ وَصَفَهُ ربُّهُ بقولِهِ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: 4). فكان - لِكمالِ أخلاقِهِ - يَقُولُ - كما في «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بسَنَدٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح الجامع»[1]: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وأنا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي**».

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه التِّرْمذيُّ (3895)، وابْنُ حبَّان (1312) عَنْ عائشةَ رضي الله عنها، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (3314).

وكان يَقُولُ ـ كما في «مسندِ أحمدَ» بسَنَدٍ صحيحٍ، صحَّحه الألْبانيُّ في «الصَّحيحة»[1]: «**أَكْمَلُ المُؤْمنين إيمانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وخِيارُكم خِيارُكُمْ لنسائِهِمْ**».

فكيف كان ﷺ في بَيْتِهِ، ومَعَ أَهْلِهِ؟.

ها هُوَ الأَسْوَدُ يَسْأَلُ أُمَّنا عائشةَ رضي الله عنها: ما كان النَّبيُّ ﷺ يَصْنَعُ قي بَيْتِهِ؟. قالتْ: «كان يَكُونُ في مِهْنَةِ أَهْلِهِ ـ تَعْني: خِدْمةَ أَهْلِهِ ـ فإذا حَضَرَتِ الصَّلاةُ، خَرَجَ إلى الصَّلاةِ». والحديثُ رواهُ البُخَاريُّ في «صحيحه»[2].

وفي «مسندِ أحمدَ» بسَنَدٍ صحيحٍ، صحَّحه الألْبانيُّ في «صحيح الجامع»[3] عَنْ عُرْوَةَ قال: قِيلَ لعائشةَ رضي الله عنها: ما كان يَعْمَلُ رَسُولُ الله في بَيْتِهِ؟. قالتْ: «كان يَخِيطُ ثَوْبَهُ، ويَخْصِفُ[4] نَعْلَهُ، ويَعْمَلُ ما يَعْمَلُ الرِّجالُ في بُيُوتِهِمْ».

وفي «مسندِ أبي يعلى» و«شمائل التِّرْمِذيِّ» و«صحيح ابْنِ حبَّانَ» بسندٍ صحيحٍ صحَّحه الألْبانيُّ في «صحيح الجامع»[5] عَنْ عَمْرَةَ عَنْ عائشةَ رضي الله عنها أنَّها سُئِلَتْ: ما كان عَمَلُ رَسُولِ الله ﷺ في بَيْتِهِ؟. قالتْ: «ما كان إلَّا بَشَرًا مِنَ البَشَرِ، كان يَغْلي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شاتَهُ، ويَخْدُمُ نَفْسَهُ ﷺ».

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (2/ 250)، والتِّرْمذيُّ (1162) عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (284).

(2) رواه البخاريُّ (676).

(3) «**صَحِيحٌ**»: رواه أحمدُ (6/ 121)، وابْنُ حبَّانَ (5677)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (4937).

(4) الخَصْفُ: خياطة الجِلْد، وبابُهُ ضَرَبَ.

(5) «**صَحِيحٌ**»: رواه أبو يعلى في «مُسندِهِ» (4873)، والتِّرْمذيُّ في «الشمائل» (293)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (4996).

أَيُّها النَّاسُ، دُوْنَكُمْ قُطُوفًا مِنْ حياةِ النَّبيِّ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ:

أَيُّها النَّاسُ، أَوَّلُ زَهْرَةٍ أَقْطِفُها لَكُمْ هي حِلْمه وصَبْرُهُ مَعَ أَزْوَاجِهِ ﷺ.

ففي «صحيح مسلمٍ»[1] مِنْ حديثِ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: «إِنَّ نِسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ كُنَّ يَجْتَمِعْنَ في كُلِّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ صاحِبِ النَّوْبَةِ مِنْهُنَّ، فَدَخَلَتْ زَيْنَبُ بَيْتَ عائشةَ رضي الله عنها، فَمَدَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ، فقالتْ عائشةُ: إِنَّها زَيْنَبُ. فكفَّ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ، فتَقَاوَلَتا حتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهما، فمرَّ أبو بَكْرٍ فَسَمِعَهُما، فقال: يا رسولَ الله، احْثُ في أَفْوَاهِهِنَّ التُّرابَ، وجاءتِ الصَّلاةُ، فَخَرَجَ ولَمْ يُكَلِّمْها، ولكنَّ أبا بَكْرٍ عاد بَعْدَ الصَّلاةِ، فعنَّفَ عائشةَ».

فانظروا - أيُّها النَّاسُ - إلى صَبْرِهِ ﷺ وَحِلْمِهِ على ما بَدَرَ مِنْ أَزْوَاجِهِ وتَخَاصُمِهِنَّ أمامَهُ، دُونَ أَنْ يُعَنِّفَ إحداهُنَّ.

يقولُ الإمامُ **النَّوويُّ** رحمه الله: (أَمَّا قولُهُ: «احْثُ في أَفْوَاهِهِنَّ التُّرابَ» فمبالغةٌ في زَجْرِهِنَّ، وَقَطْعِ خِصَامِهِنَّ، وفيه فَضِيلةٌ لأبي بَكْرٍ رضي الله عنه، وشفقتُهُ - ونَظَرُهُ - في المصالحِ، وفيه إشارةُ المَفْضُولِ على صاحبِهِ الفاضِلِ بمَصْلَحَتِهِ)[2].

وفي «صحيح البخاريِّ»[3] مِنْ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها: أَنَّ نساءَ رَسُولِ الله ﷺ كُنَّ حِزْبَيْنِ: فَحِزْبٌ فيه عائشةُ، وحَفْصَةُ، وصَفِيَّةُ، وسَوْدَةُ، والحِزْبُ الآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ، وسائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ الله ﷺ، وكان المُسلمون قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ الله ﷺ عائشةَ، فإذا كانتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةٌ، يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَها إلى رَسُولِ الله ﷺ أَخَّرَها،

(1) رواه مسلم (1462).

(2) «شرح النَّوويِّ على مسلمٍ» (10/ 39).

(3) رواه البخاريُّ (2581).

حتَّى إذا كان رَسُولُ اللهِ ﷺ في بَيْتِ عائشةَ، بَعَثَ صاحبُ الهَدِيَّةِ إلى رَسُولِ الله ﷺ في بَيْتِ عائشةَ، فكَلَّمَ حِزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَ لها: كلِّمي رَسُولَ الله ﷺ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فيقولُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إلى رَسُولِ الله ﷺ هَدِيَّةً، فَلْيُهْدِها حَيْثُ كان مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ، فكلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بما قُلْنَ، فَلَمْ يَقُلْ لها شيئًا، فَسَأَلْنَها، فقالتْ: ما قال لي شَيْئًا، فَقُلْنَ لها: فكلِّميهِ، قالتْ: فكلَّمتْهُ حِيْنَ دَارَ إليها ـ أيضًا ـ، فَلَمْ يَقُلْ لها شيئًا، فَسَأَلْنَاها، فقالت: ما قال لي شيئًا، فَقُلْنَ لها: كَلِّميه حتَّى يُكَلِّمَكِ، فدار إليها، فَكَلَّمَتْهُ، فقال لها: «**لا تُؤْذِيني في عائشةَ؛ فإنَّ الوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وأنا في ثَوْبِ امْرَأَةٍ إلَّا عائشةَ**». قالتْ: فقالتْ: أَتُوبُ إلى الله مِنْ أَذاكَ يا رَسُولَ الله. ثُمَّ إنَّهُنَّ دَعَوْنَ فاطمةَ بِنْتَ رَسُولِ الله ﷺ، فَأَرْسَلَتْ إلى رَسُولِ الله ﷺ تَقُولُ: إنَّ نِساءَكَ يَنْشُدْنَكَ العَدْلَ[1] في بِنْتِ أبي بَكْرٍ، فكلَّمتْهُ فقال: «**يا بُنَيَّةُ، أَلَا تُحِبِّينَ ما أُحِبُّ؟**». قالتْ: بَلَى. فَرَجَعَتْ إليهِنَّ فأخبرَتْهُنَّ، فَقُلْنَ: ارْجعي إليهِ، فأبتْ أَنْ تَرْجِعَ، فأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، فأَتَتْهُ فَأَغْلَظَتْ، وقالتْ: إنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللهَ العَدْلَ في بِنْتِ ابْنِ أبي قُحافةَ، فَرَفَعَتْ صَوْتَها، حتَّى تَناوَلَتْ عائشةَ وهي قاعدةٌ فَسَبَّتْها، حتَّى إنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَيَنْظُرُ إلى عائشةَ هَلْ تَكَلَّمُ، قال: فتكلَّمَتْ عائشةُ تَرُدُّ على زَيْنَبَ، حتَّى أَسْكَتَتْها، قالتْ: فَنَظَرَ النَّبيُّ ﷺ إلى عائشةَ، وقال: «**إنَّها بِنْتُ أبي بَكْرٍ!**».

فانظروا ـ أيُّها النَّاسُ ـ فالنَّبيُّ ﷺ لم يَظْلِمْ نساءَهُ على حِسَابِ عائشةَ، بَلْ إنَّ ما فَعَلَهُ أصحابهُ مِنْ تَكْرِيمِ عائشةَ لمحبَّةِ النَّبيِّ ﷺ خارجٌ عَنْ أَمْرِهِ، ومَعَ ذلك فَقَدْ عالج النَّبيُّ ﷺ هذِهِ الرَّغْبَةَ مِنْ أَزْواجِهِ بحِلْمٍ ورِفْقٍ، دُونَ أَنْ يَقْسُوَ على زَوْجاتِهِ، ويُعَنِّفَهُنَّ لتجرُّئِهِنَّ عليه.

---

(1) يَنْشُدْنَكَ العَدْلَ أَيْ: يَسْأَلْنَ منك العَدْل، والمُرادُ بِهِ: التَّسْوية بينهُنَّ في كُلِّ شيءٍ.

بَلْ إنَّهُ قَدْ جاء في «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ زوجاتِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم كُنَّ يُراجِعْنَهُ ويُجادِلْنَهُ ويُناقِشْنَهُ، وهُوَ صلى الله عليه وسلم يَسْمَعُ لَهُنَّ، ولا يُنْكِرُ ذلك مِنْهُنَّ تواضعًا مِنْهُ صلى الله عليه وسلم، ورَأْفَةً مِنْهُ ورحمةً- بَلْ حَتَّى إنَّ إحدَاهُنَّ كانتْ تُرَاجِعُهُ وتَهْجُرُهُ إلى اللَّيلِ، وهُوَ صابرٌ حليمٌ عليهِنَّ.

وانظروا - أيُّها النَّاسُ - إلى ما جاء في «مسندِ أحمدَ» بسندٍ حَسَنٍ، حسَّنه الأَرناؤوطَ في تحقيقهِ على المسند[2] مِنْ حديثِ النُّعْمانِ بْنِ بَشيرٍ رضي الله عنهما قال: جاء أبو بَكْرٍ رضي الله عنه يستَأْذِنَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، فَسَمِعَ عائشةَ رضي الله عنها وهي رافعةٌ صَوْتَها على رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ فقال: يا ابْنَةَ أُمِّ رُومَانَ - وتناوَلَها -، أَتَرْفَعِينَ صَوْتَكِ على رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم؟!. قال: فَحَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بَيْنَهُ وبَيْنَها، قال: فلمَّا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ جَعَلَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لَها - يَسْتَرْضِيها -: «**أَلَا تَرينَ أَنِّي قَدْ حُلْتُ بَيْنَ الرَّجُلِ وبَيْنَكِ؟!**». ثُمَّ جاء أبو بَكْرٍ مُسْتأذِنٌ عليه، فَوَجَدَهُ يُضَاحِكُها. قال: فَأَذِنَ لَهُ، فَدخَلَ فقال له أَبُو بَكْرٍ: يا رسولَ الله، أَشْرِكاني في سِلْمِكُما كما أَشْرَكْتُماني في حَرْبِكُما.

أَيُّها النَّاسُ، لا يَظُنَّ أَحَدُنا أنَّ الحياةَ قَدْ خَلَتْ مِنَ الْمُنَغِّصَاتِ والمَشَاكِلِ؛ فهذا أَمْرٌ يَتَنافَى وسُنَّةَ الابتلاءِ الرَّبَّانِيِّ الثَّابتةَ لبَني الإنسانِ، أَلَمْ يَقُلْ رَبُّنا - تبارك وتعالى -: ﴿**ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢**﴾ (الملك: 2)؟!.

إنَّ المشاكلَ حاصلةٌ، لكنْ تحتاجُ إلى حِلْمٍ وصَبْرٍ وحِكْمةٍ؛ فإنَّ الشَّيطانَ حريصٌ على الفِتْنةِ، حريصٌ على أَنْ يَخْرُجَ وَهُوَ الرَّابحُ ونَحْنُ الخاسرون.

---

(1) انظرِ الحديثَ بطُولِهِ في «صَحِيح البخاريِّ» (5843)، و«صَحِيح مسلمٍ» (1479).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ في «مسنده» (1797).

ففي «صحيح مسلم»[1] مِنْ حديثِ جابرٍ ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ على الماءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فيقولُ: فعلتُ كَذَا وكَذَا، فيقولُ: ما صَنَعْتَ شَيْئًا، قال: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فيقولُ: ما تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قال: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ، ويَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ!». قال **الأَعْمَشُ**: أراهُ قال: «فَيَلْتَزِمُهُ».

وانظروا - أيُّها النَّاسُ - إلى حِكْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ في القَضَاءِ على المَشَاكِلِ في مَهْدِها، وتَفْوِيتِ الفُرْصَةِ على الشَّيْطانِ الرَّجيمِ.

ففي «صحيح البُخاريِّ»[2] مِنْ حديثِ أَنَسٍ ﷺ قال: كان النَّبيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نسائِهِ، فأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهاتِ المُؤْمنين بصَحْفَةٍ فيها طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتي النَّبيُّ ﷺ في بَيْتِها يَدَ الخادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ، فانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فيها الطَّعَامَ الَّذي كان في الصَّحْفَةِ، ويَقُولُ: «**غَارَتْ أُمُّكُمْ**». ثُمَّ حَبَسَ الخادِمَ، حَتَّى أُتِيَ بصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتي هُوَ في بَيْتِها، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحيحةَ إلى الَّتي كُسِرَتْ صَحْفَتُها، وأَمْسَكَ المَكْسُورةَ في بَيْتِ الَّتي كَسَرَتْ.

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

---

(1) رواه مسلم (2813).

(2) رواه البخاريُّ (5225).

الخُطْبةُ الثَّانيةُ ـ النَّبيُّ ﷺ في بَيْتِهِ :

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ تقدَّم الحديثُ مَعَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ حياةِ النَّبيِّ ﷺ في بَيْتِهِ، واقتطفتُ لَكُمْ زَهْرَتَيْنِ، هُما: الصَّبْرُ، والحِلْمُ، والآنَ أقتطفُ لكم زهرةً مِنْ مَشَاعِرِهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ.

أَيُّها النَّاسُ، لَقَدْ كان ـ نبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ مِثَالًا للُّطْفِ والأُنْسِ ودِفْءِ المَشَاعِرِ مَعَ أَهْلِهِ خاصَّةً، ومَعَ النَّاسِ كافَّةً.

ففي «صحيح مسلمٍ»[1] مِنْ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: «كُنْتُ أَشْرَبُ وأنا حائضٌ، ثُمَّ أُناولُهُ النَّبيَّ ﷺ، فَيَضَعُ فاهُ على مَوْضِعِ فِيَّ، فَيَشْرَبُ، وأَتَعَرَّقُ العَرْقَ ـ وهُوَ العَظْمُ الَّذي عليه بقيَّةٌ مِنْ لحمٍ ـ وأنا حائضٌ، ثُمَّ أُناوِلُهُ النَّبيَّ ﷺ، فَيَضَعُ فاهُ على موضِعِ فِيَّ».

وكان مِنْ جميلِ مشاعرِهِ: أَنَّهُ رَفَعَ الكلفةَ إلى حدٍّ أَنْ يستبقَ هُوَ وامْرَأَتُهُ.

ففي «مسندِ أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألْبانيُّ في«آدابِ الزِّفاف»[2] مِنْ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها أنَّها قالتْ: خَرَجْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ في بَعْضِ أَسْفَارِهِ وأَنَا جاريةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ، ولَمْ أَبْدُنْ، فقال للنَّاسِ: «**تقدَّمُوا**». فتقدَّمُوا، ثُمَّ قال:

---

(1) رواه مسلم (300).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ في «مسنده» (6/ 264)، وأبو داوُدَ (2578)، وابْنُ ماجَهْ (2010)، وصحَّحه الأَلْبَانيُّ في «الإرواء» (1502)، و«آداب الزِّفاف» (ص276).

«**تعالَيْ حتَّى أُسَابِقَكِ**». فسابَقْتُهُ فَسَبِقْتُهُ، فَسَكَتَ عنِّي، حتَّى إذا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وبَدُنْتُ ونَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ في بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فقال للنَّاسِ: «**تقدَّمُوا**». فتقدَّمُوا، ثُمَّ قال: «**تَعَالَيْ أُسَابِقَكِ**». فسابَقْتُهُ فَسَبِقَني، فَجَعَلَ يَضْحَكُ وهُوَ يَقُولُ: «**هذِهِ بتِلْكَ**».

وفي «صحيح البُخَاريِّ»[1] مِنْ حديثِ أَنَسٍ رضي الله عنه في حديثِهِ عَنْ صَفِيَّةَ رضي الله عنها: «فَرَأَيْتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يحَوِّي لها[2] وَرَاءَهُ بعباءَةٍ، ثُمَّ يجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ وتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَها على رُكْبَتِهِ حتَّى تَرْكَبَ».

وأخرج النَّسائيُّ في «عشرة النِّساءِ» بإسنادٍ حَسَنٍ[3] مِن حديثِ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: زارَتْنا سَوْدَةُ يَوْمًا، فجلس بَيْني وبَيْنَها، وإحْدَى رِجْلَيْهِ في حِجْري، والأُخْرى في حِجْرِها، فَعَمِلْتُ الخَزِيرةُ، فَقُلْتُ: كُلي، فأبَتْ، فَقُلْتُ: لَتَأْكُلِنَ أَوْ لَأَلَطِّخَنَّ وَجْهَكِ، فأبَتْ، وأخذتُ مِنَ القَصْعةِ شَيْئًا، فَلَطَّخْتُ بِهِ وَجْهَهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فرفع رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم رِجْلَيْهِ مِن حجْرِها؛ لتَسْتَقيدَ منِّي، وقال لها: «**لطِّخي وَجْهَها**». فأَخَذَتْ مِنَ الصَّحْفَةِ شَيْئًا، فلطَّخَتْ بِهِ وَجْهي، ورَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَضْحَكُ.

والخَزِيرةُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ لَحْمٌ يُقَطَّعُ صِغَارًا ويُصَبُّ عليه ماءٌ كثيرٌ، فإذا نَضِجَ ذُرَّ عليه الدَّقيقُ.

---

(1) رواه البخاريُّ (4211).

(2) يُحَوِّي لها ـ بتشديد الواوِ ـ أيْ: يجعلُ لها حَوِيَّةً، وهي كِسَاءٌ محْشُوٌّ يُدَارُ حَوْلَ سنام البَعير، مُهَيَّأٌ للمَرْأَة لتَرْكَبَهُ، والجَمْعُ الحَوَايا.

(3) أخرجه النَّسائيُّ في «عِشْرةِ النِسّاء» (8917)، وأبو يعلى في «مسنده» (4476).

وفي «صحيح البُخَارِيِّ»[1] مِنْ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: «لَقَدْ رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَوْمًا على بابِ حُجْرتي، والحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ في المَسْجِدِ ورَسُولُ الله ﷺ يَسْتُرُني بردَائِهِ، أَنْظُرُ إلى لَعِبِهِمْ».

قال **الحافظُ ابْنُ حَجَرٍ** رحمه الله: «وفي الحديثِ جَوازُ النَّظَرِ إلى اللَّهْوِ المُبَاحِ، وفيهِ حُسْنُ خُلُقِهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ، وكَرَمُ مُعَاشرتِهِ»[2].

أَيُّها النَّاسُ، تِلْكَ قُطُوفٌ مِنْ أَخْلاقِهِ ﷺ، وحُسْنِ عِشْرَتِهِ مَعَ أَهْلِهِ، واللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ قَدْ أَمَرَنا بالتَّأَسِّي به، فقال: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾** ﴾ (الأحزاب: 21).

أَيُّها النَّاسُ، لا يَنْبَغي لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَفْرَكَ مؤمنةً؛ فإنَّهُ إنْ كَرِهَ مِنْها خُلُقًا، رَضِيَ منها آخَرَ، ورَبُّنا يَقُولُ: ﴿ **فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾** ﴾ (النساء: 19).

وفي «صحيح مسلمٍ»[3] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً؛ إنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا، رَضِي منها آخَرَ** ـ أَوْ قَالَ: **غَيْرَهُ** ـ».

وقَوْلُهُ: «**لا يَفْرَكْ**». أَيْ: لا يُبْغِضْ.

أيُّها النَّاسُ، قَدْ دَلَّ الدَّليلُ مِنْ كتابِ الله، وسُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ على أَنَّهُ لا يَحْسُنُ ولا يَجْمُلُ بالمُؤْمِنِ أَنْ يُبْغِضَ زَوْجَهُ مَتَى وَجَدَ مِنها خُلُقًا لا يُعْجِبُهُ؛ لأَنَّهُ رُبَّما هُناك أَخْلاقٌ مَرْضِيَّةٌ، لكنَّهُ يَسْعَى ما استطاع لإِصلاحِها.

---

(1) رواه البخاريُّ (544) ـ واللَّفْظُ لَهُ ـ، ومسلم (892).

(2) «فتح الباريِّ» (1/ 549).

(3) رواه مسلم (1469).

أَيُّها النَّاسُ، النِّساءُ أَشْبَهُ بالقَوارِيرِ، دَلَّ على ذلك ما جاء في «صحيح البُخاريِّ»[1] مِنْ حديثِ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: كانتْ أُمُّ سُلَيْمٍ في الثِّقَلِ، وأَنْجَشَةُ غُلَامُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم يَسُوقُ بهنَّ، فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**يا أَنْجَشُ، رُوَيْدَكَ سَوْقَكَ بالقَوَارِيرِ**».

فهنا شَبَّهَ النَّبيُّ النِّساءَ بالقَوَاريرِ إشارةً إلى ما فيهنَّ مِنَ الصَّفَاءِ والنَّعُومةِ والرِّقَّةِ، وإلى ضَعْفِهِنَّ وقِلَّةِ تحمُّلِهِنَّ، والمَقْصُودُ - أيُّها النَّاسُ - : أَنَّهُنَّ بحاجةٍ إلى الرِّفْقِ في تَوْجِيهِهِنَّ وتعليمِهِنَّ والحياةِ مَعَهُنَّ.

أيُّها النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مقامي هذا أُذَكِّرُكُمْ بقولِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم (كما في «الصَّحيحَيْنِ»[2] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه): «**اسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا؛ فإنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وإنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ في الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فإنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وإنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فاسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا**».

أَيُّها النَّاسُ، سَلُوا اللهَ الَّذي جَمَعَكُمْ في الدُّنيا في بَيْتٍ واحِدٍ على طاعَتِهِ، وجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً ورحمةً - أَنْ يَجْمَعَكُمْ في الفِرْدَوْسِ في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ.

اللّهُمَّ ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ (الفرقان: 74)، اللّهمْ باركْ لنا في أَهْلِنا وأَوْلَادِنا، اللّهُمَّ لا تَجْعَلِ الدُّنْيا أَكْبَرَ هَمِّنا، ولا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، واجْعَلِ الآخرةَ أكبرَ هَمِّنا، ومَبْلَغَ عِلْمِنَا، اللّهُمَّ لا تَكِلْنا إلى أَنْفُسِنا طَرْفَةَ عَيْنٍ، اللّهُمَّ اغْفِرْ لآبائِنا وأُمَّهاتِنا، اللّهُمَّ ارْحَمْهُمْ كما رَبَّوْنا صِغَارًا.

---

(1) رواه البخاريُّ (6202).

(2) رواه البخاريُّ (3331)، ومسلم (1468).

12 وفـاةُ الرَّسُول ﷺ

الخُطْبَةُ الأُولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ، حديثي معكم - أَيُّها النَّاسُ - عَنْ وفاةِ الرَّسُولِ ﷺ.

أيُّها النَّاسُ، إنَّ مُصِيبةَ مَوْتِ النَّبيِّ ﷺ أَعْظَمُ المُصَائِبِ على المُسْلمينَ.

ففي «سُنَن ابْنِ ماجَهْ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[1] مِنْ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: قال رسولُ الله ﷺ: **«يا أيُّها النَّاسُ، أيُّما أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ - أَوْ مِنَ المُؤْمنين - أُصِيبَ بمُصيبةٍ، فَلْيَتَعَزَّ بمصيبتِهِ بي عَنِ المُصيبةِ الَّتي**

(1) «صَحِيحٌ»: أخرجه ابْنُ ماجَهْ (1599)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة».

تُصِيبُهُ بغَيْرِي؛ فإنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصابَ بمُصيبةٍ بَعْدي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبتي»[1].

أيُّها النَّاسُ، لَقَدْ أَعْلَم الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبيَّنا محمَّدًا ﷺ بأَجَلِه.

ففي «صحيح مسلم»[2] مِنْ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: كان رسولُ الله ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: «**سُبْحَانَكَ وبحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ**».

قالتْ: قُلْتُ: يا رسولَ الله، ما هذِهِ الكَلِماتُ الَّتي أراكَ أَحْدَثْتَها تَقُولُها؟. قال: «**جُعِلَتْ لي عَلَامةٌ في أُمَّتي، إذا رَأَيْتُها قُلْتُها ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾**».

وَقَدْ سَأَلَ عُمَرُ ابْنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ هذِهِ الآيةِ: **﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾**، فقال: «أَجَلُ رَسُولِ الله ﷺ أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ». قال: «ما أَعْلَمُ مِنْها إلَّا ما تَعْلَمُ».

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[3] مِنْ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: كُنَّ أَزْواجُ النَّبيِّ ﷺ عِنْدَهُ، لم يُغادِرْ منهُنَّ واحدةً، فأقبلتْ فاطمةُ تَمْشي، ما تُخْطِئُ مِشْيَتُها مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ الله ﷺ شيئًا، فلمَّا رآها رَحَّبَ بها، فقال: «**مَرْحبًا بابْنَتي**». ثُمَّ أَجلَسها عَنْ يَمِينِهِ ـ أوْ عَنْ شِمالِهِ ـ، ثُمَّ سارَّها فبَكَتْ بُكاءً شديدًا، فلمَّا رَأَى جَزَعَها، سارَّها الثَّانيةَ فضحِكَتْ، فقُلْتُ لها: خَصَّكِ رسولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ نسائِهِ بالسِّرارِ، ثُمَّ أنتِ تبكينَ؟!، فلمَّا قام رَسُولُ الله ﷺ، سألتُها: ما قال لكِ رسولُ الله ﷺ؟.

قالتْ: ما كُنْتُ أُفْشي على رَسُولِ الله ﷺ سِرَّهُ. قالتْ: فلمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ، قُلْتُ: عَزَمتُ عليك بما لي عليكِ مِنَ الحَقِّ لَمَا حدَّثْتِني ما قال لكِ رَسُولُ الله ﷺ.

---

(1) رواه مسلم (484).

(2) رواه البخاريُّ (3627).

(3) رواه البخاريُّ (4433)، ومسلم (2450)، واللَّفْظُ لَهُ.

فقالتْ: «أَمَّا الآنَ فَنَعَمْ، أَمَّا حينَ سارَّنِي في المَرَّةِ الأُولى، فأخبرني أنَّ جِبْرِيلَ كان يُعارِضُهُ[1] القُرْآنَ في كُلِّ سنةٍ مرَّةً، وإنَّهُ عارَضَهُ الآنَ مرَّتينِ، وإنِّي لا أَرَى الأَجَلَ إلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فاتَّقي اللهَ واصْبري، فإنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أنا لَكِ».

قالتْ: فبكيتُ بُكائي الَّذي رأيتِ، فلمَّا رَأَى جَزَعي سارَّنِي الثَّانيةَ، فقال: «**يا فاطمةُ، أَمَا تَرْضَيْ أنْ تكُوني سَيِّدةَ نساءِ المُؤْمنين ـ أَوْ سَيِّدةَ نِسَاءِ هذِهِ الأُمَّةِ ـ ؟**».

قالتْ: فضحِكْتُ ضَحِكي الَّذي رأيتِ.

وفي روايةٍ «لمسلمٍ»: فأَخْبرني أنِّ أَوَّلُ مَنْ يَتْبَعُهُ مِنْ أَهْلِهِ؛ فَضَحِكْتُ.

ذلك ـ أيُّها النَّاسُ ـ بَعْضُ المقدِّماتِ لموتِهِ ﷺ.

وكان ﷺ قَدْ ودَّع النَّاسَ في حجَّةِ الوداعِ وأَوْصاهم.

ففي «صحيح مسلمٍ»[2] مِنْ حديثِ جابرٍ رضي الله عنه قال: رأيتُ النَّبيَّ ﷺ يَرْمي على راحلتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، ويقولُ: «**لِتَأْخُذُوا عنِّي مناسِكَكُمْ؛ فإنِّي لا أَدْري لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتي هذِهِ**».

وتتجلَّى وَصِيَّتُهُ ﷺ ووداعُهُ لأُمَّتِهِ في عَرَفاتٍ.

ففي «صحيح مسلمٍ»[3] مِنْ حديثِ جابرٍ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ أَمَرَ بالقَصْوَاءِ[4]، فَرُحِلَتْ[5] لَهُ، فأتي بَطْنَ الوادي، فخطَبَ النَّاسَ، وقال: «**إنَّ دماءَكُمْ وأموالَكُمْ حرامٌ**

(1) المُعارضة: المُقابلة، وهي مُفاعلة من الجانبين، جِبْريلُ عليه السلام يَقْرَأُ والنَّبيُّ ﷺ يستمعُ، ثُمَّ يقرأ النَّبيُّ ﷺ وجِبْرِيلُ عليه السلام يستمعُ.

(2) رواه مسلم (1279).

(3) رواه مسلم (1218).

(4) القَصْواء ـ بالفَتْح والمدِّ ـ: اسْمُ ناقةِ النَّبيِّ ﷺ.

(5) فَرُحِلَتْ أَيْ: جُعِلَ عليها الرَّحْلُ، وهُوَ المَرْكَبُ.

عليكمْ كحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الجاهليَّةِ تَحْتَ قَدَمي مَوْضُوعٌ، ودِماءُ الجاهليَّةِ مَوْضُوعةٌ، وإنَّ أوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنا دَمُ ابْنِ رَبيعةَ ابْنِ الحارِثِ، كان مُسْتَرْضِعًا في بَني سَعْدٍ، فَقَتَلَتْهُ هُذَيلٌ، وَرِبا الجاهليَّةِ مَوْضُوعٌ، وأوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا ربَا العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فإنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فاتَّقُوا اللهَ في النِّساءِ، فإنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بأَمَانِ الله، واسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بكَلِمَةِ الله، ولكم عليهِنَّ أَلَّا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فإنْ فَعَلْنَ ذلك فاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ[1]، ولَهُنَّ عليكم رِزْقُهُنَّ وكِسْوَتُهُنَّ بالمَعْرُوفِ، وقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ ما لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ـ إنِ اعتَصَمْتُمْ بِهِ ـ كتابَ الله، وأنتمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فما أَنْتُمْ قائِلُون؟».

قالوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وأَدَّيْتَ ونَصَحْتَ.

فقال بإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ ـ يَرْفَعُها إلى السَّماءِ، ويَنْكُتُهَا إلى النَّاسِ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ**» ثَلَاثَ مرَّاتٍ.

وفي رواية «للبخاريِّ»[2] منْ حديثِ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: «وَوَدَّعَ النَّاسَ، فقالوا: هذِهِ حَجَةُ الوَدَاعِ».

أَيُّها النَّاسُ، لَقَدْ حَضَرَ هذا المَوْقِفَ الجَمُّ الغَفِيرُ مِنَ النَّاسِ، فقيل ـ كما في «فتح الملك المعبود» ـ: «مائة وثلاثون ألفًا»[3].

وفي هذا اليَوْمِ العظيمِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ أُنْزِلَ على النَّبيِّ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ في يَوْمِ الجُمْعَةِ: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾ (المائدة: 3).

---

(1) ضَرْباً غَيْرَ مَبرِّحٍ ـ بكَسْرِ الباءِ مُشدَّدةً ـ أَيْ: غَيْرَ شاقٍّ.

(2) رواه البخاريُّ (1742).

(3) انظر «فتح الملك المعبود» (2/ 105).

وبَعْدَ أنْ رَجَعَ النَّبيُّ ﷺ، شَرَعَ في توديعِ الأحياء والأَمْوَاتِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ عُقْبَةَ بْنِ عامرٍ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا، فصلَّى عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ صَلَاةَ المَيِّتِ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كالمُوَدِّعِ للأَحْيَاءِ والأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ المِنْبَرَ، فقال: «**إنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ لَكُمْ**[2]**، وأَنَا شَهِيدٌ عليكم، وإنَّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ، وإنِّي ـ واللهِ ـ لَأَنْظُرُ إلى حَوْضِي الآنَ مِنْ مَقَامِي هذا، وإنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ، وإنِّي ـ واللهِ ـ ما أخافُ عليكمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، ولكنِّي أخافُ عليكمُ الدُّنْيا أن تتنافسوا فيها (وتَقْتَتِلُوا، فتَهْلِكُوا كما هَلَكَ مَنْ كان قَبْلَكُمْ)**».

قال **عُقْبَةُ**: «فكانتْ آخِرَ نَظْرةٍ نَظَرْتُها إلى رَسُولِ الله ﷺ (على المِنْبَرِ)».

قال **الحافظُ ابْنُ حَجَرٍ** رحمه الله ما معناهُ: فتوديعُهُ للأحياءِ ظاهرٌ؛ لأنَّ سِياقَ الحديثِ يُشْعِرُ أنَّ ذلك كان آخِرَ حياتِهِ ﷺ، وأمَّا توديعُهُ للأمواتِ فَبِاسْتِغْفَارِهِ لأَهْلِ البَقِيعِ، ودُعَائِهِ لأَهْلِ أُحُدٍ، وانقطاعِهِ بجَسَدِهِ عَنْ زيارَتِهِمْ[3].

أَيُّها النَّاسُ، بَعْدَ أَنْ وَدَّعَ النَّبيُّ ﷺ الأحياءَ، وصلَّى على شُهَداءِ أُحُدٍ، ودَعَا لهم، وذهب إلى أَهْلِ البَقِيعِ، وسَلَّمَ عليهم، ودعا لهم مُودِّعًا لهم ـ رَجَعَ مرَّةً مِنَ البَقِيعِ، فَوَجَدَ عائشةَ وهي تَشْتكِي مِنْ صُدَاعٍ برَأْسِها، وهي تَقُولُ: وَارَأْسَاهُ!. فقال ـ كما في «مسندِ أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «أحكام الجنائز»[4] ـ: «**بَلْ أَنَا ـ واللهِ ـ يا عائشةَ وَارَأْسَاهُ!**».

---

(1) رواه البخاريُّ (1344)، (3596)، (4042)، (4085)، (6590)، ومسلمٌ (2296)، وما بَيْنَ المعْكُوفَيْنِ من صَحيح مُسْلِم.

(2) فَرَطٌ لكم ـ بفتحتين ـ أَيْ: مُتَقدِّمُكم.

(3) «الفتح» (7/ 349).

(4) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (6/ 144)، وصحَّحه الألبانيُّ في «أحكام الجنائز» (ص50).

قالتْ عائشةُ رضي الله عنها ثُمَّ قال: «**وما ضَرَّكِ لَوْ متِّ قَبْلي، فقمتُ عَلَيْكِ، وكَفَّنْتُكِ، وصَلَّيْتُ عليكِ، ودَفَنْتُكِ؟**».

قالتْ: قُلْتُ: واللهِ لكأنِّي بك لَوْ قَدْ فَعَلْتَ ذلك، لَقَدْ رَجَعْتَ إلى بَيْتي، فأَعْرَسْتَ ببَعْضِ نِسَائِكَ[1].

قالتْ: فتبسَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

وأوَّلُ ما اشْتَدَّ برَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وَجَعُهُ في بَيْتِ مَيْمُونةَ، فاستأذن نساءَهُ أنْ يُمَرَّضَ في بَيْتِ عائشةَ رضي الله عنها، كما جاء ذلك في «صحيح مسلمٍ»[2].

وفي بَيْتِ ـ عائشةَ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ كان مَوْتُهُ صلى الله عليه وسلم، كما في «الصَّحيحين»[3] مِنْ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ: أَنَّهُ يمُوتَ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنيا والآخرةِ، فَسَمِعْتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في مَرَضِهِ الَّذي ماتَ فيه ـ وأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ يَقُولُ: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ (النساء: 69). قالتْ: فظننتُ خُيِّرَ حِينَئِذٍ.

وقالتْ عائشةُ رضي الله عنها كما في «الصَّحيحين»[4]: «فكانَتْ آخِرَ كَلِمَةً تكلَّم بها: «**اللَّهُمَّ الرَّفيقَ الأَعْلَى**».

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

---

(1) يُقَالُ: أَعْرَسَ بأَهْلِهِ: إذا بَنَى بها، وكذلك إذا غَشِيَها.

(2) «رواه مسلم» (418).

(3) رواه البخاريُّ (4435)، ومسلم (2444).

(4) رواه البخاريُّ (4436)، ومسلم (2444).

الخُطْبَةُ الثَّانيةُ ـ وَصِيَّةُ النَّبيِّ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ :

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ تقدَّم الحديثُ مَعَكُمْ عَنْ وفاةِ النَّبيِّ ﷺ، والآنَ حديثي معكمْ عَنْ وصيَّةِ النَّبيِّ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ.

أَيُّها النَّاسُ، وصايا النَّبيِّ ﷺ كثيرةٌ، ومَنْ ضِمْنِ ما أَوْصَى بِهِ ﷺ أُمَّتَهُ الصَّلاةُ.

ففي «مسندِ أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «إرواء الغليل»[1] مِنْ حديثِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أنَّها قالتْ: «كان آخِرُ وَصِيةِ رَسُولِ الله ﷺ: «**الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، وما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ**» حتَّى جَعَلَ نَبيُّ الله ﷺ يُجَلْجِلُها في صَدْرِهِ، وما يَفِيضُ به لسانُهُ».

أَيُّها النَّاسُ، انظروا إلى قَوْلِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: «حتَّى جَعَلَ نَبيُّ الله ﷺ يُجَلْجِلُها في صَدْرِهِ، وما يَفِيضُ به لسانُهُ»؛ وما ذاك ـ أيُّها النَّاسُ ـ إلَّا لأهمِّيَّةِ الصَّلاةِ، فهي ثاني أركان الإسلامِ بَعْدَ الشَّهادتَيْنِ، وعَمُودُ الدِّينِ، والفارقةُ بَيْنَ المُسلمين والكافرين، وشِعَارُ النَّبيِّينَ، وعَلامةُ المُتَّقين، والصِّلَةُ بَيْنَ العَبْدِ ورَبِّ العالمينَ، فهي محلُّ عنايةِ الأنبياءِ والمُرسلينَ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ حاكيًا عَنْ عَبْدِهِ وخَليله إبراهيم ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ قولَهُ: ﴿**رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى**﴾ (إبراهيم: 40).

وقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿**رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ**﴾ (إبراهيم: 37).

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (6/ 290)، وصحَّحه الأَلْبانيُّ في «إرواء الغليل» (7/ 238).

وقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ (مريم: 54، 55).

وقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ حاكيًا عَنْ زكريّا ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ ﴾ (آل عمران: 39).

وقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ حاكيًا عَنْ عيسى ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (مريم: 30، 31).

وقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ لعَبْدِهِ ورَسُولِهِ ـ محمَّدٍ ـ ﷺ: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ (الإسراء: 78، 79).

وقال له: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (طه: 132).

أَيُّها النَّاسُ، الصَّلاةُ طَرِيقٌ إلى الجنَّةِ، والنَّجاةُ مِنَ النَّارِ.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ (المعارج: 34، 35).

وقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (المؤمنون: 9 – 11).

أَيُّها النَّاسُ، تِلْكَ وَصِيَّةُ النَّبيِّ ﷺ وَهُوَ يُوَدِّعُ الدُّنيا، فَعَلَيْنا أَنْ نُحافِظَ عليها في أَوْقاتِها، وحَيْثُ يُنادَى بها.

اللّهُمَّ أَعنَّا على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتِكَ، اللّهُمَّ ﴿ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (البقرة: 201).

13 التَّـقـوى

الخُطْبةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ حديثي معكمُ اليَوْمَ عَنِ التَّقْوَى.

والتَّقْوَى ـ أيُّها النَّاسُ ـ الحديثُ عَنْها ذُو شُجُونٍ[1]، **وتُعَرَّفُ التَّقْوَى بأنَّها:** وقايةُ العَبْدِ نَفْسَهُ مِنْ عذابِ اللهِ بامتثالِ أَوامرِهِ، واجتنابِ نواهِيهِ.

وقَدْ ذكر اللهُ ـ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ التَّقْوَى في كتابِهِ الكريمِ في نَيِّفٍ[2] وخمسين ومائَةِ آيةٍ، وبشَّرَ المُتَّقين ببشاراتٍ عديدةٍ، منها:

(1) الحديثُ ذُو شُجُونٍ أَيْ: يدخُلُ بَعْضُهُ في بَعْضٍ.

(2) النَّيِّف ـ بالفتح والمُثَقَّلة أفصحُ مِنَ المخفّفة ـ : العَدَدُ الَّذي بَيْنَ عِقْدَيْنِ.

العَوْنُ، والنُّصرْةُ، والعِلْمُ والحِكْمةُ، وتكفيرُ الذُّنوبِ وتَعْظيمُ الأَجْرِ، والمَغْفِرَةُ واليُسْرُ والسُّهُولَةُ، والخُرُوجُ مِنَ الغَمِّ والمِحْنةِ، وَالرِّزْقُ الواسِعُ في الدُّنْيا، والنَّجاةُ مِنَ العُقُوبةِ في الآخِرَةِ، والتَّوْفيقُ والعِصْمَةُ والفَوْزُ بالمُرادِ، وشَهادةُ الله لهم بالصِّدْقِ، ومحبَّةُ الله وإكرامُهُ، وَنَيْلُ الوِصَالِ وقُبولُ الصَّدَقَةِ، والصَّفَاءُ وكمالُ العُبُوديَّةِ، والمَقامُ الأَمِينُ، والجنَّاتُ والْعُيُونُ، والأمْنُ مِنَ البَلِيَّةِ، وعِزُّ الفَوْقيَّةِ، وزوالُ الحُزْنِ والخوفِ مِنَ العُقُوبةِ، والزَّوجاتُ الحِسَانُ الكَواعِبُ[1] الأَتْرَابُ[2] في الجَنَّةِ، وأعظمُ مِن هذا كُلِّهِ الْقُرْبُ مِنَ الحَضْرةِ الإلهيَّةِ عِنْدَ الفَوْزِ بمَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَليكٍ مُقْتَدِرٍ[3].

أَيُّها النَّاسُ، لَقَدْ جاء لَفْظُ التَّقْوَى في القُرْآنِ الكريمِ على خَمْسَةِ أَوْجُهٍ:

الأَوَّل ـ الخَوْفُ والخَشْيَةُ، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾ (الحج: 1).

أَيْ: خافوا ربَّكُمْ، واخْشَوْهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ.

الثَّاني ـ العِبَادَةُ، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ٢﴾ (النحل: 2).

أي: فاعبدون.

الثَّالث ـ تَرْكُ المَعْصِيةِ، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩﴾ (البقرة: 189).

أَيْ: لا تَعْصُوهُ.

---

(1) الكواعب: جَمْعُ كاعبٍ، وهي الجاريةُ الَّتي تكعَّب ثَدْيُها وبَدَا للنُّهُودِ.

(2) الأتراب: الأمثال في السِّنِّ، الواحدة ترْبٌ ـ بالكَسْرِ.

(3) انظر الآيات الدَّالَّة على هذه البشارات في «بصائر ذوي التَّمْييز» (5/ 300 ـ 303).

الرَّابع ـ التَّوحيدُ، كما في قولِهِ ـ تعالى ـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ (الحجرات: 3).

أَيْ: للتَّوحِيدِ.

الخامس ـ الإخلاص، كما في قولِهِ ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ (الحج: 32).

أَيْ: مِنْ إخلاصِها.

ذلك ما جاء به القُرْآنُ الكريمُ مِنْ لَفْظِ التَّقْوَى، وأَمَّا شَرَفُها فذلك بَحْرٌ لا ساحلَ لَهُ، فَشَرَفُها شَرَفُ الدُّنْيا والآخرةِ، وسَوْفَ نَذْكُرُ طَرَفًا مِنْ ذلك:

1 – التَّقْوَى وَصِيَّةُ الله ـ سبحانه وتعالى ـ للأوَّلين والآخِرِينَ:

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ (النساء: 131).

2 – التَّقْوَى هي وَصِيَّةُ جَميعِ الرُّسُلِ الكِرامِ ـ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ:

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: 105، 106).

وقَالَ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ: ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: 123، 124).

وقَالَ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٤١ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٤٢﴾ (الشعراء: 141، 142).

وقال ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: 160، 161).

وقال ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: 10، 11).

3 – التَّقْوَى وَصِيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ لأُمَّتِهِ:

ففي «مسندِ أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألْبانيُّ في «الإرواء»[1] مِنْ حديثِ العِرْبَاضِ ابْنِ ساريَةَ رضي الله عنه قال: صلَّى بنا رَسُولُ الله ﷺ الصُّبْحَ، فوَعَظَنا مَوْعِظَةً بليغةً، ذَرَفَتْ مِنْها العُيُونُ، وَوَجِلَتْ منها القُلُوبُ، فقال قائلٌ: يا رسولَ الله، كأنَّها مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ؛ فَأَوْصِنا. فقال: «**أُوصيكُمْ بتَقْوَى الله، والسَّمْعِ والطَّاعةِ، وإنْ كان عَبْدًا حَبَشِيًّا، فإنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ، فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكمْ بسُنَّتي، وسُنَّةِ الخُلفاءِ الرَّاشدينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ[2]، وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأُمُورِ؛ فإنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

قال **ابْنُ رَجَبٍ** رحمه الله: (قَوْلُهُ: «**أُوصيكُمْ بتَقْوَى الله، والسَّمْعِ والطَّاعةِ**» هاتانِ الكلمتانِ تَجْمعَانِ سعادةَ الدُّنْيا والآخِرةَ، أمَّا التَّقْوى فهي كافلةُ سعادةِ الدُّنيا والآخرةِ لِمَنْ تمسَّك بها، وهي وصيَّةُ الله للأوَّلينَ والآخِرينَ، وأمَّا السَّمْعُ والطَّاعةُ لوُلَاةِ أُمُورِ المُسْلمين ففيها سعادةُ الدُّنيا، وبها تُنَظَّمُ مصالحُ العِبَادِ في مَعَاشِهِمْ، وبها يستعينون على إظهارِ دِينِهِمْ، وطاعةِ ربِّهِمْ)[3].

---

(1) رواه أحمدُ (4/ 126، 127)، وأبو داوُدَ (4607)، والتِّرْمذِيُّ (2676)، وابْنُ ماجَهْ (34)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء» (2455)، و«صَحِيح الجامع» (2549).

(2) النَّواجذ: جَمْعُ ناجذٍ، وهُوَ أقصى الأضراسِ، والمعنى: تمسَّكوا بها كما يتمسَّكُ العاضُّ بجميعِ أَضْراسِهِ.

(3) «جامع العلوم والحكم» (ص247) باختصارٍ.

4- التَّقْوَى أَجْمَلُ لِبَاسٍ يَتَزَيَّنُ بِهِ العَبْدُ:

قَالَ ٱللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾ (الأعراف: 26).

قال **القُرْطُبيُّ** رحمه الله في قوله - تعالى - : ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ : «بيَّن أنَّ التَّقْوَى خيرُ لباسٍ، كما قِيلَ:

إذا الـمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيابًا مِنَ التُّقَى ... تـقلَّبَ عُـرْيـانًا، وإنْ كـان كاسِيا

وخَـيْـرُ لِبَاسِ الـمَرْءِ طـاعةُ رَبِّـهِ ... ولا خَيْرَ فِمَنْ كـان للهِ عاصِـيا»[1].

5- التَّقْوَى هي أَفْضَلُ زادٍ يَتَزَوَّدُ بِهِ العَبْدُ:

قَالَ ٱللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (البقرة: 197).

قال **ابْنُ كثيرٍ** رحمه الله: (وقولُهُ: ﴿ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾: كمَّا أَمَرَهُمْ بالزَّادِ للسَّفَرِ في الدُّنيا، أَرْشَدَهُمْ إلى زادِ الآخرةِ، وهُوَ استصحابُ التَّقْوَى إليها)[2].

6- أَهْلُ التَّقْوَى هُمْ أَوْلِياءُ الله:

قَالَ ٱللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ (يونس: 62، 63).

وقَالَ ٱللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩﴾ (الجاثية: 19).

---

(1) «تفسيرُ القُرْطبيِّ» (7/ 184).

(2) «تفسيرُ ابْنِ كثيرٍ» (1/ 239).

وقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ (الأنفال: 34).

7- التَّقْوَى هي المِيزانُ الحَقُّ الَّذي يُوزَنُ بِهِ النَّاسُ:

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات: 13).

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟». قال: «**أَتْقَاهُمْ للهِ**».

8- أَمَرَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ المُسلمين بالتَّعاوُنِ على البِرِّ والتَّقْوَى:

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (المائدة: 2).

قال **القُرْطُبيُّ** رحمه الله: «قال **الماوَرْديُّ**: نَدَبَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ إلى التَّعاوُنِ بالبرِّ، وقَرَنَهُ بالتَّقْوَى؛ لأنَّ في التَّقْوَى رِضَا الله ـ تعالى ـ، وفي البِرِّ رِضَا النَّاسِ، ومَنْ جَمَعَ بَيْنَ رِضَا الله ـ تعالى ـ وبَيْنَ رِضَا النَّاسِ، فَقَدْ تَمَّتْ سعادتُهُ، وعَمَّتْ نِعْمَتُهُ»[2].

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

---

(1) رواه البخاريُّ (3352)، ومسلم (2378).

(2) «تفسيرُ القُرْطُبيِّ» (6/ 47).

الخُطْبَةُ الثَّانيةُ ـ صِفَةُ المُتَّقين :

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ تقدَّم الحديثُ مَعَكُمْ عَنْ التَّقْوى، وفيما يَأْتي الحديثُ عَنْ بَعْضِ صِفَاتِ المُتَّقين:

1 – فَمِنْ صِفَاتِ المُتَّقينَ أنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بالغَيْبِ إيمانًا جازمًا:

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ ﴾ (البقرة: 1 – 4).

2 – وَمِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَعْفُونَ ويَصْفَحُونَ:

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (البقرة: 237).

قال **ابْنُ سَعْديٍّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رَغَبَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ في العَفْوِ، وأنَّ مَنْ عفا كان أَقْرَبَ لِتَقْواهُ؛ لكونِهِ إحسانًا مُوجبًا لشَرْحِ الصَّدْرِ»(1).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأَمَّا العَفْوُ عَنْ جِناياتِ المُسِيئينَ بأَقْوالِهِمْ وأفعالِهِمْ فلا يُتَوَهَّم مِنْهُ الذُّلُّ، بَلْ هُوَ عَيْنُ العِزِّ؛ فإنَّ العِزَّ هُوَ الرِّفْعةُ عِنْدَ الله، وَعِنْدَ خَلْقِهِ، مَعَ القُدْرَةِ على قَهْرِ الخُصُومِ والأَعْدَاءِ»(2).

---

(1) «تفسير ابْنِ سَعْدِيٍّ» (ص105).

(2) «بَهْجَةُ قلوبِ الأَبرارِ» (ص89).

وفي «صحيح مسلم»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مالٍ، وما زَادَ اللهُ عَبْدًا بعفْوٍ إلَّا عِزًّا، وما تواضع أَحَدٌ لله إلَّا رَفَعَهُ اللهُ»**.

3 - ومِنْ صفاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَتَحَرَّوْنَ الصِّدْقَ في أَقْوالِهِمْ وأَفْعالِهِمْ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (الزمر: 33).

فأخبر اللهُ - سُبْحَانَهُ - : أنَّ المُتَّقين إذا بَلَغَهُمُ الحقُّ والصِّدْقُ عَنِ الله وعَنْ رَسُولِهِ صَدَّقوا به، وسارعوا إلى العَمَلِ بِهِ قَوْلًا وعملًا واعتقادًا، فهمُ المُتَّقون حقًّا.

4 - وَمِنْ صفاتِهِمْ أَنَّهُمْ يُعَظِّمون شَعَائِرَ الله:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (الحج: 32).

والشَّعائِرُ - أيُّها النَّاسُ - : هي كُلُّ شيءٍ لله - سبحانه وتعالى - فيه أَمْرٌ أَشْعَرَ به وأَعْلَمَ، وقِيلَ: شعائرُ الإسلامِ: أَعْلَامُ دِينِهِ.

5 - وَمِنْ صفاتِهِمْ أَنَّهُمْ يتَّبعون سبيلَ الصَّادقين مِنَ الأَنْبياءِ والمُرْسلين:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (التوبة: 119).

أَيُّها النَّاسُ، في هذِهِ الآيةِ إشارةٌ لطيفةٌ إلى اختيار الصَّاحبِ الصَّالحِ، الَّذي أقوالُهُ وأفعالُهُ وأحوالُهُ لا تكونُ إلَّا صِدْقًا، فما أجْمَلَ أَنْ يكونَ لكُلٍّ منَّا صَدِيقٌ صالحٌ، يُذَكِّرُنا باللهِ، وبسبيلِ الصَّادقين مِنَ الأنبياءِ والمُرْسلين، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ!.

---

(1) رواه مسلم (2588).

كما عَلَيْنا أنْ نَفِرَّ مِنْ صديقِ السَّوْءِ فِرارَنا مِنَ الأَسَدِ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَ أَحَدُنا: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ (الفرقان: 28).

أَيُّها النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مقامي هذا أُذَكِّرُكُمْ بِقَوْل النَّبيِّ ﷺ (كما في «الصَّحيحَيْنِ»[1] منْ حديثِ عَمْرِو بْنِ العَاص رضي الله عنه): «**ألا إنَّ آلَ فُلانٍ لَيْسُوا لي بأَوْلياءَ، إنَّما وَلِيِّيَ اللهُ وصالحُ المُؤْمنينَ**».

اللّهُمَّ اجْعَلْنا مِنَ المُتَّقين لك، الَّذين يتَّقونك حَقَّ تُقَاتِكَ، اللّهُمَّ أعنَّا على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وَحُسْنِ عبادَتِكَ، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (البقرة: 201).



(1) رواه البخاريُّ (5990)، ومسلم (215).

14 صِفَاتُ المُؤْمِنِينَ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهّ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ - أَيُّها النَّاسُ - حديثي معكمُ اليَوْمَ عَنْ صِفَاتِ المُؤْمنينَ، كما وَصَفَهُمُ ٱللَّهُ - سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ -، وكما وصفهمْ به نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ.

فَمِنْ صِفَاتِهِمْ - أَيُّها النَّاسُ - ما ذَكَرَهُ الله - سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ - في صَدْرِ سُورةِ «المُؤْمنون».

قَالَ ٱللَّهُ - سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ -: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥

إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (المؤمنون: 1-11).

أيُّها النَّاسُ، لقد وصف اللهُ ـ تبارك وتعالى ـ عبادَهُ المُؤْمنين في هذِهِ الآياتِ بأوصافٍ: فَقَوْلُهُ: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ أَيْ: قَدْ فازوا وسَعِدُوا ونَجَحُوا، وبلغوا الغايةَ، وهُمْ المُؤْمنون المُتَّصفون بهذِهِ الأَوْصَافِ.

ووصفُهمْ بالخُشُوعِ في صلاتِهِمْ الَّذي هُوَ: حُضُورُ القَلْبِ بَيْنَ يَدَي اللهِ ـ تعالى ـ، مُستحضرين لقُرْبِهِ، فتسكنُ كذلك قلوبُهُمْ، وتَطْمَئِنُّ نفوسُهُمْ.

ووصفهم بأنَّهم عَنِ الكلامِ الَّذي لا خَيْرَ فيه مُعْرِضون رغبةً عَنْهُ، وتنزيهًا لأنفسِهِمْ، وكفًّا لألسنتِهِمْ عَنِ اللَّغْوِ والمُحرَّماتِ.

ووصفهم بأنَّهُمْ مُؤَدُّون لزكاةِ أموالِهِمْ على اختلافِ أَجْنَاسِ الأَمْوَالِ، مُزكِّين لأنفسِهِمْ مِنْ أَدْنَاسِ الأخلاقِ، ومساوِىءِ الأَعْمالِ.

حافظون لفروجِهِمْ مِنَ الزِّنا ومُقدِّماتِهِ: كالنَّظَرِ، واللَّمْسِ، ونَحْوِهِما، فحفِظُوا فُرُوجَهُمْ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ مِنَ الإماءِ المملوكاتِ ﴿ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴾ بقُرْبِهِما؛ لأنَّ اللهَ ـ تعالى ـ أحلَّهما.

﴿ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ﴾ غَيْرَ الزَّوْجةِ والسُّرِّيَّةِ[1] ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾ الَّذين تَعَدُّوا ما أحلَّ اللهُ إلى ما حرَّمه، وعُمُومُ هذِهِ الآيةِ يَدُلُّ على تحريمِ نِكاحِ المُتْعَةِ، والعادةِ السِّرِّيَّةِ «نِكاحِ اليَدِ»، أو تَفْرِيغِ الشَّهْوةِ بأيِّ وسيلةٍ غيرِ شَرْعيَّةٍ.

(1) السُّرِّيَّة ـ بالضَّمِّ وتشديدِ الرَّاءِ والياءِ ـ: الجارية المُتَّخذة للمِلْكِ والجِماعِ، والجَمْعُ السَّراريُّ.

ووصفهم بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ أَيْ: مُراعون لها، ضابطون، حافظون، حريصون على القيامِ بها وتنفيذِها، وهذا عامٌ في جميعِ الأماناتِ الَّتي هي حقُّ الله، وحقُّ العِبادِ.

ووصفهم بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ أَيْ: يُداومون عليها في أوقاتِها، وحُدُودِها، وأَشْرَاطِها، وأَرْكَانِها، فَمَدَحَهُمْ بالخُشُوعِ بالصَّلاةِ، وبالمحافظةِ عليها.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ المَوْصُوفُونَ بتِلْكَ الصِّفاتِ ﴿ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ ﴾ الَّذي هُوَ أعلى الجنَّة ووسطُها وأَفْضَلُها؛ لأنَّهم حلَّوا مِنْ صفاتِ الخيرِ أعلاها وذِرْوَتَها، ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ لا يَظْعَنُونَ عنها، ولا يَبْغُون عنها حِوَلًا؛ لاشتمالِها على أكملِ النَّعيمِ وأَفْضَلِهِ وأَتـمِّهِ، مِنْ غَيْرِ مُكَدِّرٍ ولا مُنَغِّصٍ[1].

وَمِنْ صفاتِهِمْ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ ما وَصَفَهُمُ اللهُ ـ سُبْحانَهُ وتعالى ـ بقَوْلِهِ:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾ (الأنفال: 2-4).

قال الإمام **القُرْطُبيُّ** رحمه الله: «وصف اللهُ ـ تعالى ـ المُؤْمنين في هذِهِ الآيةِ بالخَوْفِ والوَجَلِ عِنْدَ ذِكْرِهِ؛ وذلك لقُوَّةِ إيمانِهِمْ، ومراعاتِهِمْ لربِّهِمْ، وكأنَّهم بَيْنَ يَدَيْهِ»[2].

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ أَيْ: حُجَجُهُ، وهي القُرْآنُ ﴿ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ أَيْ: يَقينًا وطُمَأْنِينة نفسٍ إلى ما عِنْدَهُمْ.

(1) انظر «تفسير ابْنِ سَعْديٍّ» (ص547 ـ 548).

(2) «الجامع لأحكام القرآن» (4/ 282).

وقَدْ استدلَّ البُخاريُّ ﷺ وغَيْرُهُ مِنَ الأئمَّةِ بهذِهِ الآيةِ وأَشْبَاهِهَا على زِيَادةِ الإيمانِ، وتَفَاضُلِهِ في القُلُوبِ، كما هو مَذْهَبُ جُمْهُورِ الأئمَّةِ، بَلْ حَكَى الإجماعَ عليه غَيْرُ واحدٍ: كالشافعيِّ، وأحمدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وأبي عُبَيْدٍ.

﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أَيْ: لا يَرْجُونَ سِوَاهُ، ولا يَخْشَونَ غَيْرَهُ، ولا يُفَوِّضون أُمُورَهُمْ إلى غَيْرِهِ.

ولَمَّا ذكر ـ تعالى ـ أعمالَهُمُ الحسنةَ أعمالَ القُلُوب: مِنَ الخَشْيةِ، والإخلاصِ، والتَّوكُّلِ ـ أعْقَبَهُ بأعمالِ الجَوَارحِ: مِنَ الصَّلاةِ، والصَّدقةِ بقَوْلِهِ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1]. أَيْ: يُقيمون الصَّلاةَ فرائضَ ونوافلَ بأعمالها الظَّاهرةِ والباطنةِ: كحُضُورِ القَلْبِ فيها، الَّذي هُوَ رُوْحُ الصَّلاةِ ولُبُّها.

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ النَّفَقاتِ الواجبةَ: كالزَّكَواتِ، والكَفَّاراتِ، والنَّفَقَةِ على الزَّوْجَاتِ والأَقَارِبِ، والمُسْتحبَّاتِ: كالصَّدقةِ في جميعِ طُرُقِ الخَيْرِ.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الَّذين اتَّصفوا بتِلْكَ الصِّفات ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾؛ لأنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الإسلامِ والإيمانِ، بَيْنَ الأعمالِ الظَّاهرةِ والباطنةِ، بَيْنَ العِلْمِ والعَمَلِ، بَيْنَ أداءِ حُقُوقِ اللهِ وحُقُوقِ عبادهِ، ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أَيْ: عاليةٌ بحَسَبِ عُلُوِّ أعمالِهِمْ، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لذُنُوبِهِمْ ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ هُوَ ما أَعَدَّ اللهُ لهم في دارِ كرامتِهِ ممَّا لا عَيْنَ رَأَتْ، ولا أُذُنَ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ[2].

وَمِنْ صفاتِهِمْ ـ أيُّها النَّاسُ ـ ما وَصَفَهُمُ ٱللَّهُ ـ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ بقَوْلِهِ:

(1) «محاسن التَّأويل» (8/ 9 ـ 10).

(2) انظر «تفسير ابْن سَعْديٍّ» (ص315).

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ (الحجرات: 15).

فقولُهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أَيْ: على الحقيقةِ.

وقولُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: مَنْ جَمَعُوا بَيْنَ الإيمانِ والجهادِ في سبيلِهِ، فإنَّ مَنْ جاهد الكُفَّارَ، دَلَّ ذلك على الإيمانِ التَّامِّ في القَلْبِ.

وقولُهُ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ أَيْ: الَّذين صَدَّقُوا إيمانَهُمْ بأعمالِهِمُ الجميلةِ[1].

وَمِنْ صفاتِهِمْ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ مُوَالاةُ المُؤْمنينَ، وقيامُهُمْ بواجبِ الأَمْرِ بالمَعروفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وإقامةُ الصَّلاةِ، وإيتاءُ الزَّكاةِ، وطاعةُ اللهِ ورسولِهِ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ (التوبة: 71).

وَمِنْ صفاتِهِمْ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ لإخوانِهِمْ ما يُحِبُّون لأَنْفُسِهِمْ مِنَ الخَيْرِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[2] منْ حديثِ أَنَسِ بْنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : **«لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنَفْسِهِ»**.

قال **الحافظُ ابْنُ حَجَرٍ** رحمه الله: «قال **الكِرْمَانِيُّ**: وَمِنَ الإيمانِ ـ أيضًا ـ أَنْ يُبْغِضَ لأخيهِ ما يُبْغِضُ لنَفْسِهِ مِنَ الشَّرِّ، ولم يَذْكُرْهُ؛ لأَنَّ حُبَّ الشَّيْءِ مُسْتَلْزِمٌ لبُغْضِ نَقِيضِهِ، فَتَرَكَ التَّنْصِيصَ عليه اكتفاءً»[3].

---

(1) انظر المرجع السابق (ص802).

(2) رواه البخاريُّ (13)، ومسلم (45).

(3) «فتح الباري» (1/ 74).

وَمِنْ صفاتِهِمْ ـ أيُّها النَّاسُ ـ محَبَّةُ النَّبيِّ ﷺ حتى يكونَ أحبَّ إلى أَحَدِهِمْ مِنْ والدِهِ، ووَلَدِهِ، والنَّاسِ أَجْمعينَ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ أَنَسِ بْنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أكونَ أَحَبَّ إليه مِنْ والدِهِ، ووَلَدِهِ، والنَّاسِ أَجْمَعِينَ**».

قال **الحافظُ** رحمه الله: «فإذا تأَمَّلَ النَّفْعَ الحاصلَ لَهُ مِنْ جِهَةِ الرَّسُولِ ﷺ الَّذي أَخْرَجَهُ مِنْ ظُلُماتِ الكُفْرِ إلى نُورِ الإيمانِ، إمَّا بالْمُباشرةِ وإمَّا بالسَّبَبِ ـ عَلِمَ أَنَّهُ سَبَبُ بَقاءِ نَفْسِهِ البَقَاءَ الأَبَديَّ في النَّعِيمِ السَّرْمديِّ، وعَلِمَ أَنَّ نَفْعَهُ بذلك أعظمُ مِنْ جميعِ وُجُوهِ الانتفاعاتِ؛ فاستحقَّ لذلك أَنْ يَكُونَ حَظُّهُ مِنْ محبَّتِهِ أَوْفَرَ مِنْ غَيْرِهِ»[2].

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

الخُطْبَةُ الثَّانيةُ ـ ثَمرَاتُ الإيمان:

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ تقدَّم الحديثُ مَعَكُمْ عَنْ شيءٍ مِنْ صِفَاتِ المُؤْمنين، والآنَ حَديثي معكمْ عَنْ شيءٍ مِنْ ثمراتِ الإيمانِ.

فَمِنْ ثمراتِ الإيمانِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ الحياةُ الطَّيِّبةُ، كما قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ: **﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾** (النحل: 97).

(1) رواه البخاريُّ (15)، ومسلم (69).

(2) «فتح الباري» (1/ 76).

والحياةُ الطَّيِّبَةُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ هيَ: طُمَأْنِينةُ القَلْبِ، وسُكُونُ النَّفْسِ، والرِّزْقُ الحَلالُ الطَّيِّبُ المُبارَكُ، ثُمَّ ماذا بَعْدُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ أَيْ: في الآخرةِ ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مِنْ أصنافِ اللَّذَّاتِ، فيؤتيهِمُ اللهُ في الدُّنْيا حسنةً، وفي الآخرةِ حسنةً، فحسنةُ الدُّنْيا: العِلْمُ والإيمانُ، وحسنةُ الآخرةِ: الفَوْزُ بالجنَّةِ، والنَّجاةُ مِنَ النَّارِ.

وَمِنْ ثَمَراتِ الإيمانِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ محبَّةُ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ، ومحبَّةُ المُؤمنين، كما قال ربُّنا ـ جَلَّ في عُلَاهُ ـ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم: 96).

قال **الـحافظُ ابْنُ كثيرٍ** رحمه الله: «يُخْبِرُ اللهُ ـ تعالى ـ : أَنَّهُ يَغْرِسُ لعبادِهِ المُؤْمنين الَّذين يعملون الصَّالحاتِ (وهي الأعمالُ الَّتي تُرْضي اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ لمتابَعَتِها الشَّريعةَ المُحمَّديَّةَ) يَغْرِسُ لهم في قُلُوبِ عِبَادِهِ محبَّةً ومَوَدَّةً، وهذا أَمْرٌ لابُدَّ مِنْهُ، ولا مَحِيدَ عَنْهُ»[1].

وَمِنْ ثمراتِ الإيمانِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ البُشْرَى في الدُّنْيا والآخرةِ، كما قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (يونس: 62-64).

أَيُّها النَّاسُ، أمَّا البِشَارَةُ في الدُّنيا فهي: الثَّناءُ الحَسَنُ، والمَوَدَّةُ في قُلُوبِ المُؤْمنين، والرُّؤْيا الصَّالحةُ، وما يراهُ العَبْدُ مِنْ لُطْفِ الله بِهِ، وتَيْسِيرِهِ لأَحْسَنِ الأعمالِ والأخلاقِ، وصَرْفِهِ عَنْ مَسَاوِىءِ الأَخْلَاقِ.

(1) «تفسير ابن كثير» (3/ 193).

وأمَّا في الآخرةِ: فأَوَّلُها البِشَارَةُ عِنْدَ قَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، كما قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (فصلت: 30).

وفي القَبْرِ ما يُبَشَّرُ به مِنْ رِضَا اللهِ ـ تعالى ـ، والنَّعيمِ الْمُقيمِ.

وفي الآخرةِ تمامُ البُشْرَى بدُخُولِ جنَّاتِ النَّعيمِ، والنَّجاةِ مِنَ العذابِ الأليمِ[1].

وَمِنْ ثمراتِ الإيمانِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ دِفَاعُ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ عَنِ الْمُؤْمنين، كما قَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ (الحج: ٣٨).

أَيُّها النَّاسُ، هذا إخبارٌ وَوَعْدٌ وبِشارةٌ مِنَ اللهِ للَّذين آمنوا أنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنْهُم كُلَّ مكروهٍ، ويَدْفَعُ عَنْهُمْ كُلَّ شَرٍّ ـ بسببِ إيمانِهِمْ ـ: مِنْ شَرِّ الكُفَّارِ، وشَرِّ وَسْوَسَةِ الشَّيْطانِ، وشَرِّ أَنْفُسِهِمْ، وسَيِّئاتِ أعمالِهِمْ، ويَحْمِلُ عَنْهُمْ عِنْدَ نُزُولِ المكارِهِ ما لا يتحمَّلون، فيخَفِّفُ عنهم غايةَ التَّخفيفِ، كُلُّ مُؤْمنٍ لَهُ مِنْ هذِهِ الْمُدافعةِ والفَضِيلةِ بحَسَبِ إيمانِهِ، فمستقلٌّ ومُسْتكْثِرٌ[2].

وَمِنْ ثمراتِ الإيمانِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ ما وَعَدَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتعالى ـ بِهِ الْمُؤْمنين: مِنَ الجنَّاتِ، والمساكنِ الطَّيِّبةِ، والرِّضْوانِ، كما قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ (التوبة: 72).

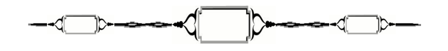
---

(1) انظر «ابن سَعْديٍّ» (ص368).

(2) المرجع السَّابق (ص539).

فقوله: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ جامعةً لكُلِّ نعيمٍ وفَرَحٍ، خاليةً مِنْ كُلِّ أَذىً وتَرَحٍ، تَجْري مِنْ تَحْتِ قُصُورِها ودُورِها وأَشْجارِها الأَنْهارُ الغَزِيرةُ، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يَبْغُون عنْها حِوَلًا، ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ قَدْ زُخْرِفَتْ وحُسِّنَتْ وأُعِدَّتْ لعبادِ الله المُتَّقين، ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يحله لأَهْلِ الجنَّةِ ﴿أَكْبَرُ﴾ ممَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعيمِ؛ فإنَّ نعيمَهُمْ لم يَطِبْ إلَّا برُؤْيةِ ربِّهم ورِضْوانِهِ عليهم، فرِضا اللهُ أكبرُ مِنْ نعيمِ الجنَّاتِ.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ حيثُ حَصَلُوا على كُلِّ مَطْلُوبٍ، وانتفى عنهم كُلُّ محذورٍ، وحَسُنتْ وطابتْ منهمْ جميعُ الأُمُورِ، فنسأَلُ اللهَ أَنْ يجعَلَنا مَعَهُمْ بجُودِهِ[1] وكَرَمِهِ، فَهُوَ جَوَادٌ كريمٌ، مُجيبٌ مَنْ دعاهُ، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: 201).



(1) انظر المرجع السَّابق (ص344).

15 مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الجَنَّةِ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أَنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أَمَّا بَعْدُ، فإِنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ حديثي معكمُ اليَوْمَ عَنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الجَنَّةِ.

أَيُّها النَّاسُ، قَدْ جَعَلَ ربُّنا ـ تبارك وتعالى ـ لدُخُولِ الجَنَّةِ أَسْبابًا وأعمالًا، مَنْ أَتَى بها دَخَلَ الجَنَّةَ بإِذْنِ الله ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ ، ومَنْ أَعْرَضَ عنها فأَنَّى لَهُ دُخُولُ الجَنَّةِ؟!، إِلَّا أَنْ تُدْركَهُ رحمةُ اللهِ، واللهُ ذُو الفَضْلِ العظيمِ، فمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجَنَّةِ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ : ﴿مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ (المائدة: 72).

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[1] منْ حديثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامتِ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ،**

(1) رواه البخاريُّ (3435)، ومسلم (28).

وأَنَّ عيسى عَبْدُ اللهِ ورسولُهُ، وكَلِمَتُهُ أَلْقاها إلى مَرْيَمَ، ورُوحٌ مِنْهُ، والجَنَّةُ حَقٌّ، والنَّارُ حَقٌّ ـ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ على ما كانَ مِنَ العَمَلِ».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ طاعةُ اللهِ، وطاعةُ رسولِهِ ﷺ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣)** ﴾ (النساء: 13).

وفي «صحيح البخاريِّ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**كُلُّ أُمَّتي يَدْخُلون الجنَّةَ إلَّا مَنْ أَبَى**». قالوا: يا رسولَ الله، ومَنْ يَأْبى؟!. قال: «**مَنْ أَطَاعني دَخَلَ الجنَّةَ، ومَنْ عَصَاني فقَدْ أَبَى**».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ الإيمانُ باللهِ والعَمَلُ الصَّالحُ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥)** ﴾ (البقرة: 25).

وفي «صحيح البخاريِّ»[2] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ آمَنَ باللهِ وبرسولِهِ، وأَقَامَ الصَّلاةَ، وصامَ رَمَضَانَ ـ كان حَقًّا على اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجنَّةَ**».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ تَقْوَى اللهِ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ.

---

(1) رواه البخاريُّ (7280).

(2) رواه البخاريُّ (2790).

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ (آل عمران: 133).

وفي «مسندِ أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عَنْ أكثرِ ما يُدْخِلُ النَّاسَ الجنَّةَ. قال: «**تَقْوَى الله، وحُسْنُ الخُلُقِ**».

وسُئِلَ عَنْ أكثرِ ما يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ. فقال: «**الفَمُ وَالفَرْجُ**».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ الإخلاصُ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾﴾ (الصافات: 40-43).

وفي «الصَّحيحين»[2] منْ حديثِ عِتْبَانَ بْنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ اللهَ حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قال لا إلهَ إلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بذلك وَجْهَ الله**».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ المَشْيُ في طَلَبِ العِلْمِ الشَّرْعيِّ.

ففي «صحيح مسلم»[3] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ**».

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (2/ 291)، والتِّرْمذِيُّ (2004)، وابْنُ ماجَهْ (4246)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (977).

(2) رواه البخاريُّ (425)، ومسلم (33).

(3) رواه مسلم (2699).

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجَنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ الصَّبْرُ والاحْتِسَابُ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ في صفاتِ عبادِ الرَّحْمَنِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ٧٦﴾ (الفرقان: 75-76).

وفي «الصَّحيحين»[1] منْ حديثِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّهُ قال لعَطَاءِ ابْنِ أبي رَبَاحٍ: أَلَا أُرِيكَ امرأةً مِنْ أَهْلِ الجنَّةِ؟. قُلْتُ: بَلَى. قال: هذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبيَّ ﷺ، فقالتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وإِنِّي أتكشَّفُ، فادْعُ اللهَ لي. قال رسولُ الله ﷺ: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجنَّةُ، وإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعافِيَكِ**». فقالتْ: أَصْبِرُ. فقالتْ: إِنِّي أتكشَّفُ، فادْعُ اللهَ لي أَلَّا أتكشَّفَ. فَدَعا لها.

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجَنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ الصِّدْقُ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١١٩﴾ (المائدة: 119).

وفي «الصَّحيحين»[2] مِنْ حديثِ عَبْدُ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدي إلى البِرِّ، وإِنَّ البِرَّ يَهْدي إلى الجنَّةِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتَّى يكونَ صِدِّيقًا، وإِنَّ الكَذِبَ يَهْدي إلى الفُجُورِ، وإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا**».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجَنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ الصَّلاةُ في المَسْجِدِ مَعَ الجماعة.

---

(1) رواه البخاريُّ (5652)، ومسلم (2576).

(2) رواه البخاريُّ (6094) ـ والَّلفْظُ لَهُ ـ، ومسلمٌ (2607).

ففي «الصَّحيحين»[1] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ غَدَا إلى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ في الجَنَّةِ نُزُلًا**[2]**، كُلَّما غَدَا أَوْ رَاحَ**».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ الخَوْفَ مِنَ الله.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ : ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ (الرحمن: 46).

وقَالَ ٱللَّهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ : ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٤١﴾ (النازعات: 40-41).

وفي «سُنَنِ أبي داوُدَ» و«النَّسائيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح الجامع»[3] منْ حديثِ عُقْبَةَ بْنِ عامرٍ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**يَعْجَبُ رَبُّكَ ـ عزَّ وجلَّ ـ مِنْ راعي غَنَمٍ في رَأْسِ شَظِيَّةٍ**[4] **بجَبَلٍ، يُؤَذِّنُ للصَّلاةِ ويُصَلِّي، فيقولُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ : انْظُروا إلى عَبْدي هذا، يُؤَذِّنُ ويُقِيمُ للصَّلاةِ؛ يَخَافُ منِّي، قَدْ غَفَرْتُ لعَبْدِي، وأَدْخَلْتُهُ الجَنَّةَ**».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ إماطةُ الأَذَى عَنْ طَرِيقِ المُسلمينَ.

ففي «الصَّحيحين»[5] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**مَرَ رَجُلٌ بغُصْنِ شَجَرةٍ على ظَهْرِ طريقٍ، فقال: واللهِ، لأُنَحِّيَنَّ هذا عَنِ المُسلمين؛ لا يُؤْذِيهِمْ؛ فأُدخِلَ الجَنَّةَ**».

---

(1) رواه البخاريُّ (662)، ومسلم (669).

(2) النُّزُل ـ بضمَّتين ـ : ما يُهَيَّأُ للضَّيْفِ عِنْدَ قُدُومِهِ.

(3) «صَحِيحٌ»: أخرجه أبو داوُدَ (1203)، والنَّسائيُّ (667)، وصحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (8102).

(4) الشَّظيَّة ـ بزِنَةِ السَّحيَّة ـ : القطْعة تَنْقَطِعُ منَ الجبل، ولا تَنْفصِلُ عنه، والجَمْعُ الشَّظايا.

(5) رواه البخاريُّ (652)، ومسلم (1914)، واللَّفظُ لَهُ.

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ صِلَةُ الأَرْحَامِ.

ففي «الصَّحيحين»[1] مِنْ حديثِ أبي أَيُّوبَ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قال: يا رسولَ الله، أخبِرْني بعَمَلٍ يُدْخِلُني الجنَّةَ؟. فقال القَوْمُ: مالَهُ؟، مالَهُ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**أَرَبٌ مَالَهُ**»[2]. فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**تَعْبُدُ اللهَ لا تُشْرِكُ به شيئًا، وتُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُؤْتِي الزَّكاةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ**».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ إفشاءُ السَّلامِ، وإطعامُ الطَّعامِ، وقيامُ اللَّيلِ.

ففي «سُنَنِ التِّرْمذيِّ» و«ابْنِ ماجَهْ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[3] منْ حديثِ عَبْدِ الله بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه قال: قال رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم: «**أَيُّها النَّاسُ، أفشُوا السَّلامَ، وأَطْعِمُوا الطَّعامَ، وصَلُّوا باللَّيلِ والنَّاسُ نِيامٌ ـ تَدْخُلُوا الجنَّةَ بسلامٍ**».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ تَرْبيةُ البَنَاتِ، والإحسانُ إليهِنَّ.

ففي «مسندِ أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[4] منْ حديثِ أَنَسٍ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ كان لَهُ ثلاثُ بناتٍ ـ أو ثلاثُ أَخَواتٍ ـ فاتَّقى اللهَ، وأقام عليهِنّ ـ كان مَعِي في الجنَّةِ هكذا ـ وأَوْمَأَ بالسَّبَّاحةِ[5] والوُسْطَى**».

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

---

(1) رواه البخاريُّ (5983) ـ واللَّفْظُ لَهُ ـ، ومسلم (13).

(2) الأَرَب ـ بفتحتين ـ: الحَاجَةُ، و(ما) زائدةً، كأنَّهُ قال: لَهُ حاجةٌ ما.

(3) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه التِّرْمِذِيُّ (2485)، وابْنُ ماجَهْ (3251)، وهو في «الصَّحِيحة» (569).

(4) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (3/ 156)، وهو في «الصَّحِيحة» (295).

(5) السَّبَّاحة: الإِصْبَعُ الَّتي تَلِي الإِبْهامَ؛ لأَنَّها يُشَار بها عند التَّسبيح.

الخُطْبةُ الثَّانيةُ ـ مِنْ أسْبَابِ دُخُول الجنَّة :

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ أَسْبَابُ دُخُولِ الجَنَّةِ الحديثُ عَنْها ذُو شُجُونٍ، فلا يَزَالُ الشَّريطُ طويلًا، والسِّجِلُّ حافلًا، وقَدْ تقدَّم ذِكْرُ بَعْضِ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ، وهأنا أتواصلُ معكمْ بذِكْرِ زيادةٍ على ما تقدَّم ذِكْرُهُ.

أَيُّها النَّاسُ، مِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ لِيْنُ الكَلَامِ مَعَ النَّاسِ كافَّةً، وهو عُنوانُ الأخلاقِ الطَّيِّبةِ.

ففي «مسندِ أحمدَ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألْبانيُّ في «صحيح الجامع»[1] منْ حديثِ أبي مالكٍ الأَشْعريِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ في الجنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظاهِرُها مِنْ باطِنِها، وباطِنُها مِنْ ظاهِرِها، أَعَدَّها اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعامَ، وأَلَانَ الكلامَ، وتابع الصِّيامَ، وصلَّى باللَّيْلِ والنَّاسُ نِيامٌ**».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ حِفْظُ اللِّسانِ والفَرْجِ.

ففي «صحيح البخاريِّ»[2] مِنْ حديثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ يَضْمَنْ لي ما بَيْنَ لَحْيَيْهِ**[3] **وما بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الجنَّةَ**».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ طاعةُ وليِّ الأَمْرِ في طاعةِ اللهِ.

(1) «حَسَنٌ»: أخرجه أحمدُ (5/ 343)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (2123).

(2) رواه البخاريُّ (6474).

(3) اللَّحْيان ـ بالفتح ـ : العظمان في جانبي الفَمِ، وجَمْعُ اللَّحْي أَلْحٍ ولُحِيٌّ.

ففي «مسندِ أحمدَ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الأَلْبانيُّ في «ظلال الجنَّة»[1] منْ حديثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامتِ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**مَنْ عَبَدَ اللهَ لا يُشْرِكُ به شيئًا، وأقام الصَّلاةَ، وآتَى الزَّكاةَ، وسَمِعَ وأَطَاعَ ـ دَخَلَ الجنَّةَ مِنْ أيِّ الأبوابِ الثَّمانيةِ شَاءَ**».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ حُسْنُ الخُلُقِ.

ففي «مسندِ أحمدَ» و«سُنَنِ التِّرْمذيِّ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[2] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ أكثرِ ما يُدْخِلُ النَّاسَ الجنَّةَ قال: «**تَقْوَى الله، وحُسْنُ الخُلُقِ**». وسُئِلَ عَنْ أكثرِ ما يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ. فقال: «**الفَمُ والفَرْجُ**».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ عَدَمُ سُؤَالِ النَّاسِ.

ففي «سُنَنِ أبي داوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح الجامع»[3] منْ حديثِ ثَوْبانَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ تكفَّلَ لي ألَّا يَسْأَلَ النَّاسَ شيئًا، فأَتَكَفَّلَ لَهُ بالجنَّةِ؟**».

وفي «صحيح مسلمٍ»[4] منْ حديثِ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**أَهْلُ الجنَّةِ ثلاثةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، ورَجُلٌ رحيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ بكُلِّ ذي قُرْبَى ومُسْلِمٍ، وعَفيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**».

---

(1) «حَسَنٌ»: أخرجه أحمدُ (5/ 325)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة» (1027).

(2) «حَسَنٌ»: أخرجه أحمدُ (2/ 291)، والتِّرْمِذِيُّ (2004)، وابْنُ ماجَهْ (4246)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (977).

(3) «صَحِيحٌ»: أخرجه أبو داوُدَ (1643)، وصحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (6604).

(4) رواه مسلم (2865).

فقولُهُ: «**عَفيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**» أَيْ: فقيرٌ، ولكنَّهُ مُتَعَفِّفٌ لا يَسْأَلُ النَّاسَ شيئًا؛ يَحْسَبُهُ الجاهلُ غَنِيًّا مِنَ التَّعَفُّفِ.

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ إنظارُ المُعْسِرِ، والتَّجاوُزُ عَنِ المُوْسِرِ.

ففي «الصَّحيحين»[1] منْ حديثِ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: «**إنَّ رَجُلًا كان فِيمَنْ قَبْلَكُمْ، أَتَاهُ المَلَكُ ليقبضَ رُوحَهُ، فقِيلَ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ؟، قال: ما أَعْلَمُ، قِيلَ لَهُ: انْظُرْ، قال: ما أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كنتُ أُبايعُ النَّاسَ في الدُّنْيا وأُجازِيهِمْ، فأُنْظِرُ المُوسِرَ، وأَتَجاوَزُ عَنِ المُعْسِرِ، فَأَدْخَلَهُ اللهُ الجنَّةَ**».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ كفَالَةُ اليَتيمِ.

ففي «الصَّحيحَيْن»[2] منْ حديثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**أنا وكافلُ اليَتِيمِ في الجنَّةِ هكذا ـ وأَشار بالسَّبابةِ والوُسْطَى، وفَرَّجَ بَيْنَهما شيئًا ـ**».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ عِيَادةُ المَريضِ.

ففي «صحيح مسلمٍ»[3] منْ حديثِ ثَوْبانَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ عاد مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ في خُرْفَةِ الجنَّةِ**». قِيلَ: يا رسولَ الله، وما خُرْفَةُ الجنَّةِ؟. قال: «**جَنَاها**».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ بِرُّ الوالِدَيْنِ.

---

(1) رواه البخاريُّ (3451) ـ واللَّفْظُ لَهُ ـ، ومسلم (1560).

(2) رواه البخاريُّ (5304) ـ واللَّفْظُ لَهُ ـ، ومسلم (2983).

(3) رواه مسلم (2568).

ففي «مسندِ أحمدَ»[1] بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح الجامع»، والوادعيُّ في «الصحيح المسند» مِنْ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**نِمْتُ فَرَأيتُني في الجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قارئٍ يَقْرَأُ، فَقُلْتُ: مَنْ هذا؟، قالوا: هذا حارثةُ بْنُ النُّعْمانِ**». فقال رسولُ الله ﷺ: «**كذاك البِرُّ، كذاك البِرُّ ـ وكان أَبَرَّ النَّاسِ بأُمِّهِ ـ**».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ السَّماحةُ في البَيْعِ.

ففي «سُنَنِ ابْنِ ماجَهْ» بسندٍ حَسَنٍ، حسَّنه الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[2] منْ حديثِ عُثْمانَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**أَدْخَلَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ رَجُلًا كان سَهْلًا مُشْتَرِيًا، وبائعًا، وقاضِيًا، ومُقْتَضِيًا ـ الجنَّةَ**».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ التَّواضعُ وَخَفْضُ الجَنَاحِ.

ففي «الصَّحيحين»[3] منْ حديثِ حارثةَ بْنِ وَهْبٍ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بأَهْلِ الجنَّةِ؟، كُلُّ ضَعيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ على الله لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بأَهْلِ النَّارِ؟، كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**».

قال **ابْنُ حَجَرٍ** رحمه الله: «والمُرادُ بالضَّعيفِ: مَنْ نَفْسُهُ ضَعِيفةٌ لتواضُعِهِ وضَعْفِ حالِهِ في الدُّنْيا، والمُسْتَضْعَفُ: المُحْتَقَرُ لخُمُولِهِ في الدُّنْيا»[4].

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (6/ 166)، والحاكم (3/ 208)، وصحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (3371)، والوادعيُّ في «الصَحِيح المسند» (1536).

(2) «**حَسَنٌ**»: أخرجه ابْنُ ماجَهْ (2202)، والنَّسائيُّ في «الصُّغْرَى» (4700)، واللَّفْظُ لَهُ وحَسَّنه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة » (1181).

(3) رواه البخاريُّ (4918)، ومسلم (2853).

(4) «الفتح » عند شرح حديث رقم (4918).

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجَنَّةِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ عَدَمُ أَذِيَّةِ الجارِ.

ففي «مسندِ أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال رَجُلٌ: يا رَسُولَ الله، إنَّ فُلَانةَ يذكرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِها، وصِيَامِها، وصَدَقَتِها، غَيْرَ أنَّها تُؤْذِي جِيرانَها بلِسَانِها. قال: «**هي في النَّارِ**». قال: يا رَسُولَ الله، فإنَّ فُلانةَ يذكرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِها، وصَدَقَتِها، وصَلَاتِها، وإنَّها تَصَدَّقُ بالأَثْوادِ (أَيِ: الجُبْنِ المُجَفَّفِ)، ولا تُؤْذي جِيرانَها بلسانِها. قال: «**هي في الجنَّةِ**».

وَمِنْ أسبابِ دُخُولِ الجَنَّةِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ عَدَمُ الغَضَبِ.

فقدْ أخْرَجَ الطَّبرانيُّ في «الأوسطِ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح الجامع»[2] منْ حديثِ أبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قال: قُلْتُ يا رَسُولَ الله، دُلَّني على عَمَلٍ يُدْخِلُني الجنَّةَ. قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تَغْضَبْ وَلَكَ الجنَّةُ**».

والمُرادُ مِنَ الحديثِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ: لا تَعْمَلْ بمُقْتَضَى الغَضَبِ إذا حَصَلَ لك، بَلْ جاهِدْ نَفْسَكَ في تَرْكِ تَنْفِيذِهِ، والعَمَلِ بما يَأْمُرُكَ به غَضَبُكَ.

وقَبْلَ أنْ أُوَدِّعَ مَقَامي هذا ـ أَيُّها النَّاسُ ـ أُذَكِّرُكُمْ بسببٍ عظيمٍ لدُخُولِ الجنَّةِ، إنَّهُ الدُّعَاءُ.

ففي «مسندِ أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح الجامع»، والوَادعيُّ في «الصحيح المسند»[3] منْ حديثِ أَنسِ بْنِ مَالكٍ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (2/ 440)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (190).

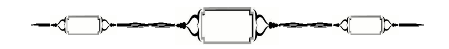
(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه الطَّبرانيُّ في «الأوسط» (2353)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (7374).

(3) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (3/ 117)، والتِّرْمذيُّ (2572)، والنَّسائيُّ (8/ 279)، وابْنُ ماجَهْ (7340)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (6275)، والوادعيُّ في «الصَّحِيح المسند» (123).

الله ﷺ : «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الجنَّةَ ثَلَاثَ مرَّاتٍ، قالتِ الجنَّةُ: اللّهُمَّ أَدْخِلْهُ الجنَّةَ، ومَنِ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قالتِ النَّارُ: اللّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ**».

وفي «صحيح البخاريِّ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ : «...... **فإذا سَأَلْتُمُ اللهَ فاسْأَلُوه الفِرْدَوْسَ؛ فإنَّهُ أَوْسَطُ الجنَّةِ، وأَعْلَى الجنَّةِ ـ أُرَاهُ قال: وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ـ وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أنهارُ الجِنَّةِ**».

اللهُمَّ إنَّا نَسأَلُكَ الجنَّةَ، وما يُقرِّبُنا إليها مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، ونَعُوذُ بك مِنَ النَّارِ، وما يُقَرِّبُنا إليها مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، اللّهُمَّ أَدْخِلْنا الجنَّةَ، وأَجِرْنا مِنَ النَّارِ برَحْمَتِكَ، يا أرحمَ الرَّاحمينَ.



(1) رواه البخاريُّ (2790).

16 وَصْفُ الحُورِ العِينِ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أَنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حديثي معكم ـ أَيُّها النَّاسُ ـ عَنْ وَصْفِ الحُورِ العِينِ.

أَيُّها النَّاسُ، لا شَكَّ أَنَّ أَجْمَلَ المُشْتَهياتِ عِنْدَ بني آدَمَ هي لَذَّةُ الزَّواجِ، وإذا كانتِ النَّفْسُ قَدْ تعلَّقتْ بها في الدُّنْيا مَعَ ما فيها مِنْ هُمُومٍ وأَحْزانٍ ـ فهي في الآخرةِ تَجْمَعُ بَيْنَ نعيمِ النَّفْسِ ونعيمِ القَلْبِ، فأهلُ الجنَّةِ على قَلْبِ رَجُلٍ واحدٍ، وحياتُهُمْ خاليةٌ مِنَ الهُمُومِ، وقُلُوبُهُمْ صافيةٌ مِنَ الدَّغَلِ.

فهم كما وصفهم اللهُ ـ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الحجر: 47).

أَيُّها النَّاسُ، إنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ بشَّرَ المُؤمنين الَّذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ ببِشَارةٍ على أَسْهَلِ شيءٍ عليهم.

فقال ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (البقرة: 25).

والمُطَهَّرَة ـ أيُّها النَّاسُ ـ كما يقولُ **ابْنُ القيِّم** رحمه الله: «مَنْ طُهِّرَتْ مِنَ الحيضِ، والبَوْلِ، والنفَّاسِ، والغائطِ، والمُخَاطِ، والبُصَاقِ، وكُلِّ قَذَرٍ، وكُلِّ أَذَىً يكونُ مِنْ نساءِ الدُّنْيا، فطُهِّرَ بذلك باطنُها مِنَ الأخلاقِ السَّيِّئةِ، والصِّفَاتِ المَذْمُومةِ، وطُهِّرَ لسانُها مِنَ الفُحْشِ والبَذَاءِ، وطُهِّرَ طَرْفُها مِنْ أَنْ تَطْمَحَ به إلى غَيْرِ زَوْجِها، وطُهِّرَتْ أثوابُها مِنْ أَنْ يَعْرِضَ لها دَنَسٌ أَوْ وَسَخٌ»(1).

وقَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ (الدخان: 54).

والحَوْرَاءُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ كما يقولُ **مُجاهدٌ**: «الَّتي يُحارُ فيها الطَّرْفُ؛ مِنْ رِقَّةِ الجِلْدِ، وصَفَاءِ اللَّوْنِ»(2).

وقَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ (الرحمن: 56-58).

قال **ابْنُ القيِّم** رحمه الله: «المُفسِّرون كُلُّهم على أَنَّ المَعْنَى: قَصَرْنَ طَرْفَهُنَّ على أَزْوَاجِهِنَّ، فلا يَطْمَحْنَ إلى غَيْرِهِمْ»(3).

---

(1) «حادي الأرواح» (ص283 ـ 284).

(2) المرجع السابق (ص284).

(3) المرجع السابق (ص287).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾ (الرحمن: 70).

«أَيْ: خَيْرَاتُ الأخلاقِ، حِسَانُ الأَوْجُهِ، فَجَمَعْنَ بَيْنَ جَمالِ الظَّاهِرِ والباطنِ، وحُسْنِ الخَلْقِ والخُلُقِ»[1].

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣﴾ (النبأ: 31-33).

فالكواعبُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ كما يَقُولُ **الكَلْبيُّ**: «هُنَّ اللَّواتي تَكَعَّبَ ثديهُنَّ». والمُرادُ: أنَّ ثُدِيَّهُنَّ نَوَاهِدُ كالرُّمَّانِ، لَيْسَتْ مُتَدَلِّيَةً إلى أَسْفَلُ، ويُسَمَّيْنَ نَواهِدَ وكَوَاعِبَ، كما يقولُ العلَّامةُ ابْنُ القيِّم رحمه الله[2].

أيُّها النَّاسُ، هَلْ مِنْ نساءِ الدُّنيا مَنْ إذا اطَّلَعَتْ علينا، فأضاءتْ غُرْفةً صغيرةً، مِنْ حُسْنِها؟، فهذا لَنْ يَحْصُلَ، ولكنْ لَوْ أنَّ امرأةً مِنَ الحُورِ العِينِ اطَّلِعتْ على أَهْلِ الأَرْضِ، لأضاءتْ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ بَلْ لَـمَلأَتْ مَشَارِقَ الأَرْضِ ومَغَارِبَها رِيحًا عَطِرةً عَبِقَةً، فهذا ما يُخْبِرُنا به الصَّادقُ المَصْدُوقُ ﷺ.

ففي «صحيح البخاريِّ»[3] منْ حديثِ أَنَسِ بْنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: **«لَرَوْحَةٌ في سَبِيلِ الله، أَوْ غُدْوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما فيها، ولَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعِ قِيدٍ ـ يَعْني: سَوْطَهُ ـ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما فيها، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إلى أَهْلِ الأَرْضِ، لأَضَاءَتْ ما بَيْنَهُما، ولَمَلأَتْهُ رِيحًا، ولَنَصِيفُها على رَأْسِها خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما فيها»**.

---

(1) «تفسير السَّعْديِّ» (ص831 ـ 832).

(2) «حادي الأرواح» (ص292).

(3) رواه البخاريُّ (2796).

وَمَعْنَى «نَصِيفُها»: أَيْ: خِمَارُها، فالخِمَارُ مِنْ محَاسِنِ الجَمالِ.

ولشِدَّةِ جَمَالِ الحُورِ العِينِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ يُرَى مُخُّ ساقِ الحَوْراءِ مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: **«أَوَّلُ زُمْرَةٍ[2] تَلِجُ الجنَّةَ صُوَرُهُمْ على صُورةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، لا يَبْصِقُونَ فيها،ولا يَمْتَخِطُونَ، ولا يَتَغَوَّطُونَ فيها، آنِيَتُهُمْ وأَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، ومجَامِرُهُمْ[3] مِنَ الأَلُوَّةِ[4]، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، ولكُلِّ واحدٍ منهم زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ ساقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لا اختلافَ بَيْنَهُمْ، ولا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ واحدٌ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»**.

أَيُّها النَّاسُ، إِنَّ نِساءَ الحُورِ لَيُغَنِّينَ أزواجَهُنَّ بأَحْسنِ الأَصْوَاتِ، وقدْ ذكر لنا نَبيُّنا صلى الله عليه وسلم طَرَفًا مِنْ ذلك.

ففي «الصَّغيرِ»، و«الأوسط» للطَّبرانيِّ بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح التَّرغيب»[5] منْ حديثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الجنَّةِ لَيُغَنِّينَ أَزْوَاجَهُنَّ بأَحْسنِ أَصْواتٍ، ما سَمِعَها أَحَدٌ قَطُّ، إِنَّ مِمَّا**

---

(1) رواه البخاريُّ (3245)، ومسلم (2834).

(2) زُمْرَة ـ بالضَّمِّ ـ: جماعة، والجَمْعُ زُمَرٌ.

(3) المجامر: جَمْعُ مِجْمَرَةٍ، وهي المبخرة، سُمِّيتْ مِجْمَرَةً؛ لأنَّها يُوضَعُ فيها الجَمْرُ؛ ليَفُوحَ به ما يُوضَعُ فيها مِنَ البَخُورِ.

(4) الأَلُوَّة ـ بفتح الهمزةِ ويجوز ضَمُّها، وبضمِّ اللَّامِ، وتشديدِ الواوِ ـ: العُود الهنديُّ الَّذي يُبَخَّرُ به.

(5) «صَحِيحٌ»: أخرجه الطَّبرانيُّ في «الأوسط» (6492)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح التَّرغيب» (3749).

يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ الخَيْرَاتُ الحِسَانُ، أَزْواجُ قَوْمٍ كرامٍ، ينظرون بقُرَّةِ أَعْيَانٍ، وإنَّ مماَّ يُغَنِّنَ به:

نَحْنُ الخالداتُ فَلَا نَمُتْنَهْ،

نَحْنُ الآمناتُ فَلَا نَخُفْنَهْ،

نَحْنُ المُقِيماتُ فلا نَظْعَنَّهْ».

وأَخْرَجَ الطَّبرانيِّ في «الأوسط» بسندٍ صحيحٍ لغيرِهِ، كما قال الأَلْبانيُّ في «صحيح التَّرغيب»[1] منْ حديثِ أَنَسِ بْنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ الحُورَ في الجنَّةِ، يُغَنِّينَ، يَقُلْنَ: نَحْنُ الحُورُ الحِسَانُ، هُدِينا لِأَزْوَاجٍ كِرَامٍ**».

أَيُّها النَّاسُ، تِلْكَ بَعْضُ أَوْصَافِ الحُورِ العِيْنِ، كما وَصَفَهُنَّ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ في كتابِهِ، ووصَفَهُنَّ لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

فلا يَجُوزُ لأحدٍ أَنْ يَصِفَ امْرَأَةً مُعَينةً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيا؛ وَسَدًّا للذَّرِيعةِ، الَّتي قَدْ تُفْضِي إلى الفِتْنَةِ، وَقَدْ نَهَى النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ ذلك.

ففي «صحيح البخاريِّ»[2] منْ حديثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تُباشِرِ المَرْأَةُ المَرْأَةَ، فتَنْعَتَهَا لزَوْجِها، كأَنَّهُ يَنْظُرُ إليها**».

بَلْ إنَّهُ صلى الله عليه وسلم حذَّرَ مِنْ دُخُولِ المُخَنَّثِينَ على النِّساءِ؛ لئلَّا يَصِفُوهُنَّ إلى غَيْرِهِمْ مِنَ الرِّجالِ.

---

(1) «**صَحِيحٌ لغَيْرِهِ**»: أخرجه الطَّبرانيُّ في «الأوسط » (6493)، وقال الأَلْبانيُّ في «صَحِيح التَّرغيب»: (3750): صَحِيحٌ لغَيْرِه.

(2) رواه البخاريُّ (5240).

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] منْ حديثِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: أَنَّ مُخَنَّثًا[2] كان عِنْدَها، ورَسُولُ الله ﷺ في البَيْتِ، فقال لأخي أُمِّ سَلَمَةَ: يا عَبْدَ الله ابْنَ أبي أُمَيَّةَ، إنْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ غَدًا، فإنِّي أَدُلُّكَ على بِنْتِ غَيْلَانَ، فَإِنَّها تُقْبِلُ بأَرْبَعٍ، وتُدْبِرُ بثَمانٍ[3]، قال: فَسَمِعَهُ رَسُولُ الله ﷺ، فقال: «**لا يَدْخُلْ هَؤلاءِ عَلَيْكُمْ**».

أَيُّها النَّاسُ، هذا التَّحْذيرُ مِنَ النَّبيِّ ﷺ مِنْ وَصْفِ نِساءِ الدُّنيا المُعَيَّناتِ مِنْهُنَّ، فماذا نَقُولُ في صُوَرِ النِّساءِ، وقَدِ انتشرتْ هذِهِ الظَّاهرةُ انتشارًا فضيعًا، سواء في الفضائيَّاتِ، أوِ الصُّحُفِ السَّيَّاراتِ؟!، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون!.

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

الخُطْبةُ الثَّانيةُ ـ مَهْرُ الحُور:

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ تقدَّم أمامَكُمْ وَصْفُ الحُورِ العِينِ، والآنَ حديثي معكمْ عَنْ مَهْرِهِنَّ، وإنَّهُ لَيَسِيرٌ على مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عليه.

---

(1) رواه البخاريُّ (4324)، ومسلم (2180).

(2) المُخَنَّث ـ بفتح النُّون وبكسْرِها ـ: مَنْ يُشْبِهُ خُلُقُهُ النِّساءَ في حركاتِهِ، وكلامِهِ، وغَيْرِ ذلك، فإن كان مِنْ أَصْلِ الخلْقة، لم يَكُنْ عليه لَوْمٌ؛ ولهذا لم يُنْكِرِ النَّبيُّ ﷺ أوَّلاً دُخُولَهُ على النِّساءِ، وإن كان بقصد منه وتكلُّفٍ له، فهو المَذْمُومُ الَّذي جاء في الأحاديثِ الصَّحِيحة لَعْنُهُ.

(3) تُقْبل بأربعٍ، وتُدْبِرُ بثمانٍ: يعني بأربع عُكَنٍ من الأَمام (وهو ما تثنَّى مِنْ لَحْمِ البَطْنِ نتيجة السِّمنَةِ)، وثماني عُكَنٍ من الخَلْفِ (أربع مِنْ كُلِّ جانبٍ).

أيُّها النَّاسُ، قَدْ وَصَف ربُّنا ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ مَهْرَ الحُورِ العِينِ بعدَّةِ أَوْصَافٍ، يَجْمَعُها وَصْفٌ جامعٌ مانعٌ هُوَ التَّقْوَى، فقال ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الدخان: 51-56).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ (آل عمران: 15-17).

وَمِنْ مَهْرِ الحُورِ العِينِ ـ أيُّها الناسُ ـ القُرْبُ مِنَ اللهِ، وهُوَ أَعْلَى دَرَجَاتِ التَّقْوَى، وَأَهْلُهُ هُمْ السَّابقون بالخَيْراتِ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الواقعة: 10-24).

فالسَّابقون في الدُّنيا إلى الخَيْراتِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ : هُمُ السَّابقون في الآخرةِ لدُخُولِ الجنَّةِ، والزَّواجِ مِنَ الحُورِ العِينِ.

وَمِنْ مَهْرِ الحُورِ العِينِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ الإخلاصُ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ (الصافات: 40-49).

وَمِنْ مَهْرِ الحُورِ العِينِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ الخَوْفُ مِنَ اللهِ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (الرحمن: 46-60).

فالَّذي يَخَافُ ربَّه ـ أيُّها النَّاسُ ـ بفِعْلِ ما أَمَرَهُ به، وتَرْكِ ما نهاه عنهُ ـ لَهُ جنَّتانِ بما فيها، وزُوِّجَ بقاصراتِ الطَّرْفِ، قَصَرْنَ طَرْفَهُنَّ عليه مِنْ حُسْنهنَّ وجمالِهِنَّ وكمالِ مَحبَّتِهِنَّ، وهَلْ جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَ في عبادتِهِ إلَّا ذلك الثَّوابُ العظيمُ؟!.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (البقرة: 201).



17 ذِكْرُ اللهِ

الخُطْبَةُ الأُولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ، حديثي معكمْ - أيَّها النَّاسُ - عَنْ ذِكْرِ اللهِ.

وذِكْرُ اللهِ - أَيُّها النَّاسُ - مِنْ أَعْظَمِ العِبَادةِ، وأحبِّها إلى الله، وإنَّ فَضْلَهُ لعظِيمٌ، حَثَّ اللهُ عليه في كتابِهِ الكريمِ، وسُنَّةُ رسولِ الله ﷺ حافلةٌ بالحثِّ على ذِكْرِ اللهِ؛ لأَنَّهُ قُوتُ القُلُوبِ، ورَبِيعُ الأَجْسَادِ، والسَّبَبُ المُوصلُ إلى اللهِ، والدَّارِ الآخرةِ.

ومِمَّا جاء في فَضْلِهِ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ (البقرة: 152).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ (الأعراف: 205).

قال العلَّامةُ **ابْنُ سَعْديٍّ** رحمه الله: «أَمَرَ اللهُ عَبْدَهُ ورسولَهُ محمَّدًا أَصْلًا، وغَيْرَهُ تبَعًا ـ بِذِكْرِ ربِّه فِي نَفْسِهِ أَيْ: مُخْلِصًا خاليًا. ﴿تَضَرُّعًا﴾: أَيْ: مُتضرِّعًا بلسانِكَ. ﴿وَخِيفَةً﴾: فِي قلبِكَ، بأَنْ تكُون خائفًا مِنَ الله، وَجَلَ القَلْبِ مِنْهُ ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أَيْ: كُنْ مُتَوَسِّطًا، لا تَجْهَرْ بصلاتِكَ، ولا تُخَافِتْ بها، وابْتَغِ بَيْنَ ذلك سبيلًا ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ أَوَّلِ النَّهارِ ﴿وَٱلْآصَالِ﴾ آخرهُ ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ الَّذين نَسُوا اللهَ، فأنسَاهم أَنْفُسَهُمْ»[1].

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ (الأحزاب: 41-42).

قال ابْنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «إنَّ اللهَ لم يَفْرِضْ على عبادِهِ فَرِيضةً، إلَّا جَعَلَ لها حَدًّا مَعْلُومًا، ثُمَّ عَذَرَ أَهْلَها في حالِ العُذْرِ إلَّا الذِّكْرَ، فإنَّ اللهَ لم يَجْعَلْ لَهُ حَدًّا يَنْتَهي إليهِ، ولم يَعْذِرْ أَحَدًا في تَرْكِهِ إلَّا مَغْلُوبًا على عَقْلِهِ، فقال: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (النساء: 103). وباللَّيلِ والنَّهارِ، وفي البَرِّ والبَحْرِ، وفي السَّفَرِ والحَضَرِ، والغِنَى والفَقْرِ، والصِّحَّةِ والسُّقْمِ، والسِّرِّ والعَلَانِيَةِ، وعلى كُلِّ حالٍ، وقال: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ (الأحزاب: 42). فإذا فعلتم ذلك، صلى عليكم هُوَ وملائكتُهُ»[2].

واللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ ذَكَرَ الذَّاكرين على جِهَةِ المَدْحِ والثَّناءِ عليهم، ورتَّب لهُمُ الأَجْرَ العَظِيمَ، والمَغْفِرَةَ لذُنُوبِهِم، ومَنْ يغفرُ الذُّنُوبِ إلَّا اللهُ؟.

---

(1) «تفسير ابْنِ سَعْدِيٍّ» (ص314) بتصُّرفٍ.

(2) «جامع البيان» للطَّبريِّ (22/ 13).

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ (الأحزاب: 35).

ومَدَحَ اللهُ الذَّاكرين بأنَّهُمْ يَذْكُرون اللهَ قِيامًا، وقعودًا، وعلى جُنُوبِهِمْ، فقال ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (آل عمران: 191).

أيُّها النَّاسُ، فَمَعَ ما في الذِّكْرِ مِنَ الثَّوابِ العَظِيمِ، فَبِهِ تَحْصُلُ طُمَأْنِينَةُ القُلُوبِ وانْشِراحُها، وبَهْجَتها وصَلاحُها.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ (الرعد: ٢٨).

أيُّها النَّاسُ، إنَّ الذِّكْرَ أَفْضَلُ الأعمالِ وأزكاها عِنْدَ اللهِ، وخَيْرُ ما تقرَّب به العِبَادُ إلى خالِقِهِمْ ورازِقِهِمْ.

ففي «سُنَن التِّرْمِذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح التَّرغيب»[1] منْ حديثِ أبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بخَيْرِ أعمالِكُمْ، وأَزْكَاها عِنْدَ مَلِيكِكِمْ، وأَرْفَعِها في دَرَجَاتِكُمْ، وخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إنفاقِ الذَّهَبِ والوَرِقِ**[2]**، وخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهمْ، ويَضْرِبُوا أعناقَكُمْ**». قالوا: بَلَى. قال: «**ذِكْرُ الله**».

فقال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه : «ما شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ الله مِنْ ذِكْرِ الله».

أيُّها النَّاسُ، في ذِكْرِ الله حَيَاةُ القُلُوبِ، حَيَاةُ الأَرْوَاحِ، حَيَاةُ الأَبْدَانِ.

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه التِّرْمِذيُّ (3377)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح التَّرغيب» (1493).

(2) الوَرِق ـ بكَسْرِ الرَّاءِ ويُسَكَّنُ ـ : الفِضَّة.

ففي «الصَّحيحين»[1] منْ حديثِ أبي مُوْسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «**مَثَلُ الَّذي يَذْكُرُ رَبَّهُ والَّذي لا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ**».

أَيُّها النَّاسُ، مَنْ مِنَّا لا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مِنَ السَّابقين إلى رِضْوَانِ اللهِ؟!، فالأَمْرُ سَهْلٌ يَسيرٌ على مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عليه.

ففي «صحيح مسلم»[2] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: كان رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَسِيرُ في طَرِيقِ مَكَّةَ، فمرَّ على جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فقال: «**سِيرُوا هذا جُمْدَانُ، سَبَقَ المُفَرِّدُونَ**». قالوا: وما المُفَرِّدُونَ، يا رَسُولَ الله؟. قال: «**الذاكرون اللهَ كثيرًا والذَّاكِرَاتُ**».

أَيُّها النَّاسُ، الذَّاكرون اللهَ يَكْفِيهِمْ أَنَّ اللهَ مَعَهُمْ، ويَكْفِيهِمْ ذِكْرُ اللهِ لَهُمْ.

ففي «الصَّحيحين»[3] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**يقولُ اللهُ ـ تعالى ـ: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأَنَا مَعَهُ إذا ذَكَرَني، فإنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفْسي، وإنْ ذَكَرَني في مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وإنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إليه ذِراعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِراعًا، تَقَرَّبْتُ إليه باعًا، وإنْ أَتَاني يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**».

أَيُّها النَّاسُ، عليكم بمُجَالسةِ أَهْلِ الذِّكْرِ؛ فَهُمُ القَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَليسُهُمْ.

ففي «الصَّحيحين»[4] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ للهَ ـ تبارك وتعالى ـ مَلَائكةً سيَّارةً فُضُلًا، يتتبَّعُونَ مجالسَ الذِّكْرِ، فإنْ وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بأَجْنِحَتِهِمْ، حتَّى يَمْلَئُوا ما بَيْنَهُمْ وبَيْنَ**

(1) رواه البخاريُّ (6407) ـ واللَّفْظُ لَهُ ـ، ومسلم (779).

(2) رواه مسلم (2676).

(3) أخرجه البخاريُّ (7405) ـ واللَّفْظُ لَهُ ـ، ومسلم (2675).

(4) أخرجه البخاريُّ (6408)، ومسلم (2689) ـ واللَّفْظُ لَهُ ـ.

السَّماءِ الدُّنْيا، فإذا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إلى السَّماءِ، قال: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ (وهو أعْلَمُ بِهِمْ): مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟. فيقولونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبادٍ لَكَ في الأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ، ويُكَبِّرُونَكَ، ويُهَلِّلُونكَ، ويَحْمَدُونك، ويَسْأَلُونَكَ. قال: وماذا يَسْأَلُوني؟. قالوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ. قال: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتي؟. قالوا: لا، أَيْ[1]: رَبِّ. قال: فكيف لَوْ رَأَوْا جَنَّتي؟!. قالوا: ويَسْتَجِيرُونَكَ. قال: ومِمَّ يَسْتَجِيرُونَني؟. قالوا: مِنْ نارِك يا رَبِّ. قال: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟. قالوا: لا. قال: فكيف لَوْ رَأَوْا ناري؟!. قالوا: ويَسْتَغْفِرُونَكَ. قال: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فأَعْطَيْتُهُمْ ما سَأَلُوا، وأَجَرْتُهُمْ مِمَّا استجاروا. قال: فيقولُون: رَبِّ، فِيهِمْ فُلانٌ عَبْدٌ خطَّاءٌ، إنَّمَا مَرَّ فَجَلَس مَعَهُمْ. قال: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمُ القَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَليسُهُمْ».

وفي «صحيح مسلم»[2] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ وأَبي سَعِيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنهما: أَنَّهما شَهَدا على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قال: «**لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ إلَّا حَفَّتْهُمُ المَلائكةُ، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، ونَزَلَتْ عليهِمُ السَّكينةُ، وذَكَرَهُمُ اللهُ فيمَنْ عِنْدَهُ**».

أَيُّها النَّاسُ، ما أَجْمَلَ أَنْ يَمُوتَ الإنسانُ وَلِسانُهُ رَطِبٌ بذِكْرِ اللهِ!.

ففي «صحيح ابْنِ حبَّانَ» بسندٍ حَسَنٍ، حسَّنه الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[3] منْ حديثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قال: آخِرُ كلامٍ فارقتُ عليهِ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ قُلْتُ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إلى اللهِ؟. قال: «**أَنْ تَمُوتَ ولسانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللهِ**».

---

(1) أَيْ ـ بزِنَةِ كَيْ ـ: حَرْفٌ لنداءِ القريبِ.

(2) رواه مسلم (2700).

(3) «حَسَنٌ»: رواهُ ابْنُ حبَّانَ (2318)، وابْنُ السُّنِّيِّ في «عمل اليوم والليلة» (2)، والبَزَّارُ (295)، والطَّبرانيُّ في «المُعْجم الكبير» (1072)، وابْنُ المُبَارَكِ في «الزُّهْدِ» (1340)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (906).

وتِلْكَ - أيُّها النَّاسُ - وَصيَّةُ رسولِ الله ﷺ لَمنْ كَثُرَتْ عليه شرائعُ الإسلامِ.

ففي «سنن الترمذي» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح التِّرْمِذيِّ»[1] منْ حديثِ عَبْدِ الله بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه أنَّ رَجُلًا قال: يا رسولَ الله، إنَّ شرائعَ الإسلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فأَخْبِرْني بشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ قال: «**لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله**».

أيُّها النَّاسُ، قَدْ جَاءَ التّرهيبُ مِنْ عَدَمِ الذِّكْرِ في المَجْلِسِ.

ففي «سُنَن أبي داوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[2] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**ما مِنْ قَوْمٍ يَقُومون مِنْ مَجْلِسٍ، لا يَذْكُرُونَ اللهَ فيهِ إلَّا قاموا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وكان لَهُمْ حَسْرَةً**».

أيُّها النَّاسُ، هَلْ بَلَغَكُمْ كَيْفَ كان الأُسْوَةُ الحَسَنَةُ، والرَّحْمَةُ المُهْدَاةُ يَذْكُرُ اللهَ؟، ها هي عائشةُ رضي الله عنها تُخْبِرُنا، فَتَقُولُ - كما في «صحيح مسلم»[3]: «كان النَّبيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ على كُلِّ أَحْيَانِهِ».

قال **النَّوويُّ** رحمه الله: «والمَقْصُودُ: أَنَّهُ ﷺ كان يَذْكُرُ اللهَ - تعالى - مُتَطَهِّرًا، ومُحْدِثًا، وجُنُبًا، وقائمًا، وقاعدًا- ومُضْطَجِعًا، وماشيًا، واللهُ أَعْلَمُ»[4].

مِثْلُ ذلك - أيُّها النَّاسُ - فكُونوا.

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

---

(1) «**صَحيحٌ**»: أخرجه التِّرْمِذيُّ (3375)، وصحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح التِّرْمِذيِّ » (2687).

(2) «**صَحيحٌ**»: أخرجه أبو داوُدَ (4855)، وصحَّحه الأَلْبانيُّ في«الصَّحِيحة» (77).

(3) رواه مسلم (373).

(4) انظر «شرح النَّوويِّ على صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عِنْدَ شَرْحِهِ لحديثِ (373).

الخُطْبةُ الثَّانيةُ ـ الذِّكْرُ عِبادَةُ الكائناتِ :

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ تقدَّم الحديثُ مَعَكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله، وفيما يَأْتي الحديثُ عَنْ ذِكْرِ الكائناتِ لله ربِّ العالمينَ.

أيُّها النَّاسُ، لَمْ يقتصرِ الذِّكْرُ بكَوْنِهِ عِبادَةَ الإنسانِ، والملائكةِ، والجِنِّ فَقَطْ، بَلْ هُوَ عِبادَةُ جَميعِ الكائناتِ: مِنْ أَرْضٍ، وسَماءٍ، وشَجَرٍ، ومَدَرٍ(1)، وجبالٍ، ونَباتٍ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ **كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ** ﴿١١٦﴾ ﴾ (البقرة: 116).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ **يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ﴾ (الجمعة: 1).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ** ﴾ (الإسراء: 44).

قال **القُرْطُبيُّ** رحمه الله: «أَعادَ على السَّمواتِ والأَرْضِ ضَميرُ مَنْ يَعْقِلُ؛ لِما أسند إليْهِمَا مِنْ فِعْلِ العاقلِ، وهُوَ التَّسْبيحُ»(2).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ عَنِ الجبال : ﴿ **وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ** ﴿٧٩﴾ ﴾ (الأنبياء: 79).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ **إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ** ﴾ (ص: 18).

---

(1) المَدَر ـ بفتحتين ـ : قِطَعُ الطِّينِ اليابسِ، واحدتُهُ مَدَرةٌ.

(2) «الجامع لأحكام القرآن» (10/ 266).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (الإسراء: 44).

وحَكَى اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ عَنِ الملائكةِ قَوْلَهُمْ: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ (الصافات: 165-166).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الأنبياء: 20).

وفي «سُنَن ابْنِ ماجَهْ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[1] منْ حديثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعديِّ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**ما مِنْ مُلَبٍّ يُلَبِّي إلَّا لبَّى ما عَنْ يَمِينِهِ وشِمَالِهِ: مِنْ حَجَرٍ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ مَدَرٍ، حتَّى تَنْقَطِعَ الأَرْضُ مِنْ ها هنا وها هُنا**».

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ عَنِ الرَّعْدِ: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ (الرعد: ١٣).

قال **الحافظُ ابْنُ حَجَرٍ** رحمه الله: «إنَّ ذلك كان على عَهْدِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، وقَدِ اشتهر تسبيحُ الحَصَى، وحَنِينُ الجِذْعِ، ولم يُكَذَّبْ رُوَاتُها»[2].

وأَخْبَرَنا نبيُّنا صلى الله عليه وسلم عَنِ الجِنِّ، كما في «سُنَن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[3] منْ حديثِ جابرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قال: خرج رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه ابْنُ ماجَهْ (2921)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (6363).

(2) «الفتح» (6/ 592).

(3) «**صَحِيحٌ**»: رواه التِّرْمذِيُّ (3291)، صحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (2624).

على أصحابِهِ، فَقَرَأَ عليهمْ سُورةَ الرَّحْمنِ مِنْ أَوَّلِهَا إلى آخِرِها، فَسَكَتُوا، فقال: «**لَقَدْ قَرَأْتُها على الجِنِّ لَيْلَةَ الجِنِّ، فكانوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ، كُنْتُ كُلَّما أَتَيْتُ على قَوْلِهِ: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، قالوا: لا بشيءٍ مِنْ نِعَمِكَ ـ ربَّنا ـ نُكَذِّبُ، فَلَكَ الحَمْدُ**».

وأَخْبَرَنا ـ أَيْضًا ـ عَنِ الحِيتانِ، والنَّمْلِ، والخَيْلِ.

ففي «سُنَنِ ابْنِ ماجَهْ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[1] منْ حديثِ أبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ للعالِمِ مَنْ في السَّمَواتِ ومَنْ في الأَرْضِ، حَتَّى الحِيْتَانُ في البَحْرِ**».

وفي «مُعْجَمِ الطَّبرانيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح الجامع»[2] منْ حديثِ أبي أُمَامةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ اللهَ، وملائِكَتَهُ، حتَّى النَّمْلَةَ في جُحْرِها، وحَتَّى الحُوتَ في البَحْرِ ـ لَيُصَلُّون على مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**».

وفي «سُنَنِ النسَّائيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح الجامع»[3] منْ حديثِ أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَسٍ عَرَبيٍّ، إلَّا يُؤْذَنُ لَهُ مَعَ كُلِّ فَجْرٍ يَدْعُو بدَعْوَتَيْنِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إنَّكَ خَوَّلْتَني[4] مَنْ خَوَّلْتَني مِنْ بني آدَمَ، فاجْعَلْني مِنْ أَحَبِّ أَهْلِهِ ومالِهِ إلَيْهِ**».

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ حاكيًا عَنِ الهُدْهُدِ قَوْلَهُ: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (النمل: 25-26).

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه ابْنُ ماجَهْ (239)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (195).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه الطَّبرانيُّ في «الكبير» (1237)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (1838).

(3) «**صَحِيحٌ**»: رواه أحمدُ (2346)، والنَّسائيُّ (4139)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (2414).

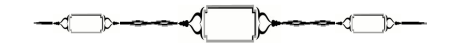
(4) يُقال: خَوَّلَهُ اللهُ الشَّيْءَ: إذا أَعْطَاهُ إيَّاهُ مُتَفَضِّلاً.

وقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَنْ عُمُومِ الطَّيرِ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾(الأنبياء: 79).

وقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾(النور: 41).

أَيُّها النَّاسُ، نَحْنُ أحقُّ بذِكْرِ الله مِنَ الحَجَرِ، والشَّجَرِ، والمَدَرِ، والنَّمْلِ، والحِيتَانِ، وعُمُومِ الطَّيْرِ، فَهَلْ نَحْنُ فاعلون؟.

اللّهُمَّ أَعِنَّا على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسْنِ عِبَادَتِكَ، اللّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكرين لك كثيرًا والذَّاكرات، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: 201).



18 الاسْتِغْفَارُ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهّ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ حديثي مَعَكُمْ عَنِ الاستغفارِ.

أيُّها النَّاسُ، الإنسانُ جُبِلَ على المعاصي؛ لأَنَّهُ قَدْ قُدِّرَتْ عليه الذُّنُوبُ، فلم يَنْجُ منها أَحَدٌ، حَتَّى أَهْلُ الصَّلاحِ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾

(النحل: 61).

وفي «صحيح مسلم»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«والَّذي نَفْسي بيدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، ولجاء بقومٍ يُذْنِبُونَ، فيستغفرون اللهَ، فيغفرُ لهُمْ»**.

وفي «الصَّحيحين»[2] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«كُتِبَ على ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنا، مُدْرِكٌ ذلك لا مَحَالَةَ، فالعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، والأُذُنَانِ زِناهُما الاسْتِمَاعُ، واللِّسانُ زناهُ الكلامُ، واليَدُ زِناها البَطْشُ، والرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَا، والقَلْبُ يَهْوَى ويتمنَّى، ويُصَدِّقُ ذلك الفَرْجُ ويُكَذِّبُهُ»**.

وفي «سُنَن التِّرْمِذيِّ» بسندٍ حَسَنٍ، حسَّنه الأَلْبانيُّ في «صحيح الجامع»[3] منْ حديثِ أَنَسِ بْنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«كُلُّ ابْنُ آدَمَ خَطَّاءٌ، وخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»**.

وأخرج الطَّبرانيُّ بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[4] منْ حديثِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«ما مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إلَّا وَلَهُ ذَنْبٌ يَعْتَادُهُ الفَيْنَةَ بَعْدَ الفَيْنَةِ، أَوْ ذَنْبٌ هُوَ مُقِيمٌ لَا يُفارقُهُ، حتَّى يُفَارِقَ الدُّنيا، إنَّ المُؤْمِنَ خُلِقَ مُفَتَّنًا تَوَّابًا نَسَّاءً؛ إذا ذُكِّرَ ذَكَرَ»**.

أَيُّها النَّاسُ، إذا كان هذا الإنسانِ المُؤْمنِ، جُبِلَ على المَعَاصي، وقُدِّرَتْ عليه الذُّنُوبُ، فَمِنْ رحمةِ الله بعبادِهِ أَنْ فَتَحَ أمامَهُمْ بابَ الاستغفارِ، آناءَ اللَّيْلِ، وأَطْرَافَ النَّهارِ، وحثَّهُمْ عليه، ورغَّبَهم فيه.

---

(1) رواه مسلم (2749).

(2) رواه البخاريُّ (6212)، ومسلم (2657) ـ واللَّفْظُ لَهُ ـ.

(3) «حَسَنٌ»: أخرجه التِّرْمذيُّ (2629)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (4515).

(4) «صَحِيحٌ»: أخرجه الطَّبرانيُّ (3/ 136)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (2276).

قَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الزمر: 53-54).

وقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ (فصلت: 6).

وقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ (البقرة: 199).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ (إبراهيم: 10).

أيُّها النَّاسُ، إنَّ أَسْرَعَ الخَلْقِ امتثالًا لأَمْرِ اللهِ، وإجابةً لندائِهِ هُمْ الأنبياءُ ـ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ (1):

فها هُوَ أَبُونا آدمُ، وأُمُّنا حَواءُ عليهما السلام لَمَّا خَالَفَا أَمْرَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ، وأزلَّهما الشَّيطانُ، وأوقعهما في الخَطَإِ ـ بَادَرَا بالاستغفارِ، فقالا: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الأعراف: 23).

ونُوحٌ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ يتوجَّهُ إلى ربِّه مُسْتَغْفِرًا، فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (هود: 47).

ويستغفرُ رَبَّه لنفسِهِ وأَهْلِهِ وذَوِيهِ، والمُؤْمنين والمُؤْمناتِ، فيقول: ﴿ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (نوح: 28).

والخَلِيلُ إبراهيمُ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ يَقُولُ: ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الشعراء: 82).

---

(1) انظر «الاستغفار» للعَدَوِيِّ (ص22 ـ 23).

ومُوسى الكليمُ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ يَقُولُ: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ (القصص: 16).

ويقولُ: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (الأعراف: 151).

وقَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ حاكيًا عَنْ دَاوُدَ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ: ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ (ص: 24).

وسُلَيمانُ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ يَقُولُ: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ (ص: 35).

أَيُّها النَّاسُ، لَقَدْ حَثَّ اللهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ نبيَّهُ على الاسْتِغْفَارِ، ولنا فيه أُسْوَةٌ حَسَنةٌ، كما قال رَبُّنا ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب: 21).

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ (النساء: 106).

وقَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ (غافر: ٥٥).

وقَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ (النصر: 3).

أَيُّها النَّاسُ، أُذَكِّرُ نَفْسِي وإيَّاكُمْ باستغفارِ الأُسْوَةِ الحَسَنةِ، والرَّحمةِ المُهْدَاةِ ﷺ؛ فإنَّ الذِّكْرى تنفعُ المُؤْمنينَ.

ففي «صحيح مسلم»[1] منْ حديثِ الأَغَرِّ المُزَنِّي رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ على قَلْبِي**[2]**، وإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ في اليَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**».

وفي «سُنَن ابْنِ ماجَهْ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح ابْنِ ماجَهْ»[3] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَ رَسُولَ الله ﷺ قال «**إِنِّي لأستغفر اللهَ وأَتُوب إليه كُلَّ يَوْمٍ مائَةَ مَرَّةٍ**».

وأخرج البخاريُّ في «الأَدَبِ المُفْرد» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[4] منْ حديثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: إِنَّا كنَّا لَنَعُدُّ في المَجْلِسِ للنَّبيِّ ﷺ: «**رَبِّ اغْفِرْ لي، وتُبْ عليَّ، إِنَّك أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ**» مِائَةَ مَرَّةٍ.

في «صحيح مُسْلِمٍ»[5] منْ حديثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «**تُوبوا إِلى الله، فإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَةٍ**».

وأخرج البخاريُّ في «الأَدَبِ المُفْرد» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح الأدب المفرد»[6] منْ حديثِ عائشةُ رضي الله عنها قالتْ: صلَّى رَسُولُ الله ﷺ الضُّحَى ثُمَّ قال: «**رَبِّ اغْفِرْ لي، وتُبْ عليَّ، إِنَّك أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ**» حتَّى قالها مِائَةَ مَرَّةٍ.

---

(1) رواه مسلم (2702).

(2) ليُغانُ على قَلبي أَيْ: ليُغَطَّى عليه، أراد: ما يَغْشَاهُ مِنَ السَّهْوِ الَّذي لا يَخْلُو مِنْهُ البَشَرُ؛ لأنَّ قَلْبَهُ أبداً كان مشغولاً بالله ـ تعالى ـ، فإنْ عَرَضَ لَهُ وَقْتاً ما عارضٌ بَشَرِيٌّ يَشْغَلُهُ مِنْ أُمُورِ الأُمَّةِ والمِلَّةِ ومصالِحِهما ـ عَدَّ ذلك ذَنْباً وتَقْصيراً، فَيَفْزَعُ إلى الاستغفارِ.

(3) «**صَحيحٌ**»: رواه ابْنُ ماجَهْ (3815)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صَحِيح ابْنِ ماجَهْ» (3076).

(4) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه البُخاريُّ في«الأدب المفرد» (618)، وصحَّحه الأَلْبانيُّ في «الصَّحِيحة» (556).

(5) رواه مسلم (2702).

(6) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه البُخاريُّ في «الأدب المفرد» (619)، وصحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الأدب» (482).

أَيُّها النَّاسُ، قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ المُؤْمِنَ جُبِلَ على الخَطَإِ، وقُدِّرَتْ عليه الذُّنُوبُ، فاعْلَمُوا ـ علَّمني اللهُ وإِيَّاكُمْ ـ أَنَّ المُذْنِبَ مُهْمَلٌ حتَّى يَسْتَغْفِرَ.

فَقَدْ أخرج الطَّبرانيُّ في «الكبير» بسندٍ حَسَنٍ، حسَّنه الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[1] منْ حديثِ أبي أُمَامةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«إنَّ صاحِبَ الشِّمالِ لَيَرْفَعُ القَلَمَ سِتَّ ساعاتٍ عَنِ العَبْدِ المُسْلِمِ المُخْطِىءِ، فإنْ نَدِمَ واسْتَغْفَرَ اللهَ مِنْها أَلْقاهَا، وإلَّا كُتِبَتْ واحدةً»**.

واعْلَمُوا ـ أَيُّها النَّاسُ ـ أَنَّ للاستغفارِ آدَابًا، وَمِنْ هذِهِ الآدابِ أَنْ يَعْزِمَ العَبْدُ المَسْأَلَةَ، فلا يَقُولَنَّ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي إنْ شِئْتَ»؛ لما في «الصَّحيحين»[2] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: **«لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي إنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمني إنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ؛ فإنَّهُ لا مُسْتَكْرِهَ لَهُ»**.

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

الخُطْبةُ الثَّانيةُ ـ فوائِدُ الاستغفارِ:

الحَمْدُ للهِ، غافرِ الذَّنْبِ، وقابلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذي الطَّوْلِ، لا إلهَ إلَّا هُوَ، إليه المصيرُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على البشيرِ النَّذيرِ.

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ تقدَّم الحديثُ مَعَكُمْ عَنِ الاستغفارِ، والآنَ حَدِيثي معكمْ عَنْ شيءٍ مِنْ فوائدِ الاستغفارِ.

---

(1) «حَسَنٌ»: أخرجه الطَّبرانيُّ في «الكبير» (25/ 2)، وحَسَّنه الأَلْبانيُّ في «الصَّحِيحة» (1209).

(2) رواه البخاريُّ (6339)، ومُسْلمٌ (2679).

وفوائدُ الاستغفارِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ جَمَّةٌ غَزِيرةٌ، ولكنْ يَكْفي مِنَ الزَّادِ ما يُبلغُ المَحَلَّ، ومِنَ القِلَادةِ ما أحاط بالعُنُقِ.

فَمِنْ فوائدِ الاستغفارِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ تَكْفِيرُ السَّيِّئاتِ، ورَفْعُ الدَّرَجاتِ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ (النساء: 110).

وَمِنْ فوائدِ الاستغفارِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ أَنَّهُ سَبَبٌ لسَعَةِ الرِّزْقِ.

قال نُوحٌ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ لقَوْمِهِ: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ (نوح: 10–12).

وَمِنْ فوائدِ الاستغفارِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ أَنَّهُ سَبَبٌ للمتاعِ الحَسَنِ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ (هود: 3).

وَمِنْ فوائدِ الاستغفارِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ أَنَّهُ سَبَبٌ لحُصُولِ القُوَّةِ في البَدَنِ.

قال هُودٌ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ لقَوْمِهِ: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ (هود: 52).

وَمِنْ فوائدِ الاستغفارِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ أَنَّهُ سَبَبٌ لدَفْعِ المَصَائِبِ، ورَفْعِ البَلَايا.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (الأنفال: 33).

وَمِنْ فوائدِ الاستغفارِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ أَنَّهُ سَبَبٌ لبياضِ القَلْبِ، وصفائِهِ ونقائِهِ؛ وذلك لأنَّ الذُّنُوبَ تَتْرُكُ أَثَرًا سَيِّئًا وسَوادًا على القَلْبِ.

ففي «مسندِ أحمدَ»، و«سُنَنِ التِّرْمِذيِّ» بسندٍ حَسَنٍ، حسَّنه الأَلْبانيُّ في «صحيح التِّرْمِذيِّ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ المُؤْمِنَ إذا أَذْنَبَ كانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ[2] في قَلْبِهِ، فإنْ تابَ ونَزَعَ واسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وإنْ زاد زَادَتْ، حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبَهُ الرَّيْنُ الَّذي ذَكَرَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ في القُرْآنِ:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ (المطففين: 14)».

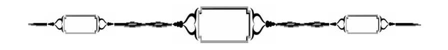
أيُّها النَّاسُ، ما أَحْوَجَنَا للاستغفارِ؛ لإزالةِ ما قدْ تعلَّق على قُلُوبنا مِنْ سوادٍ، وما قَدْ رَانَ عليها مِنْ ذُنُوبٍ ومَعَاصٍ.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ (البقرة: 286).

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾﴾ (آل عمران: 16).

﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ (آل عمران: 193) .

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ (الحشر: 10).



(1) أخرجه أحمدُ (2/ 297)، والتِّرْمِذيُّ (3334)، وحَسَّنه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح التِّرْمذيِّ» (2654).

(2) نُكْتة سَوْداءُ أَيْ: أَثَرٌ قليلٌ كالنُّقْطة شِبْهِ الوَسَخِ في المِرْآةِ، وقَطْرَةِ المِدَادِ تَقْطُرُ في القِرْطَاسِ.

19 البُكَاءُ مِنْ خَشيَةِ اللّهِ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ حَدِيثي معكمُ اليَوْمَ عَنِ البُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ الله.

أيُّها النَّاسُ، للبُكاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ثوابٌ عظيمٌ، وأَجْرٌ جَلِيلٌ، وهو دَلِيلُ الإيمانِ، وَشِعَارُ اليقينِ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر: 23).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: 107– 109).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴾ (مريم: 58).

وفي «الصَّحيحين»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ، يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: الإمامُ العادلُ، وشابٌ نَشَأَ في عبادةِ ربِّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بالمساجدِ، ورَجُلَانِ تحابَّا في الله، اجْتَمَعا عَلَيْهِ، وتفرقا عليه، ورَجلٌ طَلَبَتْهُ امرأةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجمالٍ، فقال: إنِّي أخافُ اللهَ، ورَجلٌ تصدَّق أَخْفَى؛ حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورجلٌ ذَكَرَ اللهَ خاليًا، ففاضَتْ عَيْنَاهُ**».

وفي «سُنَنِ التِّرْمذيِّ، والنَّسائيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «المشكاة»[2] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله، حتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ في الضَّرْعِ، ولا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سبيلِ الله ودُخَانُ جَهَنَّمَ**».

وفي «سُنَنِ التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «المشكاة»[3] مِنْ حديثِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُما النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَيْنٌ باتَتْ تَحْرُسُ في سبيلِ الله**».

---

(1) رواه البخاريُّ (660) ـ واللَّفْظُ لَهُ ـ، ومسلم (1031).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه التِّرْمِذيُّ (1633)، النَّسائيُّ في «صَحِيح النَّسائيُّ» (2911)، وصحَّحه الأَلْبانيُّ في «المشكاة» (3828).

(3) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه التِّرْمِذيُّ (1639)، وصحَّحه الأَلْبانيُّ في «المشكاة» (3829).

وأخرج الحاكمُ في «مُسْتدركِهِ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح التَّرغيب»[1] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: **«حُرِّمَ على عَيْنَيْنِ أَنْ تَنَالَهُمَا النَّارِ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ باتَتْ تَحْرُسُ الإسلامَ وأَهْلَهُ مِنَ الكُفْرِ»**.

وفي «سُنَنِ التِّرْمذيِّ» بسندٍ حَسَنٍ، حسَّنه الأَلْبانيُّ في «المشكاة»[2] مِنْ حديثِ أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: **«لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إلى اللهِ ـ تعالى ـ مِنْ قَطْرَتَيْنِ، وأَثَرَيْنِ: قَطْرَةُ دُمُوعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ـ تعالى ـ، وقَطْرَةُ دَمٍ تُهْرَاقُ في سبيلِ اللهِ، وأَمَّا الأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ في سبيلِ اللهِ، وأَثَرٌ في فَرِيضةٍ مِنْ فَرائضِ اللهِ ـ تعالى ـ»**.

وأخرج الطَّبرانيُّ في «الأوسط» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الأَلْبانيُّ في «صحيح التَّرغيب»[3] مِنْ حديثِ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ، ووَسِعَهُ بَيْتُهُ، وبَكَى على خَطِيئَتِهِ»**.

وطُوبَى ـ أيُّها النَّاسُ ـ وما أَدْرَاكُمْ ما طُوبَى؟، إنَّها شَجَرَةٌ في الجنَّةِ، مَسِيرةَ مِائةِ عامٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الجنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِها.

ففي «مُسْنَدِ أحمدَ» بسندٍ حسنٍ لغيرِهِ، كما قال الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[4] مِنْ حديثِ أبي سَعِيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«طُوبَى: شَجَرَةٌ في الجنَّةِ، مَسِيرةَ مِائَةِ عامٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الجنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِها»**.

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: «المستدرك» (2/ 83)، وصحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح التَّرغيب» (1233).

(2) «**حَسَنٌ**»: أخرجه التِّرْمِذِيُّ (1669)، وحَسَّنه الأَلْبانيُّ في «المشكاة» (3837).

(3) «**حَسَنٌ**»: أخرجه الطَّبرانيُّ في «الأوسط» (3/ 21)، وحَسَّنه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح التَّرغيب» (4876).

(4) «**حَسَنٌ لِغَيْرِهِ**»: أخرجه أَحمدُ (3/ 71)، وقال الأَلْبانيُّ في «الصَّحِيحة» (1985): حَسَنٌ لغيره.

وأخرج ابْنُ المُبَارَكِ في «الزُّهْدِ»، وعَنْهُ أَحْمَدُ، والتِّرْمِذِيُّ بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[1] مِنْ حديثِ عُقْبَةَ بْنِ عامرٍ ﵁ قال: يا رَسُولَ الله، ما النَّجَاةُ؟. قال: «**أَمْلِكْ عَلَيْكَ لسانَكَ، ولْيَسَعْكَ بَيتُكَ، وابْكِ على خَطِيئَتِكَ**».

أَيُّها النَّاسُ، لَيْسَ كُلُّ بُكَاءٍ يَصْدُقُ عليه أَنَّهُ بُكَاءٌ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ؛ فالبُكَاءُ أنواعٌ ذَكَرَها ابْنُ القَيْمِ في «زاد المعادِ»[2]:

أحدها ـ بُكَاءُ الرَّحْمَةَ والرِّقَّةِ.

والثَّاني ـ بُكَاءُ الخَوْفَ والخَشْيَةِ.

والثَّالث ـ بُكَاءُ المَحَبَّةِ والشَّوْقِ.

والرَّابع ـ بُكَاءُ الفَرَحِ والسُّرُورِ.

والخامس ـ بُكَاءُ الجَزَعِ مِنْ وُرُودِ المُؤْلِمِ وعَدَمِ احتمالِهِ.

والسادس ـ بُكَاءُ الحُزْنِ.

والسابع ـ بُكَاءُ الضَّعْفِ والخَوْرِ.

والثَّامن ـ بُكَاءُ النِّفاقِ، وَهُوَ: أَنْ تَدْمَعَ العَيْنُ، والقَلْبُ قاسٍ.

والتَّاسع ـ البُكَاءُ المُسْتَعَارُ والمُسْتَأْجَرُ عليهِ: كبُكَاءِ النَّائحةِ بالأُجْرَةِ.

والعاشر ـ بُكَاءُ المُوافقةِ، وهُوَ: أَنْ يَرَى الرَّجُلُ النَّاسَ يَبْكُونَ لأَمْرٍ وَرَدَ عليهم، فيبكيَ مَعَهُمْ، ولا يَدْري لأيِّ شَيْءٍ يَبْكُونَ.

---

(1) أخرجه ابْنُ المُبارك في «الزُهْد» (134)، وعنه أحمد (5/ 259)، والتِّرْمذيُّ (2/ 65)، وصحَّحه الأَلْبانيُّ في «الصَّحِيحة» (890).

(2) «زاد المعاد» (1/ 185 ـ 186) باختصارٍ يسيرٍ.

والنَّوْعُ الثَّاني (أَيْ: بُكَاءِ الخَوْفِ والخَشْيَةِ) هُوَ بَيْتُ القَصِيدِ، ومَرْبَطُ الفَرَسِ، وأكثرُ بُكَاءِ النَّبيِّ ﷺ مِنْهُ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] منْ حديثِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: قال لي النَّبيُّ ﷺ : «**اقْرَأْ عَلَيَّ**». قُلْتُ: يا رسولَ الله، آقْرأُ عليك وعليك أُنْزِلَ؟!. قال: «**نَعَمْ**». فقرأتُ سُورةَ النِّساءِ، حتَّى أتيتُ إلى هذِهِ الآيةِ: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴾ (النساء: 41). قال: «**حَسْبُكَ الآنَ**». فالْتَفَتُّ إليهِ، فإذا عَيْنَاهُ تَذْرِفانِ.

وأخرج ابْنُ خُزَيْمَةَ في «صحيحِهِ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح التَّرغيب»[2] مِنْ حديثِ عليٍّ رضي الله عنه قال: «ما كان فينا فارسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرَ المِقْدَادِ، ولَقَدْ رَأَيْتُنا وما فينا إلَّا قائمٌ إلَّا رسولَ الله ﷺ تَحْتَ شَجَرةٍ يُصَلِّي ويَبْكي، حَتَّى أَصْبَحَ».

وفي «سُنَنِ النَّسائيِّ، وأبي داوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح أبي داوُدَ»[3] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قال: انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ يَوْمًا على عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ ، فقام رسولُ الله ﷺ يُصَلِّي، حتَّى لَمْ يَكَدْ يَرْكَعُ، ثُمَّ رَكَعَ، فَلَمْ يَكَدْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَلَمْ يَكَدْ أَنْ يَسْجُدَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَلَمْ يَكَدْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَلَمْ يَكَدْ أَنْ يَسْجُدَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَلَمْ يَكَدْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَجَعَلَ يَنْفُخُ ويَبْكي، ويقولُ: «**ربِّ أَلَمْ تَعِدْني أَلَّا تُعَذِّبَهُمْ وأنا فيهم؟!، ربِّ أَلَمْ تَعِدْني أَلَّا تُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يستغفرون؟!، ونَحْنُ نَسْتَغْفِرُكَ!**». فلمَّا صلَّى رَكْعَتَيْنِ، انْجَلَتِ

---

(1) رواه البخاريُّ (5050)، ومسلم (800).

(2) «**صَحِيحٌ**»: ابْنُ خُزَيمةَ (899)، وصحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح التَّرغيب» (3330).

(3) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه النَّسائيُّ (1401)، وأبو داوُدَ (1194)، وصحَّحه الأَلْبانيُّ في «الإرواء» (262).

الشَّمْسُ، فقام فَحَمِدَ اللهَ ـ تعالى ـ ، وأثْنَى عليه، ثُمَّ قال: «**إنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ آيتانِ مِنْ آياتِ الله، لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، ولا لحياتِهِ، فإذا انْكَسَفا، فافْزَعُوا إلى ذِكْرِ الله**».

وفي «مُسْنَدِ أحمدَ»، و«سُنَنِ ابْنِ ماجَهْ» بسندٍ حَسَنٍ، حسَّنه الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[1] مِنْ حديثِ البَرَاءِ بْنِ عازِبٍ رضي الله عنه قال: بَيْنَما نَحْنُ مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، إذا بصر بجماعةٍ، فقال: «**عَلَامَ اجتمعَ عليه هَؤلاءِ؟**». قِيلَ: على قَبْرٍ يَحْفِرُونَهُ. قال: فَفَزِعَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فَبَدَرَ بَيْنَ يَدَيْ أصحابِهِ مُسْرِعًا؛ حتَّى انتهى إلى القَبْرِ، فَجَثَا عَلَيْهِ، قال: فاستقبَلْتُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ؛ لأَنْظُرَ ما يَصْنَعُ، فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرى مِنْ دُمُوعِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ علينا، قال: «**أَيْ إخواني، لِمِثْلِ اليَوْمِ فأَعِدُّوا**».

وفي «سُنَنِ أبي داوُدَ، والنَّسائيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح التَّرغيب»[2] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بْنِ الشِّخِّيرِ رضي الله عنه قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي بنا، وفي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كأَزِيزِ المِرْجَلِ[3] مِنَ البُكَاءِ».

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

---

(1) «**حَسَنٌ**»: أخرجه أحمدُ (4/ 294)، وابْنُ ماجَهْ (4195)، وحَسَّنه الأَلْبانيُّ في «الصَّحِيحة» (1751).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أبو داوُدَ (904)، والنَّسائيُّ في «صَحِيح سُنَن النَّسائيِّ» (1156)، وصحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح التَّرغيب» (3329).

(3) المِرْجل ـ بالكَسْرِ ـ : قِدْرٌ مِنْ نُحاسٍ، والمَعْنَى: أنَّ لِجَوفِهِ حَنيناً كصَوْت غَليان القِدْرِ إذا اشْتَدَّ.

الخُطْبةُ الثَّانيةُ ـ السَّبيلُ إلى البُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ :

الحَمْدُ لله الأَوَّلِ فَلَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، الآخِرِ فَلَيس بَعْدَهُ شَيْءٌ، الظَّاهِرِ فَلَيْس فَوْقَهُ شَيْءٌ، الباطِنِ فَلَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ، خَلَقَ فَأَبْدَعَ، وصَوَّرَ فَأَحْسَنَ، فتبارك اللهُ أَحْسَنُ الخالقين، لَهُ الحِكْمَةُ البالغةُ، وكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بمقدارٍ، وصلَّى اللهُ على نبيِّ الرَّحْمةِ المُهْداةِ، القُدْوَةِ المُجْتَبَاةِ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أمَّا بَعْدُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ تقدَّم الحديثُ معكمْ عَنِ البُكَاءِ مِنْ خَشْيةِ الله، والآنَ حديثي معكمْ عَنِ السَّبيلِ إلى البُـكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ الله، وإنَّهُ ليسيرٌ على مَنْ يسَّرَهُ اللهُ عليهِ.

العِلْمُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ ممَّا يُعينُ على البُكَاءِ مِنْ خَشْيةِ الله.

والعِلْمُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ : ما جاء عَنِ الله، وأَهْلُهُ هُمْ أَهْلُ الخَشْيَةِ، الَّذين وصفهمْ خالِقُهُمْ بقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (فاطر: 28).

فإذا طَلَبْنَا العِلْمَ، وحصلنا عليه، فَمَعَهُ البُكاءُ مِنْ خَشْيَةِ الله.

أَلَمْ يَقُلِ ٱللَّهُ ـ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ : ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: 107-109).

وفي «الصَّحيحين»[1] مِنْ حديثِ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: خَطَبَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم خُطْبَةً ما سَمِعْتُ مِثْلَها قَطُّ، قال: «**لَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قليلًا، ولَبَكَيْتُمْ كثيرًا**». قال: فَغَطَّى أصحابُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وُجُوهَهُمْ، لهم حَنِينٌ.

---

(1) رواه البخاريُّ (4621)، ومسلم (2359).

والحَنِينُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ هُوَ: الصَّوْتُ الَّذي يَرْتَفِعُ بالبُكَاءِ مِنَ الصَّدْرِ، كما قال الحافظُ ابْنُ حَجَرٍ[1].

فَدَلَّ الحديثُ بمَفْهُومِهِ ومَنْطُوقِهِ على أَنَّ العِلْمَ سَبيلٌ للبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ الله، دَلَّ على ذلك قَوْلُهُ «**لَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ**».

وَتَدَبُّرُ القُرْآنِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ ممَّا يُعينُ على البُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ الله، وقَدْ حثَّنا ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ على تَدَبُّرِ القُرْآنِ بقَوْلِهِ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد: 24).

الاستماعُ إلى المواعِظِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ ممَّا يُعينُ على البُكاءِ مِنْ خَشْيةِ الله، وكَمْ للمواعظِ والتَّذْكيرِ مِنْ أَثَرٍ في جَلْبِ الخُشُوعِ، واستدارةِ الدُّمُوعِ مِنْ خَشْيَةِ الله!، وكَمْ للإعراضِ عَنِ المواعظِ، وعَدَمِ حُضُورِها مِنْ جَلْبِ القَسْوَةِ للقُلُوبِ، والقَحْطِ للعُيُونِ!.

أَلَمْ يَقُلِ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الحديد: 16).

قال ابْنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في تفسيرِ هذِهِ الآيةِ: «قالُوا إلى الدُّنيا، وأعرضوا عَنْ مواعظِ الله».

وفي «سُنَنِ أبي داوُدَ، والتِّرْمذيِّ، وابْنِ ماجَهْ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح التَّرغيب»[2] مِنْ حديثِ العِرْباضِ بْنِ ساريةَ رضي الله عنه قال: وَعَظَنا رسولُ الله

(1) انظر «الفتح» عند شرحه للحديثِ (4621).

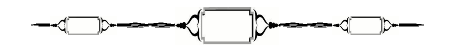
(2) أخرجه أبو داوُدَ (4607)، والتِّرْمذيُّ (2828)، وابْنُ ماجَهْ (42)، وصحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح التَّرغيب» (34).

ﷺ مَوْعِظَةً بليغةً؛ وَجِلَتْ مِنْها القُلُوبُ، وذَرَفَتْ مِنْها العُيُونُ، فَقُلْنا: يا رسولَ اللهِ، كأنَّها مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنا. قال: «**أُوصِيكُمْ بتَقْوَى الله، والسَّمْعِ والطَّاعةِ، وإِنْ تأمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، وإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتِي، وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشدِينِ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكُمْ ومُحْدَثاتِ الأُمُورِ؛ فإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ**».

أيُّها النَّاسُ، دَلَّ الحديثُ بمنطوقِهِ ومَفْهُومِهِ على أنَّ للموعظةِ أَثَرًا عظيمًا في البُكَاءِ مِنْ خَشْيةِ اللهِ، والشَّاهِدُ: قَوْلُ راوي الحديثِ: «وَجِلَتْ مِنْها القُلُوبُ، وذَرَفَتْ مِنْها العُيُونُ».

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: 201).

اللَّهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بك مِنَ الغَفْلَةِ والقَسْوَةِ، والذِّلَّةِ والمَسْكَنةِ، ونعوذُ بك مِنَ الكُفْرِ والفُسُوقِ، والشِّقاقِ والنِّفاقِ، والسُّمْعَةِ والرِّياءِ، اللَّهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بك مِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وقَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وعَيْنٍ لا تَدْمَعُ، ودَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لها.



20 الحياةُ الدُّنيْا في القُرْآن الكرَيم

الخُطْبةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ - أيُّها النَّاسُ - حديثي معكمُ اليَوْمَ عَنِ الحياةِ الدُّنْيا في القُرْآنِ الكريمِ.

أيُّها النَّاسُ، قَدْ عَلِمْنا جَمِيعًا أنَّ القُرْآنَ الكريمَ مُشْتَمِلٌ على ذَمِّ الدُّنْيا، وصَرْفِ الخَلْقِ عنها، ودَعْوَتِهِمْ إلى الآخرةِ، فما بالُهُمْ تعلَّقوا بها، وكأنَّها دارُ خُلُودٍ لا دارُ عُبُورٍ؟!!.

أيُّها النَّاسُ، لَقَدْ حَقَّرَ اللهُ - سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ - أَمْرَ الدُّنْيا، وبيَّنَ أنَّها دَنِيئةٌ فانيةٌ، قليلةٌ زائلةٌ.

فقال - سُبۡحَٰنَهُۥ - : ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ (آل عمران: 185).

أيُّها النَّاسُ، إنَّها متاعٌ، ولكنَّهُ لَيْسَ مَتاعَ الحقيقةِ، إنَّها مَتاعُ الغُرُورِ، المتاعُ الَّذي يَخْدَعُ الإنسانَ، فَيَحْسَبُهُ متاعًا، وهُوَ سَرابٌ بقِيعةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمآنُ ماءً.

وأمَّا المَتَاعُ الَّذي يَسْتَحِقُّ الجُهْدَ في تَحْصِيلِهِ فَهُوَ الفَوْزُ بالجنَّةِ، والنَّجاةُ مِنَ النَّارِ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وتَعَالَىٰ ـ : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الرعد: 26).

وقَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْأَخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ (غافر: 38-39).

أيُّها النَّاسُ، لَقَدْ وصف ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ الحياةَ الدُّنيا بأنَّها لَعِبٌ ولَهْوٌ في أكثرِ مِنْ آيةٍ مِنْ كتابِهِ الكَريمِ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌۖ وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الأنعام: 32).

وقَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (العنكبوت: 64).

وقَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وتَعَالَىٰ ـ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ ﴾ (محمد: 36).

ومَعْنَى لعب ـ أيُّها النَّاسُ ـ : أنَّ كُلَّ ما أعطاه اللهُ الإنسانَ مِنَ الدُّنْيا إلَّا وَهُوَ يَضْمَحِلُّ ويَزُولُ كاللَّعِبِ الَّذي لا حقيقةَ لَهُ، ولا ثباتَ، فالدُّنيا إنْ بَقَتْ لنا لَمْ نَبْقَ لها.

واللَّهْوُ: ما أَلْهَى عَنِ الآخرةِ، وشَغَلَ عنها.

كما قال ربُّنا ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ (التكاثر: 1-2).

أَيْ: شَغَلَكُمُ التَّكاثرُ في الأَمْوالِ، والأَوْلَادِ، وغَيرِهما حتَّى زُرْتُمُ المقابِرَ، فتعذَّر عليكمُ استئنافُ العَمَلِ، والانشغالُ بالحياةِ الباقيةِ.

فتأمَّلُوا ـ أيُّها النَّاسُ ـ إلى قولِهِ ـ تعالى ـ : ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ فسَّمانا اللهُ زائرين ولم يُسِّمنا مُقِيمين.

وها هُوَ القُرْآنُ الكَرِيمُ يُؤَكِّدُ لنا أنَّ الحياةَ الدُّنيا لَعِبٌ ولَهْوٌ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (الحديد: 20).

أَيْ: لَعِبٌ كَلَعِبِ الصِّبْيانِ، ولَهْوٌ كَلَهْوِ الفِتْيانِ، وزِينةٌ كزِينةِ النِّسْوانِ، وتفاخرٌ كتفاخُرِ الأَقْرانِ[1]، وتَكَاثُرٌ كتكاثرِ الدُّهْقَانِ[2][3].

أَيُّها النَّاسُ، لَقَدْ ضَرَبَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ مَثَلَ الحياةِ الدُّنْيا في أنَّها زَهْرَةٌ فانيةٌ، ونِعْمَةٌ زائلةٌ، فقال: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ ﴾ وَهُوَ المَطَرُ الَّذي يَأْتِي بَعْدَ قُنُوطِ النَّاسِ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ ﴾ (الشورى: 28).

وقولُهُ ـ تعالى ـ :﴿ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾ أَيْ: يُعْجِبُ الزُّراعَ نباتُ ذلك الزَّرْعِ الَّذي نبت بالغيثِ، كذلك تُعْجِبُ الحَيَاةُ الدُّنْيا الكُفَّارَ، فإنَّهُمْ أَحْرَصُ شيءٍ عليها، وأَمْيَلُ النَّاسِ إليها.

﴿ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ﴾ أَيْ: يَهِيجُ ذلك الزَّرْعُ بَعْدَ ما كان خَضِرًا نضرًا، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذلك كُلُّهُ حُطامًا أَيْ: يَصيرُ يبسًا مُتَحَطِّمًا، هكذا الحياةُ الدُّنيا: تكونُ أَوَّلًا شابَّةً، ثُمَّ تكتهلُ، ثُمَّ تكونُ عَجُوزًا شَوْهَاءَ، والإنسانُ يكونُ كذلك أَوَّلَ

(1) الأَقْران: جَمْعُ قِرْنٍ ـ بالكَسْرِ ـ ، وهُوَ كُفْؤُك فِي الشَّجاعةِ، والعِلْمِ، وغَيْرِ ذلك.
(2) الدُّهْقان ـ بالضَّمِّ والكَسْرِ ـ : التَّاجر، والجَمْعُ دَهَاقنةٌ ودَهَاقِينُ.
(3) «تفسير القُرْطُبيِّ» (17/ 255).

عُمُرِه وعُنْفُوانَ[1] شَبابِهِ غَضًّا طَرِيًّا لَيِّنَ الأَعْطَافِ، بَهِيَّ المَنْظَرِ، ثُمَّ إِنَّهُ يَشْرَعُ في الكُهُولَةِ، فتتغيَّرُ طِبَاعُهُ، ويَفْقِدُ بَعْضَ قواهُ، ثُمَّ يَكْبرُ، فيصيرُ شيخًا كبيرًا ضَعِيفَ القُوَى، قَلِيلَ الحركةِ، يُعْجِزُهُ الشَّيْءُ اليَسِيرُ، كما قال ربُّنا ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ (الروم: 54).

أيُّها النَّاسُ، لَمَّا كان هذا المَثَلُ دالًّا على زَوَالِ الدُّنْيا وانقضائِها وفراغِها لا محالةَ، وأنَّ الآخرةَ كائنةٌ لا محالةَ ـ حذَّر مِنْ أَمْرِها، ورغَّب فيما فيها مِنَ الخَيْرِ، فقال: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ (الحديد: 20).

أَيْ: وليس في الآخرةِ إلَّا إمَّا عذابٌ شديدٌ، وإمَّا مغفرةٌ مِنَ الله وَرِضْوَانٌ[2].

أيُّها النَّاسُ، ها هو القُرآنُ يُؤكِّدُ لنا جميعًا أنَّ الحياةَ الدُّنْيا كماءٍ أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ السَّماءِ تفصيلًا للآيةِ، وتَذْكيرًا لعبادِهِ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (يونس: 24).

وقَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ (الكهف: 45).

---

(1) عُنْفُوان الشَّيْءِ ـ بضمِّ العَيْنِ والفاءِ ـ: أَوَّلُهُ.

(2) انظر «تفسير ابن كثيرٍ» (4/ 274) بتصرُّفٍ يسيرٍ.

قال العلَّامةُ **ابْنُ القَيِّمِ** رَحِمَهُ اللهُ: «شبَّه ـ سُبْحَانَهُ ـ الحياةَ الدُّنْيا في أنَّها تتزيَّنُ في عَيْنِ الناظرِ، فتروقُهُ بزِينَتِها وتُعْجِبُهُ، فيميلُ إليها، ويَهْوَاها اغترارًا مِنْهُ بها، حتَّى إذا ظَنَّ أنَّهُ مالكٌ لها، قادرٌ عليها، سُلِبَهَا بَغْتَةً أَحْوَجَ ما كان إليها، وَحِيلَ بَيْنَهُ وبَيْنَها، فشبَّهها بالأرضِ الَّتي يَنْزِلُ الغَيْثُ عليها، فَتُعْشِبُ ويَحْسُنُ نباتُها، ويَرُوقُ مَنْظَرُها للنَّاظِرِ، فيغتَرُّ بها، ويَظُنُّ أنَّهُ قادرٌ عليها، مالكٌ لها، فيأتيها أَمْرُ الله، فَتُدْرِكُ نباتَها الآفَةُ بَغْتَةً، فتصبحُ كأنْ لم تَكُنْ قَبْلُ شَيْئًا، فيخيبُ ظَنُّهُ، وتُصْبِحُ يَدَاهُ منها صِفْرًا، فهكذا حالُ الدُّنْيا والواثقِ بها سواء. وهذا مِنْ أَبْلَغِ التَّشْبيهِ والقِيَاسِ.

ولَمَّا كانتِ الدُّنْيا عُرْضَةً لهذِهِ الآفاتِ، وجَنَّةُ الآخرةِ سليمةً منها ـ قال: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ (يونس: 25)، فسمَّاها ها هُنا دارَ السَّلامِ؛ لسلامتِها مِنْ هذِهِ الآفاتِ، الَّتي ذَكَرَها في الدُّنْيا، فعمَّ بالدَّعْوةِ إليها، وخَصَّ بالهدايةِ لها مَنْ يَشَاءُ، فذاك عَدْلُهُ وهذا فَضْلُهُ»[1].

وقال العلَّامةُ **القُرْطُبِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ: «قالتِ الحُكَماءُ: إنَّما شَبَّهَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ الدُّنْيا بالماءِ؛ لأنَّ الماءَ لا يستقرُّ في مَوْضِعٍ، كذلك الدُّنْيا لا تَبْقَى. ولأنَّ الماءَ لا يستقيمُ على حالةٍ واحدةٍ، كذلك الدُّنْيا. ولأنَّ الماءَ لا يَبْقَى ويذهبُ، كذلك الدُّنْيا تَفْنَى ولأنَّ الماءَ لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أنْ يَدْخُلَهُ ولا يَبْتَلَّ، كذلك الدُّنْيا لا يسلمُ أَحَدٌ دَخَلَها مِنْ فِتْنَتِها وآفاتِها. ولأنَّ الماءَ إذا كان بقَدْرٍ كان نافعًا مُنْبِتًا، وإذا جاوَزَ المِقْدَارَ كان ضارًّا مُهْلكًا، وكذلك الدُّنْيا، الكَفَافُ مِنْها يَنْفَعُ، وفُضُولُها يَضُرُّ»[2].

---

(1) «أعلام الموقِّعين» (1/ 182ـ 183).

(2) «تفسير القُرْطُبِيِّ» (10/ 412).

أيُّها النَّاسُ، المَتَاعُ قَلِيلٌ، والسَّفَرُ طَوِيلٌ، فخذوا مِنْ هذا المتاعِ طاعةَ اللهِ، فإنَّ مَصِيرَنا إلى اللهِ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ، فيُخْبِرُنا بما قَدَّمناهُ مِنْ جميعِ أعمالِنا.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (يونس: 23).

أيُّها النَّاسُ، قَدْ قِيلَ: لَمَّا حَضَرَتْ عَبْدَ العَزِيزِ بْنَ مَرْوَانَ الوَفَاةُ، قال: ائْتُوني بكَفَني الَّذي أُكَفَّنُ فِيهِ، أَنْظُرْ إليه، فلمَّا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيهِ نَظَرَ إليْهِ، فقال: أما لي من كبير، ما أخلف في الدُّنيا إلَّا هذا؟

ثُمَّ ولَّى ظَهْرَهُ فبكى، وهو يقولُ: أُفٍّ لك مِنْ دَارٍ!، إنْ كان كَثِيرُكِ لقليلٌ، وإن قَلِيلك لَقَصِيرٌ، وإن كُنَّا مِنْكِ لفي غُرُورٍ.

ولا خَيْرَ في الدُّنْيا لِـمَنْ لَمْ يَكُنْ ... مِنَ اللهِ في دارِ الـمقامِ نَـصِيبُ
لَهُ فـإنْ تُعْجِبُ الدُّنيا رِجالًا، فإنَّها ... مَتَـاعٌ قَلِيـلٌ، والـزَّوالُ قَرِيـبُ

وأَسْتغفرُ اللهَ.

الخُطْبةُ الثَّانيةُ ـ الحياةُ الدُّنيا في السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ :

الحمدُ لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَنْ بَعَثَهُ اللهُ هاديًا ومُبَشِّرًا وسِرَاجًا مُنيرًا.

أَمَّا بَعْدُ أَيُّها النَّاسُ ـ تقدَّم الحديثُ معكمْ عَنِ الحياةِ الدُّنْيا في القُرْآنِ الكريمِ، والآنَ حديثي معكمْ عَنِ الحياةِ الدُّنْيا في السُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ.

أيُّها النَّاسُ، ما أَهْوَنَ الدُّنْيا على الله!، يُوَضِّحُ ذلك ما جاء في «صحيحِ مُسْلمٍ»[1] مِنْ حديثِ جابرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما: أَنَّ رَسولَ الله ﷺ مَرَّ بالسُّوقِ، داخلًا مِنْ بَعْضِ العالِيَةِ، والنَّاسُ كَنَفَتَهُ ـ أَيْ: جانبَهُ ـ فَمَرَّ بجَدْيٍ أَسَكَّ ـ أَيْ: صَغِيرِ الأُذُنَيْنِ ـ مَيِّتٍ، فتَنَاوَلَهُ فأَخَذَ بأُذُنِهِ، ثُمَّ قال: «**أيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هذا لَهُ بدِرهَمٍ؟**».

قالوا: ما نُحِبُّ أَنَّهُ لنا بشيءٍ، وما نَصْنَعُ بِهِ؟.

قال: «**أَتُحِبُّون أَنَّهُ لَكُمْ؟**».

قالوا: والله، لَوْ كان حَيًّا، كان عَيْبًا فِيهِ؛ لأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وهُوَ مَيِّتٌ؟!.

فقال: «**فوالله، للدُّنيا أَهْوَنُ على الله مِنْ هذا عَلَيْكُمْ**».

وفي «سُنَنِ التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[2] مِنْ حديثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**لَوْ كانتِ الدُّنْيا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، ما سَقَى كافرًا مِنْها شَرْبَةَ ماءٍ**».

وهذا ـ أيُّها النَّاسُ ـ مَثَلٌ لغايةِ القِلَّةِ والحَقَارةِ، أَيْ: لَوْ كان لها أَدْنَى قَدْرٍ، ما متَّع الكافِرَ منها أَدْنَى تمتُّعٍ، وهذا أَوضحُ دليلٍ، وأَعْدَلُ شاهدٍ على حقارةِ الدُّنْيا.

وقَدْ سُئِلَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: أَيُّ خَلْقِ الله أَصْغَرُ؟.

قال: الدُّنيا؛ إن كانتْ لا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ.

فقال السائلُ: مَنْ عظَّم هذا الجَنَاحَ، فَهو أَحْقَرُ مِنْهُ[3].

---

(1) رواه مُسْلمٌ (2957).

(2) «صَحِيحٌ»: أخرجه التِّرْمذيُّ (2320)، وصححه الأَلْبانيُّ في «الصَّحِيحة» (943).

(3) انظر «فيض القدير» (5/ 328) بتصرُّفٍ.

وَمِنْ هَوَانِ الدُّنْيا على الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أنَّ ما يَأْكُلُهُ الإنسانُ جُعِلَ مَثَلًا لها.

فقد أخرج عَبْدُ الله بْنُ أَحْمَدَ في «زوائد المسند» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الأَلْبانيُّ في «صحيح الجامع»، والوادعيُّ في «الجامع الصحيح»[1] مِنْ حديثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**إنَّ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ جُعِلَ مَثَلًا للدُّنْيا، وإنْ قَزَّحَهُ وَمَلَّحَهُ، فانْظُرُوا إلى ما يَصِيرُ**».

والمَعْنَى ـ أيُّها النَّاسُ ـ : أنَّ المَطْعَمَ وإنْ تَفَنَّن الإنسانُ التفوُّقَ في صنعتِهِ، فإنَّهُ ـ لا محالةَ ـ عائدٌ إلى حالٍ يُسْتَقْذَرُ، فكذلك الدُّنْيا ـ وإنْ تفنَّن الإنسانُ في عِمارَتِها ـ راجعةٌ إلى خرابٍ.

أيُّها النَّاسُ، تعالَوْا نَنظرْ إلى حالِ رَسُولِ الله ﷺ مَعَ الدُّنْيا.

ففي «سُنَنِ التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح التِّرْمذيِّ»[2] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: نام رَسُولُ الله ﷺ على حَصِيرٍ، فقام وَقَدْ أَثَّرَ في جَنْبِهِ، فقُلْنا: يا رَسولَ الله، لَوِ اتَّخَذْنا لك وِطَاءً. فقال: «**ما لي وللدُّنْيا، ما أنا في الدُّنْيا إلَّا كراكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ راح وتَرَكَها**».

وها هُوَ ﷺ يَحُثُّنا على الاستعدادِ ليَوْمِ الرَّحيلِ، والتَّزوُّدِ للدَّارِ الآخرةِ.

ففي «صحيحِ البخاريِّ»[3] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رَسولُ الله ﷺ: «**كُنْ في الدُّنْيا كأنَّكَ غَريبٌ، أو عابرُ سَبِيلٍ**».

---

(1) «**حَسَنٌ**»: أخرجه عَبْدُ الله بْنُ أحمدَ في «زَوَائِدِه»، وحَسَّنه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (2191)، والوادعيُّ في «الجامع الصَحِيح» (4190).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه التِّرْمذيُّ (2377)، وصححه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح التِّرْمذيُّ» (1936).

(3) رواه البخاريُّ (6416).

أَيْ غَرِيبٌ في بَلَدِ غُرْبَةٍ، هَمُّهُ التَّزَوُّدُ للرُّجُوعِ إلى وَطَنِهِ، ومُسَافِرٌ غَيْرُ مُقِيمٍ، يُواصِلُ سَيْرَهُ إلى بَلَدِ الإقامةِ.

فأحسِنُوا ـ أيُّها النَّاسُ ـ الزَّادَ، ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ (البقرة: 197).

تَبَلَّغْ مِنَ الدُّنْيا بأَيْسَرِ زَادِ ... فإنَّكَ عَنْها راحِلٌ لِمَعَادِ
وغُضَّ عَنِ الدُّنْيا وزُخْرُفِ أَهْلِها ... جُفُونَكَ، وأَكْحِلْها بطِيبِ سُهَادِ[1]
وجَاهِدْ عَنِ اللَّذَّاتِ نَفْسَكَ جَاهِدًا ... فإنَّ جِهَادَ النَّفْسِ خَيْرُ جِهَادِ
وما هِيَ إلَّا دارُ لَهْوٍ وفِتْنَةٍ ... وإنَّ قُصَارَى أَهْلِها لِنَفَادِ

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ (البقرة: 201).



(1) السُّهاد ـ بالضَّمِّ ـ: الأَرَق.

21 وَسْوَسَةُ الشَّياطينَ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ، حديثي معكمْ ـ أيُّها النَّاسُ ـ عَنْ وَسْوَسَةِ الشَّياطينِ.

أيُّها النَّاسُ، إنَّ لله حِكْمةً عظيمةً في تسليطِ الجِنِّ على المُؤْمنين، فمِنْها ابْتِلَاءُ المُؤْمنين؛ ليظهَرَ الخبيثُ مِنَ الطَّيِّبِ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ : ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ (آل عمران: 179).

قال العلَّامةُ **ابْنُ القَيِّمِ** رحمه الله: «فظهر أنَّ مِنْ بَعْضِ الحِكَمِ في خَلْقِ عَدُوِّ الله إخْرَاجُ خَبْءِ النَّفْسِ الخبيثةِ، الَّتي شرُّها وخُبْثُها كامِنٌ فيها، فأخرج خباها

بزِنادِ[1] دَعْوَتِهِ .... فكَمْ لَهُ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حِكَمٍ بالغةٍ، وآيةٍ ظاهرةٍ في خَلْقِ عَدُوِّهِ إبْليسَ!».

وَمِنْ حِكْمةِ اللهِ في تسليطِ الجِنِّ على المُؤْمنين إكمالُ مَرَاتِبِ العُبُوديَّةِ لعبادِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾** ﴾ (آل عمران: 142).

أَيُّها النَّاسُ، إنَّ ضَرَرَ الشَّيطانِ على الإنسانِ لَعَظيمٌ، فهو لا يزالُ يَطْمَعُ في بني آدَمَ؛ وما ذاك إلَّا لأنَّ الإنسانَ خُلِقَ خَلْقًا لا يتمالَكُ.

ففي «صحيح مسلمٍ»[2] مِنْ حديثِ أَنَسٍ ﷺ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**لَمَّا صَوَّرَ اللهُ آدَمَ في الجَنَّةِ، تَرَكَهُ ما شاء اللهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ؛ يَنْظُرُ ما هُوَ، فلمَّا رآهُ أَجْوَفَ؛ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لا يَتَمالَكُ**».

قال **المناوي** رحمه الله في «فيض القدير»[3]: «أَيْ: لا يَمْلِكُ نَفْسَهُ دفع الوَسْوَسَةِ عَنْهُ، ولا يتقوَّى بَعْضُهُ ببعضٍ، ولا يكونُ لَهُ قُوَّةٌ وثَبَاتٌ، بَلْ يكونُ مُتَزَلْزِلَ الأَمْرِ، مُتَغَيِّرَ الحالِ، مُضْطَرِبَ القالِ، مُعرَّضًا للآفاتِ، والتَّمالُكُ: التماسُكُ، أو لا يتماسَكُ عَمَّا يَسُدُّ جَوْفَهُ، ويجعل فيه أنواع الشَّهَواتِ الدَّاعيةِ إلى العُقُوبةِ، فكان الأَمْرُ كما ظَنَّهُ».

أَيُّها النَّاسُ، إنَّ الشَّيطانَ لَحَريصٌ على هَلاكِ بني آدَمَ بالوَسْوَسَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - حاكيًا عَنْ إبليسَ قَولَهُ: ﴿ **قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾** ﴾ (الإسراء: 62).

---

(1) الزِّناد: جَمْعُ زَنْدٍ - بالفتح -، وهو العُودُ الَّذي يُقْدَحُ به النَّارُ.

(2) رواه مسلم (2611).

(3) «فيض القدير» (5/ 297).

وقَالَ - سُبْحَانَهُ - حاكيًا عَنْه أنَّه قال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ (الأعراف: 16-17).

وقَالَ ٱللَّهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَى - حاكيًا عَنْه أنَّه قال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر: 39-40).

وقَالَ ٱللَّهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَى - حاكيًا عَنْه أنَّه قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (ص: 82-83).

وقَالَ ٱللَّهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَى - مُحذِّرًا إيَّانا مِنْ كَيْدِ الشَّيطانِ: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ (النساء: 60).

وأخبرنا ربُّنا - سُبْحَانَهُ وتَعَالَى - : أنَّ الشَّيطانَ تحقَّق لَهُ مُرادُهُ في إضلالِ كثيرٍ مِنَ النَّاسِ قَبْلَنا، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (يس: 62).

وفي «صحيح مسلم»[1] مِنْ حديثِ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**قال اللهُ: إنِّي خَلَقْتُ عِبادي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وإنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّياطينُ، فاجْتالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ ما أَحْلَلْتُ لَـهُمْ، وأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بي ما لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطانًا**».

أَيُّها النَّاسُ، إنَّ الوَسْوَسَةَ أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ، وهي مَبْدَأُ الكُفْرِ والشِّرْكِ والمَعَاصي، واللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَى - أَمَرَنا بالاستعاذةِ مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ.

قال ٱللَّهُ - تبارك وتعالى - : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ (الناس: 1-6).

---

(1) رواه مُسْلم (2865).

قال العلَّامةُ **ابْنُ القَيِّمِ** رَحِمَهُ اللهُ: «وَلَمْ يَقُلْ: مِنْ شَرِّ وَسْوَسَتِهِ؛ لتعُمَّ الاستعاذةُ شَرَّهُ جَمِيعَهُ، فإنَّ قولَهُ ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾: يَعُمُّ كُلَّ شَرِّهِ، ووَصَفَهُ بأعظمِ صِفَاتِهِ، وأَشَدِّها شَرًّا، وأَقْواها تَأثيرًا، وأَعَمِّها فسادًا، وهي الوَسْوَسَةُ الَّتي هي مبادئُ الإرادةِ .... فأصْلُ كُلِّ معصيةٍ وبَلَاءٍ إنَّما هُوَ الوَسْوَسَةُ؛ فلهذا وَصَفَهُ بها؛ لتكونَ الاستعاذةُ مِنْ شَرِّها أَهَمَّ مِنْ كُلِّ مُسْتعاذٍ مِنْهُ، وإلَّا فَشَرُّهُ بغَيْرِ الوَسْوَسَةِ حاصِلٌ ـ أَيْضًا ـ»[1].

لكِنْ كَيْفَ بِدَايةُ الوَسْوَسةِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ ؟.

أَوَّلُ الوَسْوَسةِ يكونُ خواطرَ، إذا لمْ تُطْرَدْ مِنَ البدايةِ، استقرَّتْ وتمكَّنتْ.

وَقَدْ أَرْشَدَنا النَّبيُّ ﷺ إلى عِلَاجِ الوَسْوَسَةِ مِنْ أَوَّلها.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[2] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**يَأْتِي الشَّيطانُ أَحَدَكُمْ، فيقولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟، مَنْ خَلَقَ كَذَا؟، حتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ ربَّكَ؟، فإذا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ باللهِ وَلْيَنْتَهِ**».

قال الإمامُ **النَّوويُّ** رَحِمَهُ اللهُ: (وأمَّا قَوْلُهُ ﷺ «**فَلْيَسْتَعِذْ باللهِ وَلْيَنْتَهِ**» فَمَعْنَاهُ: إذا عَرَضَ لَهُ هذا الوسواسُ، فَلْيَلْجَأْ إلى اللهِ ـ تعالى ـ في دَفْعِ شَرِّهِ عَنْهُ، وَلْيُعْرِضْ عَنِ الفِكْرِ في ذلك، ولْيَعْلَمْ أنَّ هذا الخاطرَ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطانِ، وهُوَ إنَّما يَسْعَى بالفَسَادِ والإغواءِ؛ فَلْيُعْرِضْ عَنِ الإصغاءِ إلى وَسْوَسَتِهِ، وَلْيُبَادِرْ إلى قَطْعِها بالاشتغالِ بغَيْرِها)[3].

ويقولُ العلَّامةُ **ابْنُ القَيِّمِ** رَحِمَهُ اللهُ: «واعْلَمْ أنَّ الخَطَراتِ والوَسَاوِسَ تُؤَدِّي مُتعلّقاتها إلى الفِكْرِ، فيأخذُها الفِكْرُ، فيُؤَدِّيها إلى التَّذَكُّر، فيأخذُها الذِّكْرُ، فيؤدِّيها إلى

---

(1) «بدائع التَّفسير» لابْنِ القَيِّمِ (5/ 552 ـ 553).

(2) رواه البخاريُّ (3276) ـ واللَّفْظُ لَهُ ـ، ومسلم (134).

(3) «شرح النَّوويِّ على صَحِيحِ مُسْلمٍ» (2/ 233).

الإرادةِ، فتأخذُها الإرادةُ، فتُؤَدِّيها إلى الجَوَارحِ والعَمَلِ، فتستحكِمُ فتصيرُ عادةً، فردُّها مِنْ مَبَادِئها أَسْهَلُ مِنْ قَطْعِها بَعْدَ قُوَّتِها وتمامِها»[1].

أيُّها النَّاسُ، بَعْدَ أَنْ تتمكَّنَ الوَسَاوِسُ في نَفْسِ صاحِبِها، فهو ما يُسَمَّى في عُرْفِ الأَطَّباءِ بالوَسْوَاسِ القَهْرِيِّ، فأَصْلُ الوَسْوَاسِ المُسَمَّى بالقَهْرِيِّ مِنَ الشَّيْطانِ، كما يقولُ عُلَماؤُنا، فَقَدْ يكونُ المُوَسْوَسُ إليه مُصابًا بالمسِّ، أَوِ السِّحْرِ، وقدْ يَكُونُ مِنْ إلقاءِ الشَّيْطانِ على النَّفْسِ، ولكنَّ جُهَّالَ الأَطِبَّاءِ لا يُسَلِّمُون بدُخُولِ الجِنِّ في أَبْدَانِ الإنْسِ، والتَّأْثِيرِ عليها، فَمِنْ قَهْرِيَّةِ الجِنِّ للإنْسِ أَنْ يُكَرِّهَ لَهُ أَباه أمه زوجَه، ويُكَرِّهَ لَهُ الاختلاطَ بالنَّاسِ، يُرْغِمُهُ على كَسْرِ النَّوافِذِ، وكُلِّ ما حَوْلَهُ، يُرْغِمُهُ على قَوْلِ ما لا يَليقُ بِهِ، وَمِنْ رَحْمَةِ الله بعبادِهِ أنْ رَفَعَ القَلَمَ عَمَّنْ هذا حالُهُ، حتَّى يَعْقِلَ وَيَعُودَ إلى رُشْدِهِ.

ففي «سُنَنِ أبي داوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «الإرواء»[2] مِنْ حديثِ عليِّ بْنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ قال: «**رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثَلَاثةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ المَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ**».

أيُّها النَّاسُ، هُناك أَسْبَابٌ يَتَوصَّلُ مِنْ خِلَالِها الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ إلى الوَسْوَسَةِ وأَذَاةِ المُسلمينَ، فَمِنْ تِلْكَ الأسبابِ ما يَأْتي:

السَّبَبُ الأَوَّلُ ـ الغَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِ الله:

أيُّها النَّاسُ، إنَّ مِنْ أَعْظَمِ أسبابِ وَسْوَسَةِ الشَّيْطانِ هُوَ الغَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِ الله.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف: 36-37).

---

(1) «الفوائد» لابْنِ القيِّم (ص269).

(2) «صَحِيحٌ»: أخرجه أبو داوُدَ (4403)، وصحَّحه الأَلْبانيُّ في «الإرواء» (2/ 5-6).

قال شيخُ الإسلامِ **ابْنُ تَيْمِيَّةَ** رحمه الله: «والشَّيْطَانُ وَسْوَاسٌ خَنَّاسٌ، إذا ذَكَرَ العَبْدُ ربَّهُ خَنَسَ، فإذا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ وَسْوَسَ؛ فلهذا كان تَرْكُ ذِكْرِ الله سَبَبًا ومَبْدَأً لنُزُولِ الاعتقادِ الباطلِ، والإرادةِ الفاسدةِ في القَلْبِ، وَمِنْ ذِكْرِ الله ـ تعالى ـ تِلَاوَةُ كتابِهِ وفَهْمُهُ»[1].

وقال ـ أيضًا ـ: «فإنَّ الشَّيطانَ إنَّما يَمْنَعُهُمْ مِنَ الدُّخُولِ إلى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ ما فِيهِ مِنْ ذِكْرِ الله، الَّذي أَرْسَلَ به رُسُلَهُ، فإذا خَلَا مِنْ ذلك، تَوَلَّاهُ الشَّيْطَانُ»[2].

السَّبَبُ الثَّاني ـ رُؤْيَةُ الجِنِّ لنا، ولا نَرَاهُمْ غَالبًا:

أَيُّها النَّاسُ، إنَّ مِنْ أسبابِ إيذاءِ الجنِّ والشَّياطينِ لنا رُؤْيَتُهُمْ لنا مِنْ حَيْثُ لا نَرَاهُمْ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف: 27).

فالضَّميرُ في قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ﴾ عائدٌ على إبليسَ، ومَعْنى: ﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ ذُرِّيَّتُهُ ونَسْلُهُ.

السَّبَبُ الثَّالثُ ـ الإِبْتِلَاءُ والامتحانُ:

أَيُّها النَّاسُ، لله حِكْمةٌ فيما يُقَدِّرُهُ ويَقْضِيهِ على عَبْدِهِ مِنْ تَسْلِيطِ الجنِّ والشَّياطينِ، ليَجْعَلَهُ مُنْطَرِحًا بَيْنَ يَدَيْهِ، لائذًا بجَنَابِهِ، وهذا كثيرًا ما يَحْصُلُ للأنبياءِ والمرسلين، وعِبَادِ الله المُتَّقينَ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ (ص: 41-42).

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

---

(1) «مجموع الفتاوى» (4/ 34).

(2) المرجع السابق (10/ 399).

الخُطْبةُ الثَّانيةُ ـ التَّحْصيناتُ الإيمانيَّةُ :

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أمَّا بَعْدُ، تقدَّم الحديثُ معكمْ ـ أيُّها النَّاسُ ـ عَنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطانِ، والآنَ سأَذْكُرُ شيئًا مِنَ التَّحْصِيناتِ الإيمانَّيةِ مِنَ الوَسَاوِسِ الشَّيطانيَّةِ، فَمِنْ تِلْكَ التَّحْصيناتِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ الاستعاذةُ بالله مِنَ الشّيْطانِ الرَّجِيمِ، وذلك في مَوَاطِنَ، منها:

ـ عِنْدَ الإحساسِ بنَزَغاتِ الشَّيطانِ ووساوِسِهِ، قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ (الأعراف: 200).

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: **«يَأْتِي الشَّيطانُ أَحَدَكُمْ، فيقولُ: مَنْ خَلَق كَذَا؟، مَنْ خَلَقَ كَذَا؟، حتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ ربَّكَ؟، فإذا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بالله وَلْيَنْتَهِ»**.

قال العلَّامةُ **ابْنُ عُثَيْمين** رحمه الله: «أنَّ أعظمَ دواءٍ تُدَاوَى به الوَسْوَسَةُ ما أرشدَ إليه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، وهي الاستعاذةُ بالله مِنَ الشَّيْطان الرَّجيم، والانتهاءُ عنها، والاعراضُ عنها، مَعَ قِرَاءةِ الآياتِ الَّتي فيها الإشارةُ إلى ذلك، مثل: سُورةِ الفَلَقِ، وسُورةِ النَّاسِ»[2].

ـ وَعِنْدَ تِلَاوةِ القُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (النحل: 98).

---

(1) رواه البخاريُّ (3276) ـ واللَّفْظُ لَهُ ـ، ومسلم (134).

(2) عن كتاب «الوسوسة وأحكامها» (ص417).

ـ عِنْدَ دُخُولِ الخَلَاءِ، ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ أَنَسٍ ﷺ قال: كان النَّبيُّ ﷺ إذا دَخَلَ الخَلَاءَ، قال: «**اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بك مِنَ الخُبُثِ والخَبَائِثِ**».

قال الحافظُ **ابْنُ حَجَرٍ** ﷺ: «الخُبُثُ: جَمْعُ خَبِيثٍ، والخَبَائِثُ: جَمْعُ خَبِيثةٍ، يُرِيدُ: ذُكْرَانَ الشياطينِ وإناثَهُمْ»[2].

ـ وفي الصَّلاةِ، ففي «صحيح مسلم»[3] مِنْ حديثِ عُثْمانَ بْنِ أبي العَاصِ ﷺ قال: قُلْتُ: يا رسولَ الله، إنَّ الشَّيْطَانَ حَالَ بَيْني وبَيْنَ صَلاتي وقراءتي، يَلْبِسُها عليَّ. فقال: «**ذاك شَيْطَانٌ، يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فإذا أَحْسَسْتَهُ، فتعوَّذْ بالله مِنْهُ، واتْفِلْ على يَسَارِكَ ثَلَاثًا**». قال: فَفَعَلْتُ ذلك؛ فأذهبه اللهُ عنِّي.

وَمِنَ التَّحْصِيناتِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطانِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ لُزُومُ الأَذْكارِ الشَّرْعيَّةِ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: 152).

وفي «مسند أحمدَ»، و«سُننِ التِّرْمِذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح التِّرْمذيِّ»[4] مِنْ حديثِ الحارثِ الأَشْعَرِيِّ ﷺ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا ﵇ بخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وأَنْ يَأْمُرَ بني إِسْرَائيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ...، وأَمَرَكُمْ بذِكْرِ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ كثيرًا، وإنَّ مَثَلَ ذلك كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ العَدُوُّ مُسْرِعًا في أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا، فتحصَّنَ فِيهِ، وإنَّ العَبْدَ أَحْصَنُ ما يكونُ مِنَ الشَّيْطانِ إذا كان في ذِكْرِ الله ـ عزَّ وجلَّ**».

---

(1) رواه البخاريُّ (142)، ومسلم (375).

(2) «الفتح» (1/ 243).

(3) رواه مسلم (2203).

(4) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (4/ 130) ـ واللَّفظُ لَهُ ـ، والتِّرمِذيُّ (3035)، وصحَّحه الأَلْبانيُّ في «المشكاة» (3694)، و«صَحِيح التِّرْمذيِّ» (2298).

وَمِنَ التَّحْصيناتِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ المُحافظةُ على قِرَاءةِ آيةِ الكُرْسِيِّ، فَقَدْ عَلِمَ الجِنُّ والشَّياطينُ عَظَمةَ هذِهِ الآيةِ.

ففي «صحيحِ البُخاريِّ»[1] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: وكَّلني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحِفْظِ زكاةِ رَمَضَانَ، فأتاني آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعامِ، فَأَخَذْتُهُ وقُلْتُ: لأَرْفعَنَّكَ إلى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم (فذكَرَ الحدِيثَ) فقال: دَعْني أُعَلِّمْكَ كلماتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بها. قُلْتُ: ما هُنَّ؟. قال: إذا أَوَيْتَ إلى فِراشِكَ، فاقْرَأْ آيةَ الكُرْسيِّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾(البقرة: 255)، حتَّى تَخْتِمَ الآيةَ؛ فإنَّهُ لَنْ يَزَالَ عليك مِنَ الله حافظٌ، ولا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطانٌ حَتَّى تُصبِحَ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**صَدَقَكَ وهُوَ كَذُوبٌ، ذاك شَيْطانٌ**».

وَمِنَ التَّحْصيناتِ الشَّرْعيَّةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ قِراءَةُ المُعَوِّذَتَيْنِ: الفَلَقِ، والنَّاسِ؛ فما تعوَّذَ المُتَعوِّذون بمِثْلِهِما.

ففي «صحيحِ مسلمٍ»[2] مِنْ حديثِ عُقْبَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**أَلَمْ تَرَ آياتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ، لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟**، ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴾ (الفلق: 1)، و ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ (الناس: 1)».

وجاء مِنْ طُرُقٍ عَنْ عُقْبَةَ بلَفْظ: «**ما سَأَلَ سائِلٌ، ولا استعاذَ مُسْتعِيذٌ بِمِثْلِهِنَّ**».

أَيُّها النَّاسُ، قَبْلَ أنْ أُوَدِّعَ مقامي هذا أُذَكِّرُكُمْ بطريقةٍ هي مِنْ أَعْظَمِ الطُّرُقِ للخَلَاصِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطانِ، أَلَا وهِي مُجاهدةُ النَّفْسِ.

---

(1) رواه البخاريُّ (2311).

(2) رواه مسلم (814).

واللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ يقولُ: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: 69).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ (الحج: 78).

وفي «مسند الإمامِ أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألْبانيُّ في «الصَّحيحة»[1] مِنْ حديثِ فَضَالةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**المُجاهِدُ مَنْ جاهد نَفْسَهُ في طاعةِ الله**».

وأخرج أبو نعيمٍ في «الحلية» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألْبانيُّ في «الصَّحيحة»[2] مِنْ حديثِ أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**أَفْضَلُ الجهادِ أنْ تُجَاهِدَ نَفْسَكَ في ذاتِ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ**».

وقال العلَّامةُ **ابْنُ القَيِّمِ** في كتابِهِ «الفوائد» عِنْدَ قولِهِ ـ تعالى ـ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (العنكبوت: 69): «علَّقَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ الهِدَايةَ بالجهادِ؛ فأكملُ النَّاسِ هِدَايةً أَعْظَمُهُمْ جهادًا، وأفْرَضُ الجِهَادِ جهادُ النَّفْسِ، وَجِهادُ الهَدَى، وَجِهادُ الشَّيْطَانِ، وَجِهَادُ الدُّنْيا، فَمَنْ جاهَدَ هذِهِ الأَرْبَعَةَ في الله، هَدَاهُ اللهُ سُبُلَ رِضَاهُ المُوصِّلَةُ إلى جنَّتِهِ، وَمَنْ تَرَكَ الجِهَادَ، فاتَهُ مِنَ الهُدَى بحَسَبِ ما عَطَّلَ مِنَ الجِهَادِ»[3].

اللّهُمَّ أَلْهِمْنا رُشْدَنا، ووفِّقْنا لكُلِّ خَيْرٍ، اللّهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بك مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنا، وشَرِّ الشَّيْطانِ وَشِرْكِهِ، اللّهُمَّ أَعِنَّا على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (6/ 21)، وصححه الألْبانيُّ في «الصَّحِيحة» (549).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (2/ 249)، وصححه الألْبانيُّ في «الصَّحِيحة» (1496).

(3) «الفوائد» (ص177).

22 شُكْرُ النِّعَمِ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ، حديثي معكمْ ـ أيُّها النَّاسُ ـ عَنْ شُكْرِ النِّعَمِ.

أيُّها النَّاسُ، إنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ أَمَرَنا بشُكْرِهِ عِنْدَما قال: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (البقرة: 152).

وقال ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (النحل: 114).

وقال ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (العنكبوت: 17).

ورتَّبَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ الزِّيادةَ مِنَ الخَيْرِ لِمَنْ شَكَرَ، وَوَعَدَ بذلك عِبادَهُ بقولِهِ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم: 7).

وأشار ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ إلى ما يُذَكِّرُ بالشُّكْرِ والثَّناءِ مِنَ العَبْدِ لربِّه بقَوْلِهِ: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الذاريات: 21).

أَيُّها النَّاسُ، إنَّنَا لَوْ نَظَرْنا في عالَمِ هذا الإنسانِ الُمكَرَّمِ، وما وَهَبَهُ خالقُهُ ومَيَّزَهُ بِهِ عَنْ سائرِ الخَلْقِ، وخَصَّهُ بكثيرٍ مِنْ آلائِهِ الَّتي لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى ـ لَوَجَدْنا نِعمًا عظيمةً لا يُحاطُ بها، وصدق ربُّنا القائلُ: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النحل: 18).

وقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (إبراهيم: 33-34).

وقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (لقمان: 20).

أَيُّها النَّاسُ، أُذَكِّرُكُمْ ببَعْضِ نِعَمِ اللهِ مِنْ بابِ الذِّكْرَى؛ امتثالًا لأَمْرِ اللهِ القائلِ: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (الذاريات: 55).

أَيُّها النَّاسُ، نِعَمُ اللهِ علينا لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، فمنها:

أوَّلاً ـ نِعْمَةُ الإسلامِ:

وَنِعْمَةُ الإسلامِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ هي أَجَلُّ النِّعَمِ وأَعْظَمُها على الإطلاقِ، إنَّها نِعْمةٌ وأيُّ نِعْمَةٍ؟!.

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (يونس: 58).

إنَّها أَوَّلُ النِّعَمِ وخاتِمَتُها، لا تُضَاهِيها نِعْمَةٌ.

ففي «الصَّحيحين»[1] عَنْ طارقِ بْنِ شِهَابٍ قال: «قال رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ لِعُمَرَ: يا أميرَ المؤمنينَ، لوْ أنَّ علينا نزلتْ هذِهِ الآيَةَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: 3)، ـ لاتَّخَذْنا ذلك اليَوْمَ عِيدًا. فقال عُمَرُ: إنيِّ لَأَعْلَمُ أيَّ يَوْمٍ نَزَلَتْ هذِهِ الآيةُ، نَزَلَتْ يَوْمَ عَرَفَةَ، في يَوْمِ جُمُعَةٍ».

قال الإمامُ **ابْنُ القيِّم** رحمه الله: «فالنِّعْمَةُ المُطْلَقةُ هي المُتَّصِلَةُ بسَعَادةِ الأَبَدِ، وهي نِعْمَةُ الإسلامِ والسُّنَّةِ»[2].

ثانيًا ـ نِعْمَةُ الإيمانِ:

ونِعْمَةُ الإيمانِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ تَأْتي في المَرْتَبَةِ الثَّانيةِ بَعْدَ الإسلامِ، وهُمَا واسطةُ العِقْدِ[3]، نِعْمتَانِ عظيمتانِ مَنْ نالهما نال الخَيْرَ كُلَّهُ، عاجِلَهُ وآجِلَهُ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ (الكهف: 107-108).

ثالثًا ـ نِعْمَةُ الأَمْنِ:

والأَمْنُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ هُوَ طُمَأْنينةُ النَّفْسِ، وزوالُ الخَوْفِ، وهو مِنْ نِعَمِ الله العظيمة، يَمْتَنُّ بها على عبادِهِ، حيثُ يشعر فيها الإنسانُ بلَذَّةِ الدُّنيا والنِّعَمِ الَّتي فيها؛ لأنَّ الخائفَ لا يَذُوقُ طَعْمَ النِّعمةِ: لا في مالٍ، ولا في صحَّةٍ، ولا في غيرِ ذلك؛ لذا كان الأَمْنُ نعمةً عظيمةً، والخوفُ بلاءً عظيمًا.

---

(1) رواه البخاريُّ (7268)، ومسلم (3017).

(2) «اجتماع الجيوش الإسلاميَّة» (ص3).

(3) واسطة العِقْدِ: الجَوْهَرَةُ الفاخرةَ الَّتي تُجْعَلُ وَسَطَهُ.

فهذا إبراهيمُ الخليلُ ـ عليه وعلى نبيِّنا الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ لَمَّا شعر بقيمةِ الأَمْنِ، دعا ربَّهُ أنْ يَجْعَلَ البَلَدَ الَّذي ترك فيه ابْنَهُ إسماعيلَ وزَوْجَهُ هاجَرَ ـ آمنًا مُطمئنًا.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ (البقرة: 126).

فاستجاب ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ دَعْوَةَ إبراهيمَ، ولهذا امتنَّ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ على قُرَيشٍ بهذه النِّعمةِ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ (العنكبوت: 67).

وقَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ٢ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ (قريش: 1-4).

قال **ابْنُ سَعْديٍّ** رحمه الله: «فَرَغَدُ العَيْشِ والأَمْنُ مِنَ المخاوفِ مِنْ أكبرِ النِّعمِ الدُّنيويَّةِ، المُوجبةِ لشُكْرِ الله ـ تعالى ـ»[1].

وكذلك نجدُ أنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ امتنَّ على سَبَإٍ بنعمةِ الأَمْنِ، فكانوا يسيرون بَيْنَ قُراهم ليالِيَ وأَيَّامًا آمنينَ.

قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨ ﴾ (سبأ: 18).

وذكر الله ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ عَنْ أصحابِ الحِجْرِ أنَّهم كانوا يعيشون في أَمْنٍ وأمانٍ.

قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ٨٠ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ٨١ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ٨٢ ﴾ (الحجر: 80-82).

(1) «تفسير ابْنِ سَعْديٍّ» (ص935).

أيُّها النَّاسُ، علينا أَنْ نُحافِظَ على نِعَمِ الله بالإيمانِ به، والاستقامةِ على شَرْعِهِ، والاهتداءِ بهَدْيِ نبيِّهِ ﷺ، كما علينا أنْ نُحافِظَ على نِعْمةِ الأَمْنِ، قَبْلَ أنْ تُنْزَعَ مِنَّا، ولاتَ حِينَ مَنَاصٍ، فإنَّ قُرَيشًا لَمَّا كفروا بالله ـ سُبْحَانَهُ ـ، وكذَّبوا نبيَّهُ ﷺ أَبْدَلهُمُ اللهُ بسببِ كُفْرِهِمْ بذلك الأَمْنِ خَوْفًا.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۝١١٢﴾ (النحل: 112).

وكذلك قومُ سَبَإٍ، فإنَّهم لَمَّا أعرضوا عَنِ المُنْعِمِ، وعَنْ عبادتِهِ، وبطروا النِّعْمةَ وقلُّوها ـ جزاهم اللهُ بكُفْرِهم جزاءً وِفاقًا، فَهلْ مِنْ مُعْتبرٍ؟.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ (سبأ: 16-17).

رابعًا ـ نِعْمةُ الصِّحَّةِ والفراغِ:

وَمِنْ نِعَمِ اللهِ العظيمةِ علينا ـ أيُّها النَّاسُ ـ نِعْمَةُ الصِّحَّةِ والفَراغِ، يقولُ الرَّسولَ ﷺ (كما في «صحيح البخاريِّ»[1] مِنْ حديثِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما): «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ[2] فيهما كثيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، والفَرَاغُ**».

---

(1) رواه البخاريُّ (6412).

(2) الغَبْن ـ بالسكون ـ: الوَكْسُ في البيع والشِّراء، والغَبَنُ ـ بالتَّحريكِ ـ: ضَعْفُ الرَّأْيِ، فيصحُّ كُلٌّ منهما هنا، فإنَّ مَنْ لم يستعملْ صحَّتَهُ وفراغَهُ فيما يَنْبغي فَقَدْ غُبِنَ؛ لكونه باعَهُما ببخْسٍ، ولم يُحْمَدْ رَأْيُهُ في ذلك.

قال **ابْنُ بطَّالٍ** رحمه الله: «مَعْنَى الحديثِ: أنَّ المَرْءَ لا يكونُ فارغًا حتَّى يكونَ مَكْفيًا صحيحَ البَدَنِ، فَمَنْ حَصَلَ لَهُ ذلك، فَلْيَحْرِصْ على أَلَّا يُغْبَنَ بأنْ يَتْرُكَ شُكْرَ الله على ما أَنْعَمَ به عليه، وَمِنْ شُكْرِهِ امتثالُ أوامرِهِ، واجتنابُ نواهيهِ، فَمَنْ فرَّط في ذلك فَهُوَ المَغْبُونُ، وأشار بقولِهِ: «**كثيرٌ مِنَ النَّاسِ**» إلى أنَّ الَّذي يُوَفَّقُ إلى ذلك قليلٌ».

وقال **ابْنُ الجَوْزيِّ** رحمه الله: «قَدْ يَكُونُ الإنسانُ صحيحًا، ولا يكونُ مُتفرِّغًا لشَغْلِهِ بالمعاشِ، وقدْ يكونُ مُسْتَغْنيًا، ولا يكونُ صحيحًا، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكَسَلُ عَنِ الطَّاعةِ فهو المَغْبُونُ، وتمامُ ذلك أنَّ الدُّنْيا مَزْرَعَةُ الآخرةِ، وفيها التِّجارةُ الَّتي يَظْهَرُ رِبْحها في الآخرةِ، فَمَنِ استعمل فراغَهُ وصحَّتَهُ في طاعةِ الله فَهُوَ المَغْبُوطُ، ومَنِ استعملهما في معصيةِ الله فَهُوَ المَغْبُونُ؛ لأنَّ الفراغَ يَعْقُبُهُ الشغلُ، والصِّحَّةَ يَعْقُبُها السَّقَمُ، ولَوْ لَمْ يَكُنْ إلَّا الهَرَمُ»[1].

أيُّها النَّاسُ، ها هُوَ الرَّسُولُ الكريمُ صلى الله عليه وسلم يَحُثُّنا على اغتنامِ الصِّحَّةِ والفراغِ، قبْلَ أَنْ يُدَاهِمَنا أسقامٌ وأَشغالٌ، أو يَنْزِلَ بنا ما لا بُدَّ مِنْهُ.

فَقَدْ أخرج الحاكمُ في «مستدركِهِ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[2] مِنْ حديثِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وصِحَّتِكَ قَبْلَ سقمِكَ، وفراغَكَ قَبْلَ شغلِكَ، وشبابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ**».

وها هُوَ ـ أَيْضًا ـ يَحُثُّنا على استغلالِ أَعْمَارِنا، وأَجْسَامِنا، وعِلْمِنا، ومالِنا ـ فيما يَنْفَعُنا يَوْمَ القيامةِ.

---

(1) «فتح الباري» (13/ 4).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (4/ 306)، وصَحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (1077).

ففي «سُنَنِ التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح الجامع»[1] مِنْ حديثِ أبي بَرْزَةَ الأَسْلَميِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تَزُولُ قَدَما عَبْدٍ يَوْمَ القيامةِ حتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فيمَ أَفْنَاهُ، وعَنْ عِلْمِهِ ما فعل فيه، وعَنْ مالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنفقهُ، وعَنْ جِسْمِهِ فيما أَبْلَاهُ**».

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ،

إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحيمُ.

الخُطْبةُ الثَّانيةُ ـ أهمِّيَّةُ الشُّكْرِ:

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمينَ، حَمْدًا يَلِيقُ بجلالِ وَجْهِهِ، وعظيمِ سُلْطانِهِ، أَحْمَدُهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ على آلائِهِ، وأَشْكُرُهُ على جَزِيلِ مَنِّهِ وعَطَائِهِ، والصَّلَاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم الَّذي بَلَّغَ الرِّسالةَ، وأدَّى الأمانةَ، ونصح الأُمَّةَ، وجاهد في اللهِ حقَّ جهادِهِ. حتَّى تركنا على المحجَّة البَيْضَاءِ ليلُها كنَهارِها، لا يزيغ عنها إلا هالكٌ.

أمَّا بَعْدُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ تقدَّم الحديثُ مَعَكُمْ عَنْ شُكْرِ النِّعَمِ، والآنَ حديثي مَعَكُمْ عَنْ أَهَمِّيَّةِ الشُّكْرِ.

أيُّها النَّاسُ، الشُّكْرُ هُوَ أَوَّلُ وصيَّةِ اللهِ للإنسانِ بَعْدَ ما عَقَلَ عَنْهُ، فأمره بالشُّكْرِ لَهُ وللوالدين، فقال: ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ١٤** ﴾ (لقمان: 14).

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه التِّرْمِذيُّ (2417)، وصَحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (7300).

وأخبر ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ بأنَّ رِضاهُ في شُكْرِهِ: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (الزمر: 7).

وجعل الشُّكْرَ غايةً للعبادِ، فقال ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: 52).

وأَمَرَنا بالشُّكْرِ لإثباتِ العُبُوديَّة له، فقال ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَاشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ (البقرة: 172).

ومَدَحَ عَبْدَهُ ورسولَهُ نُوحًا ـ عليه وعلى نبيِّنا ـ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ بقولِهِ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ (الإسراء: 3).

وأثنى على خَلِيلِهِ إبراهيمَ عليه وعلى نبيِّنا ـ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ بقولِهِ: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ (النحل: 120–121).

وقال ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ حاكيًا عَنْ نبيِّه سُلَيمانَ ـ عليه وعلى نبيِّنا ـ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ (النمل: 19).

وقال ـ سُبْحَانَهُ ـ عَنْ آلِ دَاوُدَ: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (سبأ: 13).

وامْتَنَّ اللهُ على الشَّاكرين بقولِهِ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ (الأنعام: 53).

وقال ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران: 145).

وبيَّن أنَّ الزِّيادةَ في الإيمانِ والنِّعَمِ مُرْتبطةٌ بالشُّكْرِ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (إبراهيم: 7).

وأخبر ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أنَّ الكُفْرَ ضِدُّ الشُّكْرِ، فحذَّر منه بقولِهِ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (البقرة: 152).

وبيَّن أنَّه لا يُعَذِّبُ الشاكرين المُؤْمنين، حيثُ قال: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ (النساء: 147).

وجعل اللهُ النَّاسَ قِسْمَيْنِ، لا ثالثَ لَهُما: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (الإنسان: 3).

وذمَّ اللهُ ـ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ الكَنُودَ الَّذي لا يَشْكُرُ النِّعَمَ، فقال ـ سُبْحَٰنَهُۥ ـ: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ (العاديات: 6).

والكَنُودُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ كما قال **الحَسَنُ البَصْرِيُّ** رحمه الله: «هُوَ الَّذي يُعَدِّدُ المَصَائِبَ، ويَنْسَى النِّعَمَ»[1].

ويَكْفي في أَهَمِّيَّةِ الشُّكْرِ، وعظيمِ شَأْنِهِ أَنَّهُ مِنْ أسمائِهِ وصِفَاتِهِ ـ جَلَّ شَأْنُهُ ـ الشَّكُورُ، قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ (النساء: 147).

ولأهمِّيَّةِ الشُّكْرِ، وعظيمِ مَنْزِلَتِهِ حَرَصَ إبْلِيسُ ـ لَعَنَهُ اللهُ ـ على قَطْعِ النَّاسِ عَنْهُ، كما أخبر اللهُ ـ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ عنه: ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ (الأعراف: 17).

أَيُّها النَّاسُ، قَبْلَ أنْ أودِّعَ مقامي هذا، أُذَكِّرُكُمْ بقَوْلِ الله ـ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ: ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ (لقمان: 12).

اللَّهُمَّ أعِنَّا على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسْنِ عِبَادَتِكَ، اللَّهُمَّ ارْزُقنا قَلْبًا شاكرًا، وبَدَنًا صابرًا، ولسانًا ذاكرًا، إنَّك جَوَادٌ كَريمٌ.

---

(1) «عُدَّة الصَّابرين» لابْنِ القَيِّم (ص124).

23 حُسْنُ الخاتمة(*)

الخُطْبةُ الأُولى:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ، فحديثي معكمُ اليَوْمَ - أيُّها النَّاسُ - عَنْ حُسْنُ الخاتمةِ.

وحُسْنُ الخاتمةِ هُوَ: أنْ يُوَفَّقَ العَبْدُ قَبْلَ موتِهِ للابتعادِ عمَّا يُغْضِبُ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ، والتَّوبةِ مِنَ الذُّنُوبِ والمعاصي، والإقبالِ على الطاعةِ وأعمالِ الخَيْرِ، ثُمَّ يَكُونَ مَوْتُهُ بَعْدَ ذلك على هذِهِ الحالِ الحسنةِ، وممَّا يَدُلُّ على هذا المَعْنَى ما جاء في «سُنَنِ التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «صحيح التِّرْمذِيِّ»[1] مِنْ حديثِ

(*) انظر «أحكام الجنائز» للألبانيِّ، و«علامات حُسْن الخاتمة وسوء الخاتمة» للشَّائع.

(1) «صَحِيحٌ»: أخرجه التِّرمذيُّ (2142)، وصححه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح التِّرْمذيِّ» (1741).

أَنَسِ بْنِ مالكٍ ﵁ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ إذا أراد بعَبْدٍ خيرًا استعمله**». فقيل: كيف يَسْتَعْمِلُهُ يا رسولَ الله؟. قال: «**يُوَفِّقُهُ لعملٍ صالحٍ قَبْلَ المَوْتِ**».

أيُّها النَّاسُ، إنَّ لِحُسْنِ الخاتمةِ علاماتٍ: منها ما يَعْرِفُهُ العَبْدُ المُحْتَضَرُ عِنْدَ احتضارِهِ، ومنها ما يَظْهَرُ للنَّاسُ.

أمَّا العلاماتُ الَّتي تظهرُ للعَبْدِ مِنْ حُسْنِ الخاتمةِ فهي:

ما يُبَشَّرُ به عِنْدَ مَوْتِهِ مِنْ رِضا الله ـ تعالى ـ ، واستحقاقِ كرامتِهِ تفضُّلًا مِنْهُ. قَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ (فصلت: 30).

قال **ابْنُ سَعْديٍّ** ﵀: « ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ**﴾ أَيِ: اعترفوا ونطقوا، ورضُوا برُبُوبيَّةِ الله ـ تعالى ـ ، واستسلموا لأَمْرِهِ، ثُمَّ استقاموا على الصِّراطِ المُسْتقيمِ عِلْمًا وعملًا، فلهمُ البُشْرَى في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرةِ، ﴿**ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ**﴾ الكرام، أَيْ: يتكرَّرُ نُزُولُهم عليهم مُبَشِّرين لهم عِنْدَ الاحتضارِ، ﴿**أَلَّا تَخَافُواْ**﴾ على ما يُستقبلُ مِنْ أَمْرِكُمْ، ﴿**وَلَا تَحْزَنُواْ**﴾ على ما مَضَى، فَنَفَوْا عنهمُ المكروهَ الماضي والمُستقبلَ، ﴿**وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ فإنَّها قَدْ وَجَبَتْ لكم وثَبَتَتْ، وكان وَعْدُ الله مفعولًا»[1].

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[2] مِنْ حديثِ عائِشَةَ ﵂ قالتْ: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ لقاءَ الله، أحبَّ اللهُ لقاءَهُ، ومَنْ كَرِهَ لقاءَ الله كَرِهَ اللهُ لقاءَهُ**». فقلتُ: يا نبيَّ الله، أَكَراهِيَةُ المَوْتِ؟ فكُلُّنا نَكْرَهُ المَوْتَ. فقال: «**لَيْسَ كذلك، ولكِنَّ المُؤْمِنَ إذا بُشِّرَ**

(1) «تفسير السَّعْديِّ» (ص748).

(2) رواه البخاريُّ (6507)، ومسلم (2684)، واللَّفْظُ لَهُ.

برَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وجنَّتِهِ، أحبَّ لقاءَ اللهِ، وإنَّ الكافِرَ إذا بُشِّرَ بعذابِ اللهِ وسَخَطِهِ، كَرِهَ لقاءَ اللهِ، وكَرِهَ اللهُ لقاءَهُ».

قال **النَّوويُّ** رحمه الله: «مَعْنَى الحديث: أنَّ الكراهةَ المُعْتَبرةَ هي الَّتي تكونُ عِنْدَ النَّزْعِ في حالةٍ لا تقبل توبته ولا غيرها، فحينئذٍ يُبَشَّرُ كُلُّ إنسانٍ بما هُوَ صائرٌ إليه، وما أُعِدَّ لَهُ ويُكْشَفُ لَهُ عَنْ ذلك»[1].

أيُّها النَّاسُ، تِلْكَ ما يَعْرِفُهُ العَبْدُ المُحْتَضَرُ عِنْدَ احتضارِهِ مِنْ علاماتِ حُسْنِ الخاتمةِ.

وأمَّا علاماتُ حُسْنِ الخاتمةِ الَّتي تظهرُ للناسِ فهي كَثِيرةٌ، ونَحْنُ نُورِدُ بَعْضًا منها:

ـ فَمِنْ علاماتِ حُسْنِ الخاتمةِ النُّطْقُ بالشَّهادةِ عِنْدَ المَوْتِ.

ففي «مُستدرك الحاكمِ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحة»[2] مِنْ حديثِ معاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ كان آخِر كلامِهِ لا إلهَ إلَّا اللهُ دَخَلَ الجنَّةَ**».

ـ وَمِنْ علاماتِ حُسْنِ الخاتمةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ المَوْتُ بِرَشْحِ الجَبِينِ (أَيْ: يكونُ على جَبِينه عَرَقٌ عِنْدَ المَوْتِ).

ففي «مسند أحمدَ»، و«سُنَنِ التِّرمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلْبانيُّ في «أحكام الجنائز»[3] مِنْ حديثِ بُرَيْدَةَ بْنِ الحُصَيْبِ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**مَوْتُ المُؤْمِنِ بعَرَقِ الجَبِينِ**».

---

(1) «شرح النَّوويِّ على صَحِيحِ مسلم» (تحت حديث 2683).

(2) «**حَسَنٌ**»: أخرجه أحمدُ (5/ 229)، وحَسَّنَه الألبانيُّ في «الصَّحِيحة» (2278).

(3) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (3575)، والتِّرْمذيُّ (2/ 128)، وصححه الأَلْبانيُّ في «أحكام الجنائز» (ص49).

ـ وَمِنْ علاماتِ حُسْنِ الخاتمةِ المَوْتُ لَيْلَةَ الجُمُعةِ، أَوْ نَهارِها.

ففي «مسند أحمدَ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألْبانيُّ في «صحيح الجامع»[1] مِنْ حديثِ ابْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ما مِنْ مسلمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الجُمُعةِ، أَوْ لَيْلَةَ الجُمُعةِ، إلَّا وقاهُ اللهُ فِتْنَةَ القَبْرِ»**.

ـ وَمِنْ علاماتِ حُسْنِ الخاتمةِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ الاستشهادُ في ساحةِ القِتالِ، أو مَوْتُهُ بمَرَضِ الطَّاعُونِ، أو بداءِ البَطْنِ: كالاستسقاءِ ونَحْوِهِ، أَوْ مَوْتُهُ غَرَقًا.

ففي «صحيح مسلمٍ»[2] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ما تَعُدُّونَ الشَّهيدَ فيكم؟»**. قالوا: يا رسولَ الله، مَنْ قُتِلَ في سبيلِ الله فهو شَهيدٌ. قال: **«إنَّ شُهَداءَ أُمَّتي ـ إذًا ـ لَقَليلٌ»**. قالوا: فَمَنْ هُمْ يا رسولَ الله؟. قال: **«مَنْ قُتِلَ في سبيلِ الله فَهُوَ شهيدٌ، ومَنْ مات في سبيلِ الله فَهُوَ شهيدٌ، ومَنْ مات في الطَّاعُونِ فَهُوَ شهيدٌ، ومَنْ مات في البَطْنِ فَهُوَ شهيدٌ، والغَرِيقُ شَهِيدٌ»**.

ـ وَمِنْ علاماتِ حُسْنِ الخاتمةِ المَوْتُ بسببِ الهَدْمِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[3] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«الشُّهَداءُ خَمْسةٌ: المَطْعُونُ، والمَبْطُونُ، والغَرِقُ، وصاحبُ الهَدْمِ، والشَّهِيدُ في سبيلِ الله»**.

ـ وَمِنْ علاماتِ حُسْنِ الخاتمةِ ـ وهُوَ خاصٌّ بالنِّساءِ ـ مَوْتُ المَرْأَةِ في نِفاسِها بسببِ وَلَدِها، أو هي حامِلٌ به.

(1) «حَسَنٌ»: أخرجه أحمدُ (6582)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (5773).
(2) رواه مسلم (1915).
(3) رواه البخاريُّ (2829)، ومسلم (1914).

ففي «مسند أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألْبانيُّ في «أحكام الجنائز»[1] مِنْ حديثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامتِ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ عاد عَبْدَ الله بْنَ رَوَاحَةَ، قال: فما تحوَّزَ لَهُ عَنْ فِراشِهِ، فقال: «**أَتَدْري مَنْ شُهَداءُ أُمَّتي؟**». قالوا: قَتْلُ المُسْلِمِ شَهادةٌ. قال: «**إنَّ شُهَداءَ أُمَّتي ـ إذًا ـ لَقَليلٌ، قَتْلُ المُسْلِمِ شَهادةٌ، والطَّاعُونُ شَهادةٌ، والمَرْأَةُ يَقْتُلُها وَلَدُها جَمْعاءَ شَهادةٌ (يجرُّها وَلَدُها بسَرَرِهِ إلى الجنَّةِ)**». يَعْني: بحَبْلِ المَشِيمةِ الَّذي يُقْطَعُ عَنْهُ.

ـ وَمِنْ علامةِ حُسْنِ الخاتمةِ المَوْتُ بالحَرْقِ، وذاتِ الجَنْبِ، وذاتُ الجَنْبِ: هُوَ وَرَمٌ حارٌّ في الغِشَاءِ المُسْتبطنِ للأَضْلاع.

ففي «مسند أحمدَ»، و«سُنَنِ أَبي داوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألْبانيُّ في «أحكام الجنائز»[2] مِنْ حديثِ جابرِ بْنِ عَتِيكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**الشُّهَداءُ سَبْعَةٌ سِوَى القَتْلِ في سبيلِ الله: المَطْعُونُ شَهِيدٌ، والغَرِقُ شَهِيدٌ، وصاحِبُ ذاتِ الجَنْبِ شَهِيدٌ، والمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وصاحِبُ الحريقِ شهيدٌ، والَّذي يَمُوتُ تَحْتَ الهَدْمِ شَهِيدٌ، والمَرْأَةُ تَمُوتُ بجُمْعٍ شَهِيدةٌ**».

ـ وَمِنْ علاماتِ حُسْنِ الخاتمةِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ المَوْتُ في سبيلِ الدِّفاعِ عَنِ الدِّينِ والنَّفْسِ.

ففي «سُنَنِ أَبي داوُدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألْبانيُّ في «صحيح أبي داوُدَ»[3] مِنْ حديثِ سعيدِ بْنِ زَيْدٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فهو شهيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فهو شهيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فهو شهيدٌ**».

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (4/ 201)، وصححه الألْبانيُّ في «أحكام الجنائز» (ص53).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (4465)، وأبو داوُدَ (3111) وصححه الألْبانيُّ في «أحكام الجنائز» (ص55).

(3) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أبو داوُدَ (4772)، وصححه الألْبانيُّ في «صَحِيح أبي داوُدَ» (3993).

ـ وَمِنْ علاماتِ حُسْنِ الخاتمةِ المَوْتُ رِباطًا في سبيلِ الله.

في «صحيح مسلم»[1] مِنْ حديثِ سَلْمانَ الفارسيِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«رِباطُ يَوْمٍ ولَيْلةٍ خيرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وقيامِهِ، وإنْ مات جَرَى عليه عَمَلُهُ الَّذي كان يَعْملُهُ، وأُجْرِي عليه رِزْقُهُ، وأَمِنَ الفَتَّانَ»**.

ـ وَمِنْ علاماتِ حُسْنِ الخاتمةِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ المَوْتُ على عَمَلٍ صالحٍ.

ففي «مسند أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ مِنْ حديثِ حُذَيفةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«مَنْ قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ ابتغاءَ وَجْهِ الله، خُتِمَ له بها ـ دَخَلَ الجنَّةَ، ومَنْ صام يَوْمًا ابتغاءَ وَجْهِ الله، خُتِمَ له بِهَا ـ دَخَلَ الجنَّةَ، وَمَنْ تصدَّق بصَدَقةٍ ابتغاءَ وَجْهِ الله، خُتم لَهُ بها ـ دَخَلَ الجنَّةَ»**[2].

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

---

(1) رواه مسلم (1913).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمد (5/ 391).

الخُطْبةُ الثَّانيةُ ـ سُوءُ الخاتمة :

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أمَّا بَعْدُ ـ أيُّها النَّاسُ ـ تقدَّم الحديثُ معكم عَنْ حُسْنِ الخاتمةِ، والآنَ حديثي معكم عَنْ سُوءِ الخاتمةِ.

أيُّها النَّاسُ، الخاتمةُ السَّيِّئةُ تكونُ بسببِ دَسيسةٍ باطنةٍ للعَبْدِ، لا يطَّلعُ عليها النَّاسُ، إمَّا مِنْ جهةِ عَمَلٍ سَيِّىءٍ ونَحْوِ ذلك، فتلك الخَصْلَةُ الخَفِيَّةُ تُوجِبُ سُوءَ الخاتمةِ عِنْدَ الموتِ، وكذلِكَ قد يَعْمَلُ الرَّجَلُ عَمَلَ أهْلِ النَّارِ وفي بَاطِنِهِ خَصْلَةٌ خَفِيةٌ مِنْ خِصَالِ الخَيرِ، فَتَغْلِبُ عَلَيهِ تِلْكَ الخَصْلَةُ في آخِرِ عُمْرِهِ فَتُوجِبُ لهُ حُسْنَ الخَاتِمةِ كما قال **الْـحَافِظُ ابنُ رَجَبٍ** رحمه الله[1].

لِهَذَا جَاءَ في «صَحِيح البُخَارِيِّ»[2] مِنْ حديثِ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّما الأَعمالُ بالخَواتِيم**».

وفي «صحيح مسلم»[3] مِنْ حديثِ أبي هُريرَة رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ الرَّجُلَ ليَعملُ الزَّمَانَ الطَّويلَ بِعَمَلِ أهل الجنة، فيُخْتَمُ له عملُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَانَ الطَّوِيلِ بِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ**».

أيُّها النَّاسُ، الخَوَاتِيمُ مِيراثُ السَّوابِقِ، وَكُلُّ ذَلِكَ سَبَقَ في الْكِتَابِ السَّابِقِ كما قَالَ **ابْنُ رَجَبٍ** رحمه الله فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَّقيَ الذُّنُوبَ فَإِنَّها وَرَاءَ كُلِّ خَاتِمَةٍ سَيئَةٍ.

---

(1) «جامع العلوم والحكم» (1/ 172 ـ 173).

(2) رواه البخاريُّ (6493)، (6607).

(3) رواه مسلم (339)، (392).

قَالَ **الْـحَافِظُ ابْنُ كثيرٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الذُّنُوبَ وَالمَعَاصِي وَالشَّهَوَاتِ تَخْذُلُ صَاحِبَهَا عِنْدَ الْمَوْتِ، مَعَ خُذْلَانِ الشَّيْطَانِ لَهُ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الْخُذْلَانُ مَعَ ضَعْفِ الْإِيمانِ، فَيَقَعُ فِي سُوءِ الْخَاتِمَةِ».

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ (الفرقان: 29).

ـ وَمِنْ عَلَامَاتِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الشَّكُّ وَالْجُحُودُ الَّذِي تُسَبِّبُهُ الْبِدْعَةُ كَمَنْ يَعْتَقِدُ فِي ذَاتِ اللهِ، أَوْ صِفَاتِهِ أَوْ أَفْعَالِهِ خِلَافَ الْحَقِّ إِمَّا تَقْلِيدًا، أَوْ بِرَأْيِهِ الْفَاسِدِ.

لِهَذَا يَجِبُ الِابْتِعَادُ عنْ أَصْحَابِ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ وَأَخْذُ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ عَنْ أَهْلِهَا وَمِنْ كُتُبِ أَهْلِ الْعِلْمِ الْـمُعْتَبَرَةِ كـ«الطَّحَاوِيَّةِ» لأَبِي جَعْفَرَ الطَّحَاوِي وَ«الْوَاسِطِيَّةِ» لِشَيخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةِ. وكِتَابِ التَّوْحِيدِ لِلنَّجْدِيِّ مَعَ شُرُوحِهِ وَأَحْسَنُ شَرْحٍ لَهُ «فَتْحُ الْـمَجِيدِ» وَ«الْقَوْلُ الْـمُفِيد».

مَعَ الِابْتِعَادِ عَنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالزَّيْغِ وَالْفِرَقِ الْهَالِكَةِ.

ـ وَمِنْ عَلَامَاتِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ التَّسْوِيفُ بِالتَّوْبَةِ.

فَيَجِبُ التَّوْبَةُ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ فَلَسْنَا أَعَزَّ عَلَى اللهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ كَانَ يَتُوبُ إِلَى اللهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

ففي «صحيح مسلم»[1] مِنْ حديثِ الأَغَرِّ الْـمُزنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إلى اللهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ**».

ـ وَمِنْ عَلَامَاتِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ طُولُ الْأَمَلِ؛ لِأَنَّه يَدْعُو لِتَرْكِ الْعَمَلِ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحُثُّنَا على الْمُبَادَرَةِ إلى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ.

---

(1) رواه مسلم (2702).

ففي «صحيح مسلم»[1] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْـمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كافرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا قَلِيلٍ»**.

ـ ومِنْ أَسْبَابِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ حُبُّ الْـمَعْصِيةِ وَإِلْفُهَا وَاعْتِيَادُهَا فَمَنِ اعْتَادَ ذَلِكَ فَالْخَاتِمَةُ السَّيِّئَةُ مِنْهُ قَرِيبٌ إِنْ لَمْ يَنْزِعْ وَيُدْرِكْهُ اللهُ قَبْلَ مَوْتِهِ.

وَيَا للهِ كَمْ هِيَ الشَّوَاهِدُ الْيَوْمِيَّةُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْخَاتِمَةِ السَّيِّئَةِ لِمَنْ أَدْمَنُوا الْـمَعَاصِي وَقَدْ ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ ابْنُ الْقَيِّم ﷬ في «الْجَوَابِ الْكَافِي» وَمِمَّا قَالَهُ إِنَّ أَحَدَ النَّاسِ قِيلَ لَهُ وَهُوَ فِي سِيَاقِ الْـمَوْتِ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، فَقَالَ: وَمَا يُغْنِي عَنِّي وَمَا أَعْرِفُ أَنِّي صَلَّيْتُ للهِ صَلَاة؟! وَلَمْ يَقُلْهَا.

وَقَالَ ﷬ عَنْ رَجُلٍ عُرِفَ بِحُبِّهِ لِلْأَغَانِي وَتَرْدِيدِهَا، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قِيلَ لَهُ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَجَعَلَ يَهْذِي بِالْغِنَاءِ وَيَقُولُ: تاتَنَا تَنْتَنَا ... حَتَّى قَضَى، وَلَمْ يَنْطِقْ بِالتَّوْحِيدِ.

وَنَقَلَ ابْنُ رَجَبٍ ﷬ فِي كِتَابِهِ «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ»[2] عَنْ أَحَدِ الْعُلَمَاء، وَهُوَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي روَّادِ أَنَّهُ قَالَ: حَضَرْتُ رَجُلًا عِنْدَ الْـمَوْتِ يُلَقَّن لَا إِلَهَ إِلَّا الله، فَقَالَ فِي آخِرِ مَا قَالَ: هُوَ كَافِرُ بِمَا تَقُولُ. وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَإِذَا هُوَ مُدْمِنُ خَمْرٍ، فَكَانَ عَبْدُ الْعَزِيزُ يَقُولُ: «اتَّقُوا الذُّنُوبَ فَهِيَ الَّتِي أَوْقَعَتْهُ».

أَيُّهَا النَّاسُ، الْحَدِيثُ عَنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ ذُو شُجُونٍ وَلَعَلَّ مَا تَقَدَّمَ فِيه الْكِفَايَةُ إِنْ شَاءَ اللهُ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ أَعْمَالِنَا خَوَاتِمَهُ وَخَيْرَ أَعْمَارِنَا أَوَاخِرَهَا وَخَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ نَلْقَاكَ.

---

(1) رواه مسلم (118).

(2) «جامع العلوم والحكم» (2/ 173).

24 مـحـاسـنُ الْعَفْـوِ

الخُطْبةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهّ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنْ «مَحَاسِنُ الْعَفْوِ».

أَيُّها النَّاسُ، لَيْسَ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ النَّاسِ سَبيلٌ لِاخْتِلَافِ مَعَادِنِهِمْ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**النَّاسُ مَعَادِنُ**».

أَيُّها النَّاسُ، إِنَّهُ لَوْ سَلِمَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ لَسَلِمَ خَيْرُ النَّاسِ وَأَفْضَلُهُمْ ذَلِكُمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ فَكَمْ لَاقَى مِنَ الْأَذَى، وَالطَّرْدِ وَالرَّجْمِ لَكِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى امْتِثَالِ أَمْرِ الله ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ له: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف: 199).

---

(1) رواه البخاريُّ (3383)، ومسلم (2378).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مَحَاسِنَ الْعَفْوِ لَا تَكَادُ تُحْصَرُ وَسَوْفَ اقْتَصِرُ عَلَى ذِكْرِ طَرَفًا مِنْهَا؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ حَرِيصٌ عَلَى التَّحْرِيشِ بَيْنَ النَّاس.

ففي «صحيح مُسْلمٍ»[1] مِنْ حديثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**».

وَلَا شَكَّ أَنَّ فِي الْعَفْوِ رِضَا الرَّحْمَنِ وَإِرْغَامُ الشَّيْطَانِ وَالْحُصُولُ على الأَجْرِ الْعَظِيمِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ.

ـ فَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ أَنَّ الْعَفْوَ مِنْ صِفَةِ الْـمُتَّقِينَ وَأَخْلَاقِ الْمُحْسِنِينَ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤**﴾ (آل عمران: 133-134).

ـ وَمِنْ مَـحَاسِنِ الْعَفْوِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ سَبَبٌ لِنَيْلِ الْـمَغْفِرَةِ مِنَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ قَالَ عزَّ وجلَّ: ﴿**وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ**﴾ (النور: 22).

قَالَ **ابْنُ كثيرٍ** رحمه الله: «فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَكَمَا تَغْفِرُ عَنِ الْمُذْنِبِ إِلَيْكَ نَغْفِرُ لَكَ، وَكَمَا تَصْفَحُ نَصْفَحُ عَنْكَ»[2].

ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ طَرِيقٌ لِلْمَحَبَّةِ وَالْـمَوَدَّةِ.

---

(1) رواه مسلم (2812).

(2) «المصباح المنير» (745).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (فصلت: 34-36).

قَالَ **الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَاءَتْ النَّتِيجَةُ بـ(إذَا الْفُجَائِيَّةُ)؛ لِأَنَّ (إِذَا الفُجَائِيَةَ) تَدَلُّ عَلَى الْحُدُوثِ الْفَورِيِّ في نَتِيجَتِها: ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾، وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ أحدٍ يُوَفَّقُ بِذَلِكَ، وقَالَ: ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾»[1].

- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ طَرِيقٌ لِلرِّفْعةِ عِنْدَ الله، وَعِنْدَ خَلْقِهِ.

ففي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[2] مِنْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عزًا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**».

وَأَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ في «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِي في «الصَّحيحَة»[3] مِنْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عَنْ سِتِّ خصالٍ**». ومِنْهَا: «**قال: فَأَيُّ عِبادَك أعَزُّ؟ قَالَ: الَّذي إذَا قَدَرَ غَفَرَ**».

قَالَ **ابْنُ الْقَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ في كِتَابِهِ «مَدارجُ السَّالكينَ»: «مَشْهَدُ الْعَفْوِ، وَالصَّفْحِ، وَالْحِلْمِ فإِنَّهُ؛ مَتى شَهِدَ ذَلِكَ، وَفَضْلَهُ، وَحَلَاوَتَهُ، وَعِزَّتَهُ لَمْ يَعْدِلَ عَنْهُ إِلَّا لِعَشىً في بَصِيرَتِهِ؛ فإِنَّهُ «**مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عزًا**» ....، وعُلِمَ بالتَّجرْبَة وَالْوُجُودِ، وَمَا انْتَقَمَ أَحَدٌ لِنَفْسِهِ إِلَّا ذَلَّ»[4].

---

(1) «مكارم الأخلاق» لابن عثيمين (26).

(2) رواه مسلم (2588).

(3) «**حَسَنٌ**»: أخرجه ابن حبان في «صَحِيحه» (50/ 86 - موارد) وحَسَّنه الأَلْباني في «الصَّحِيحة» (3350).

(4) «مدارجُ السَّالكينَ» (2/ 260).

ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ سَبَبٌ لِلمَغْفِرَةِ.

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِي فِي «الصَّحيحَة»[1] مِنْ حديثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ لَا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ، وَمَنْ لا يَغْفِرْ لا يُغْفَرْ لَهُ»**.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الأَدَبِ» بِسَنَدٍ صَحيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبانيُّ فِي «الصَّحيحةِ»[2] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاص رضي الله عنهما قال: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«ارْحَمُو تُرْحَمُوا، واغْفِرُوا يَغْفِرْ اللهُ لَكُمْ»**.

وفي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِي فِي «الصَّحيحَة»[3] مِنْ حديثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«مَا مِنْ رَجُلٍ يُجْرَحُ فِي جَسَدِهِ جِرَاحَةً، فَيَتَصَدَّقُ بِهَا، إِلَّا كفَّرَ اللهُ عَنْهُ مِثْلَ ما تصدَّقَ»**.

ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ الْعَفْوَ مِنْ أَسْمَاءِ الله تَعَالى.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿**وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾ (المجادلة: 2).

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِي فِي «الصَّحيحَة»[4] مِنْ حديثِ عَبْدُ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ اللهَ عفوٌّ يُحِبُ الْعَفوْ»**.

ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ صِفَةٌ لِصَفْوَةِ عِبَادِ الله مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْـمُرسَلِينَ.

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ في مسنده (4/ 365) وصَحَّحه الأَلْباني في «الصَّحِيحة» (483).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه البخاريُّ في «الأدب» (380)، وصَحَّحه الأَلْباني في «الصَّحِيحة» (482).

(3) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ في مسنده (5/ 316)، وصَحَّحه الأَلْباني في «الصَّحِيحة» (2273).

(4) «**حَسَنٌ**»: أخرجه أحمدُ (1/ 438) وحَسَّنه الأَلْباني في «الصَّحِيحة» (1638).

ففي «الصَّحيحَين»[1] مِنْ حديثِ عَبْدُ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كَأَنِّي أَنظُرُ إِلَى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ: ضَرَبَهُ قَوْمُهُ، فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: **«اللَّهُم اغْفِرْ لِقَومِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»**.

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ في «مُسْتَدْرَكه» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»[2] مِنْ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها ، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: **«مَكْتُوبٌ في الْإِنْجِيلِ: «لَا فَظٌّ، ولَا غَلِيظٌ، ولَا سَخَّابٌ بِالْأَسْوَاقِ (أَيْ: لَا يَرفَعُ صَوْتَهُ بِالْأَسْواقِ) وَلَا يَجْزِي بالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، بَلْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ»**.

وَفي «صحيح البُخَاريِّ»[3] مِنْ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرمَةُ الله فَيَنْتَقِمُ لله بِهَا».

ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ طَرِيقٌ لِكَسْبِ الْقُلُوبِ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾** (آل عمران: 159).

ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَ الصَّدَقَةِ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : **﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ٢٦٣﴾** (البقرة: 263).

قَالَ **ابْنُ كَثِيرٍ** رحمه الله: « **﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾** أَيْ: مِنْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَدُعَاءٍ لِمُسْلِمٍ، **﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾** أَيْ: عَفْوٌ وَغَفْرٌ عن ظُلْمٍ قَوْلِيٍّ أَوْ فِعْلِيٍّ»[4].

(1) رواه البخاريُّ (6929) ـ واللَّفْظُ لَهُ ـ، ومسلم (1792).

(2) «حَسَنٌ»: أخرجه الحاكم (2/ 614) وحَسَّنه الأَلْباني في «الصَّحِيحة» (2458).

(3) رواه البخاريُّ (6786).

(4) «المصباح المنير» (150).

ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ مَن سَارَعَ إِلَى الْعَفْوِ أَدْرَكَتْهُ مَغْفِرَةُ الله لَهُ وَذَلِكَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ.

ففي «صحيح مُسْلِمٍ»[1] مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: **«تُفتحُ أَبْوابُ الْجَنَّة: يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْـخَمِيسِ فَيَغْفِرُ اللهُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»**.

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

الخُطْبَةُ الثَّانيةُ ـ إصلاحُ ذاتِ البَيْن :

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّها النَّاسُ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ وَالآنِ حَدِيثي مَعَكُمْ عَنْ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ.

أَيُّها النَّاسُ، إِصْلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ عُنْوَانُ الْإِيمانِ، وَمَنْبَعُ الْأَمَانِ وَمَقتدرُ الرَّاحَةِ حَثَّ اللهُ في كِتَابِهِ الْكَرِيمِ ورغَّبَ فِيهِ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في سُنَّتِهِ الصَّحِيحَةِ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ (الأنفال: 1).

وقَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحجرات: 10).

---

(1) «رواه مسلم» (2565).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ (النساء: 114).

أَيُّهَا النَّاسُ، فِي الصُّلْحِ خَيْرٌ مِنَ الْـمَشَاكِلِ وَالْقَلَاقِلِ مِنَ الضَّغَائِنِ وَالْأَحْقَادِ مِن الْبَاغِي وَالتَّدابُرِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَاقِ وَالْفِرَاقِ وَالشِّقَاقِ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (النساء: 128).

وَهَا هُوَ النَّبِيُّ ﷺ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ يَحُثُّ عَلَى الصُّلْحِ بَيْنَ النَّاسِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»(1) مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ النَّاس صَدَقَةٌ**».

وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ تَرْجَمَ لَهُ أَمِيرُ الْـمُؤْمِنين في الْحَدِيثِ الْبُخَارِيُّ رحمه الله بِبَابِ فَضْلِ الْإِصْلَاحِ وَالْعَدْلِ.

وَقَارَنَ بَيْنَ السِّيَادَةِ وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ.

ففي «صحيح الْبُخَارِيِّ»(2) مِنْ حديثِ أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ (في شَأْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما): «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ**».

وَهُنَا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ طَائِفَةٌ تَرْتَفِعُ دَرَجَاتُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَتَفَوَّقُ بِعَمَلِهَا عَلَى الصَّائِمِ الْـمُتَنَفِّلِ وَالْقَائِمِ الْـمُتَنَفِّلِ.

---

(1) رواه البخاريُّ (2707)، ومسلم (1009).

(2) رواه البخاريُّ (2704).

فَفِي «سُنَنِ الْتِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِي فِي «صَحِيح التِّرْمِذِيِّ»[1] مِنْ حديثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ، والصَّدَقَةِ؟**». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْـحَالِقَةُ**».

أَيُّهَا النَّاسُ، اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ نَهَى مَنْ أَقْسَمَ عَلَى الْامْتِنَاعِ مِنَ الْإِصْلَاحِ عَنِ الْمُضِيِّ فِي يَمِينِهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ **وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة: 224).

وَفِي «الصَّحيحَيْنِ»[2] مِنْ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعَ رَسُولُ الله ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِحُ الْآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ (أَيْ يَطْلُبُ مِنْهُ الرِّفْقَ) فِي شَيْءٍ وَهُوَ يَقُولُ: وَالله لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ: «**أَيْنَ الْـمُتَأَلِّي عَلَى الله لَا يَفْعَلُ الْـمَعْرُوفَ**». قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ الله، فَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ، أَيْ قَدْ خَفَّفْتُ عَنْهُ يَا رَسُولَ الله فَلْيَخْتَرْ مَا شَاءَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، هَا هُوَ النَّبِيُّ ﷺ يُرْشِدُنَا إِلَى أَفْضَلِ الصَّدَقَةِ إِنَّهَا ـ وَالله ـ أَقَلُّ مُؤْنَةً وَأَعْظَمُ أَجْرًا.

فَقَدْ أَخْرَجَ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي «التَّرْغِيبِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِي فِي «الصَّحيحة»[3] مِنْ حديثِ أَبِي أَيُّوبِ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ يُحِبُّ مَوْضِعَهَا؟ تُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فإِنَّهَا صَدَقَةٌ يُحِبُّ مَوْضِعَهَا**».

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (6/ 444 ـ 445) وأبو داوُدَ (4919)، والترمذي (2509) والبخاريُّ في «الأدب» (391) وصَحَّحه الألْباني في «صَحِيح الترمذي» (2640).

(2) رواه البخاريُّ (2706)، ومسلم (1558).

(3) «**حَسَنٌ**»: أخرجه الأصفهاني في «الترغيب» (ص50)، وحَسَّنه الألْباني في «الصَّحِيحة» (2644).

وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ فِي «الْمُنْتَخَبِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ لِغَيْرِهِ كَمَا قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»[1] مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ**».

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ رَغِبَ فِي أَجْرِ الصُّلْحِ وإِنَّ أَجْرَهُ لَعَظِيمٌ، وَمَنْ رَغِبَ فِي ثَوَابِهِ وَإِنَّ ثَوَابَهُ لَجَزِيلٌ فَعَلَيْهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ يَأْمُرَ بِالْعَفْوِ وَيُبَيِّنَ فَضْلَهُ وَشَرَفَهُ بَيْنَ يَدَيْ صُلْحِهِ وَيَحُثَّ عَلَيْهِ وَهَكَذَا كَانَ مُعَلِّمُ الْبَشَرِيَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِي فِي «صَحيحِ أَبِي دَاوُدٍ»[2] مِنْ حديثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ رُفِعَ إِلَيْهِ شَيْءٌ فِيهِ قِصَاصٌ إِلَّا أَمَرَ بِالعَفْوِ».

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدٍ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدٍ»[3] مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**تَعَافُوا الْحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ، فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ**».

اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا، اللَّهُمَ وَفِّقْنَا لِلْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ، اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِإِرْغَامِ الشَّيْطَانِ بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ فِيما بَيْنَنَا؛ فإِنَّه مَا فَتِىَ يَتَحَرَّشُ بَيْنَنَا غَيْرَ يَأسٍ مِنَّا، اللَّهُمَّ أَيِّسْهُ مِنْ ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

---

(1) «**حَسَنٌ**»: أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (2/43)، والبزار (2059) وحَسَّنه الأَلْباني في «الصَّحِيحة» (2639).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أبو داوُدَ (4497)، وصَحَّحه الأَلْباني في «صَحِيح أبي دَاودٍ» (3774).

(3) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أبو داوُدَ (4376)، وصَحَّحه الأَلْباني في «صَحِيح أبي دَاودٍ» (3680).

25 فَضِيلَةُ الصِّدْقِ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهّ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ، حَدِيثي مَعَكُمْ الْيَوْمَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنِ الصِّدْقِ.

وَالصِّدْقُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هُوَ الْفَضِيلَةُ الْجَامِعَةُ وَالرَّجُلُ الصَّادِقُ مَحْبُوبٌ مِنَ الله مَحْبُوبٌ مِنَ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَبِرٍّ؛ لأَنَّهُ قَدْ قِيلَ: ثَلَاثٌ لَا تُخْطِيءُ الصَّادِقَ: الْحَلَاوَةُ، وَالْـمَلَاحَةُ، وَالْهَيْبَةُ.

وَمَنْ كَانَ هذا حَالُهُ كيْفَ لا تُحِبُّهُ قُلُوبُ النَّاسِ.

فَالصِّدْقُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَمْرُهُ عَظِيمٌ فَهُوَ مَحَلٌّ لِلْجِزاءِ مِنَ الله.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (التوبة: 119).

وَذَكَرَ ٱللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ فِي مَقَامِ الثَّنَاءِ وَمِمَا لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ. فَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ (الأحزاب: 35).

وَقَالَ ٱللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ (محمد: 21).

أَيْ لَوْ عَامَلُوا اللهَ بِالصِّدْقِ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، وَأَقْوَالِهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَذَبُوا الله فَكَانَ شَرًّا لَهُمْ.

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي صَاحِبَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْجَنَّةُ غَايَةُ كُلِّ مَطْلَبٍ.

فَفِي «الصَّحيحيْنِ»(1) مِنْ حديثِ عَبْدُ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْـجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ ليصدُقُ حتَّى يُكتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجَلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَابًا**».

وَأَخْبَرَ ﷺ - أَيْضًا - أَنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ.

فَقَدْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الجَامِعِ»(2) مِنْ حديثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنهما قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبَ رِيبَةٌ**».

وَمَعْنَى طُمَأْنِينَةٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيْ لَيْسَ فِيهِ قَلَقٌ أَوْ شَكٌّ فَلَا يَنْدَمُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ أَبَدًا فَالطُّمَأْنِينَةُ سَاكِنَةٌ قَلْبَهُ وَالسَّكِينَةُ تَنْزِلَ عَلَيْهِ وَالْيَقِينُ يُلَازِمُهُ فَلَا يَتَأَسَّفُ عَلَى شَيْءٍ حَصَلَ أَوْ يَحْصُلُ؛ لِأَنَّ الصِّدْقَ مَنْجَاةٌ وَالصَّادِقُونَ يُنَجِّيهِمُ اللهُ بِصِدْقِهِمْ.

---

(1) رواه البخاري (6094)، ومسلم (2607).

(2) «صَحِيحٌ»: أخرجه الترمذي (2518) وروى النَّسائي في شطره الأول (5714) وصَحَّحه الأَلْباني في «صَحِيح الجامع» (3378).

وَهَكَذَا الْأَنْبِيَاءُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ مِنْ ضِمْنِ مَا بُعِثُوا بِهِ أَمْرُهُمُ النَّاسَ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ.

فَفِي «الصَّحيحيْنِ»[1] مِنْ حديثِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ رضي الله عنه فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ فِي قِصَّةِ هِرَقْلَ، قَالَ هِرَقْلُ: «فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ ـ يَعْنِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ـ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قُلْتُ: يَقُولُ: «اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، والصِّلَةِ».

وَقَدْ حَثَّنَا نَبِيُّنَا صلى الله عليه وسلم عَلَى الصِّدْقِ وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَالْبِرُّ يَهْدي إِلَى الْجَنَّةِ، وَذَكَرَ لَنَا أَرْبَعَ مَنْ جَمَعَهَا فَقَدْ جَمَعَ الدُّنْيا بِأَسْرِهَا.

فَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لِغَيْرِهِ كَمَا قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»[2] مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ، فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنِ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ**».

وَضَمِنَ لَنَا الْجَنَّةَ إِنْ ضَمِنَّا لَهُ سِتًا مِنْ أَنْفُسِنا وَمِنْهَا الصِّدْقُ.

فَفِي «مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لِغَيْرِهِ، قَالَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»[3] مِنْ حديثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْـجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ**».

وَأَخْبَرَ أَنَّ الصِّدْقَ سَبَبُ الْبَرَكَةِ فِي الْأَرْزَاقِ.

---

(1) رواه البخاريُّ (2681)، ومسلم (1773).

(2) «**صَحِيحٌ**»: رواه أحمدُ (2/ 177) وقال الألْباني في «صَحِيح الترهيب» (2929) صَحِيحٌ لغيره.

(3) «**صَحِيحٌ**»: رواه الحاكم (4/ 359) وقال الألْباني في «صَحِيح الترهيب» (2925) صَحِيحٌ لغيره.

فَفي «الصَّحيحيْنِ»[1] مِنْ حديثِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**».

وَلِهَذَا كَانَ الصِّدْقُ مَنْجَاةً وَالصَّادِقُ تَصْحَبُهُ السَّلَامَةُ وَلَا بُدَّ.

فَفي «الصَّحيحيْنِ»[2] مِنْ حديثِ كَعْبٍ رضي الله عنه الطَّوِيلِ وَفِيهِ: «فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنمَا أَنْجَانِي اللهُ بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ».

فَهَذَا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ الَّذي تَابَ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى صَاحِبَيْهِ.... ذَكَرَ لِرَسُولِ الله ﷺ أَنَّ مِنْ تَوْبَتِهِ أَلَّا يُحَدِّثَ بِحَدِيثٍ كَذِبٍ بَعْدَ أَنْ نَجَّاهُ اللهُ تَعَالَى بِالصِّدْقِ ـ فَكَانَ ـ رضي الله عنه مَضْرَبَ الْمَثَلِ فِي الصِّدْقِ حَتَّى أَنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَنْزَلَ فِيهِ وَفِي صَاحِبَيْهِ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ (التوبة: 119).

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ: «حَقِيقَةُ الصِّدْقِ أَنْ تَصْدُقَ فِي مَوْطِنٍ لَا يُنَجِّيكَ مِنْهُ إِلَّا الْكَذِبُ»[3].

وَهَذَا مَا يَظْهُرُ لِلْغرِّ مِنْ بَنِي آدَمَ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ وَلَكِنَ الصِّدْقَ مَنْجَاةٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلَنَا بِقِصَّةِ كَعْبٍ وَصَاحِبَيْهِ أُسْوَةٌ؛ لِأَنَّ الصِّدْقَ مِنْ أُصُولِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي يَتَفَرَّعُ عَنْهَا غَيْرُهَا.

---

(1) رواه البخاريُّ (2114)، ومسلم (1532).

(2) رواه البخاريُّ (4418)، ومسلم (2769).

(3) «مَدارجُ السَّالكينَ» (2/ 290).

قَالَ **الْـحَارِثُ الْـمُحَاسِبِيُّ** ﵀: «وَاعْلَمْ ـ رَحِمَكَ اللهُ ـ أَنَّ الصِّدْقَ وَالْإِخْلَاصَ أَصْلُ كُلِّ حالٍ؛ فَمِنَ الصِّدقِ يَتَشَعَّبُ الصَّبرُ، والْقَنَاعَةُ، والزُّهْدُ، وَالرِّضى، والْأُنْسُ. وَعَنِ الْإِخْلَاصِ يَتَشَعَّبُ الْيَقِينُ، وَالْخَوْفُ، وَالْـمَحَبَّةُ، وَالْإِجْلَالُ، وَالْحَيَاءُ، وَالتَّعْظِيمُ.

فَالصِّدْقُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِهِ؛ صِدْقُ الْقَلْبِ بِالْإِيمَانِ تَحْقِيقًا، وَصِدْقُ النِّيَّةِ فِي الْأَعْمَالِ، وَصِدْقُ اللَّفْظِ فِي الْكَلَامِ»[1].

وَقَالَ **ابْنُ حِبَّانُ** ﵀: «إِنَّ اللهَ ـ جلَّ وَعَلَا ـ فَضَّلَ اللِّسَانَ عَلَى سَائِرِ الْجَوَارِحِ، وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ، وَأَبَانَ فَضِيلَتَهُ بِأَنْ أَنْطَقَهُ ـ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْجَوَارِحِ ـ بِتَوْحِيدِهِ، فَلَا يَجِبُ لِلْعَاقِلِ أَنْ يُعَوِّدَ آلةً خَلَقَها اللهُ لِلنُّطْقِ بِتَوْحِيدِهِ بِالكَذِبِ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ الْمُدَاوَمَةُ بِرِعَايَتِهِ بِلُزُومِ الصِّدْقِ، وَمَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ فِي دَارَيْهِ؛ لِأَنَّ اللِّسَانَ يَقْتَضِي مَا عُوِّدَ، إِنْ صِدْقًا فَصِدْقًا، وَإِنْ كِذبًا فَكَذِبًا»[2].

وأَسْتَغْفِرُ الله.

الخُطْبَةُ الثَّانيةُ ـ التَّحذيرُ مِنَ الكَذِبِ:

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ فَضِيلَةِ الصِّدْقِ، وَالْآنَ حَدِيثي مَعَكُمْ عَنِ التَّحْذِيرِ مِنَ الْكَذِبِ.

---

(1) «هداية المسترشدين» (170).

(2) «روضة العقلاء» (51).

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا مِنْ شَكٍّ أَنَّ الكَذِبَ مِنْ مَسَاوِىءِ الأَخْلَاقِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يُنَزِّهَ الْـمُسْلِمُ نَفْسَهُ عَنْهَ بَلْ وَمِنْ صِفَةِ الْـمُنَافِقِينَ الَّذِينَ نُهِينَا عَنِ الاِتِّصَافِ بِأَوْصَافِهِمْ لِيَسْلَمَ لَنَا دِينُنَا. فَالكَذِبُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ تَوَاعَدَ اللهُ صَاحِبَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ (الجاثية: 7).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (النحل: 105).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيه خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إذا اؤْتُمِنَ خَانَ، وإذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذا خَاصَمَ فَجَرَ**».

وَفِي «الصَّحيحَيْنِ»[2] مِنْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**».

وَالْكَذِبُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَسَاسُ الْفُجُورِ، وَالْفُجُورُ يَهْدِي إِلَى النَّارِ كَمَا فِي «الصَّحيحَيْنِ»[3] مِنْ حديثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : «**إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرىَّ الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا**».

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ - أَيُّهَا النَّاسُ - دَلِيلٌ عَلَى أنَّ الْكَذِبَ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، لأَنَّ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم تَوَعَّدَهُ بأَنْهُ يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا.

---

(1) رواه البخاريُّ (34) ـ واللَّفْظُ لَهُ ـ ، ومسلم (58).

(2) رواه البخاريُّ (33) ، ومسلم (59).

(3) رواه البخاريُّ (9064) ، ومسلم (2607).

وَفي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ جُنْدُبَ الطَّوِيلِ بَيَانٌ في عُقُوبَةِ مَنْ يَكْذِبُ الْكَذِبةَ فَتَبْلُغُ الْآفَاقَ وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي الرُّؤْيَا الَّتِي رَآهَا رَسُولُ الله ﷺ وَمِمَّا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمِنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ، حَتَّى يُصْبِحُ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى**».

وَفِي نِهَايَةِ الْحَدِيثِ بَيَانُ الذَّنْبِ الَّذي ارْتَكَبَهُ الرَّجُلُ، وَفِيهِ: «**فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ يَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ**».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ[2]: «**فَيَصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».

وَالْكَذَّابُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ يُعْرَفُ مِنْ وَجْهِهِ يَعْرِفُ ذَلِكَ الْمُتَفَرِّسُونَ بَلْ قَدْ يَعْرِفُ ذَلِكَ ضِعَافُ الْإِيمَانِ.

أَلَيْسَ قَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الْكَذِبُ رِيبَةٌ**»[3]. أَيْ تَشُكُّ فِيهِ وَلَا تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ نَفْسُكَ، وَعُلَمَاءُ التَّرْبِيَةِ كَمَا يُسَمُّونَهُمُ الْيَوْمَ عُلَمَاءُ النَّفْسِ يَقُولُونَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَذَبَ الْكَذْبَةَ تَتَسَرَّعُ دَقَّةُ قَلْبِهِ وَكَذَلِكَ أَنْفَاسُهُ وَتَرَى الْحُمْرَةَ فِي خَدِّهِ وَتُحَمْلِقُ عَيْناه وَكَفَى بِهَذَا دَلِيلٌ، حَتَّى بَعْضُ الكَفَرَةِ يَعْرِفونَ وَجْهَ الصَّادِقِ مِنَ الْكَاذِبِ.

---

(1) رواه البخاريُّ (7047)، ومسلم (2275).

(2) رواه البخاريُّ (1386).

(3) تقدَّم تخريجُهُ.

فَفي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، و«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ»، و«ابْنِ مَاجَّهْ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِي في «الصَّحيحة»[1] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بْنِ سَلَامٍ ﷺ قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ النَّبيُّ ﷺ الـمَدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَكُنْتُ فِيمَن انْجَفَلَ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ». وَعَبْدُ الله بْنِ سَلَامٍ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ كَانَ حِينَئِذٍ كَافِرًا وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْكَذَّابَ يَفْضَحَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، الْكَذِبُ لَا يَصْلُحُ فِي جِدٍّ وَلَا هَزْلٍ.

فَفي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، و«سُنَنِ أَبِي دَاوُدٍ»، و«التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِي في «صَحيح التِّرْمِذِيِّ»[2] مِنْ حديثِ بَهْزِ بْنِ حَكيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْـحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ، وَيلٌ لَهُ**».

وَمِنَ الْكَذِبِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ يَنْقُلَ أَحَدُنَا كَلَامَ غَيْرِهِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ، وَنَاقِلُ الْكَذِبِ كَذَّابٌ وَلَا شَكَّ وَهَذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ.

فَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي مُقَدِّمَةِ «صَّحيحِهِ»[3] مِنْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**».

أَيُّهَا النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامي هَذَا أُذَكِّرُكُمْ أَنَّ الْكَذِبَ كَانَ أَبْغَضَ خُلُقٍ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ.

---

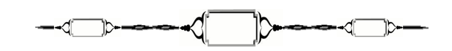
(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (5/ 451)، والترمذيُّ (2487)، وابْنُ ماجَهْ (1334)، وصَحَّحه الأَلْبانيُّ في «الصَّحِيحة» (569).

(2) «**حَسَنٌ**»: أخرجه أحمدُ (5/ 2)، والترمذي (2315) وأبو داوُدَ (4990) وحَسَّنه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح التِّرْمذيِّ» (1885).

(3) مسلم (المقدمة 5).

فَفي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ في «صَحِيحِ التَّرْهِيبِ»[1] مِنْ حديثِ عائشةَ ﵂ قَالَتْ: «مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ أَبْغَضُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنَ الْكَذِبِ، مَا اطَّلَعَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ فَيَخْرُجُ مِنْ قَلْبِهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ تَوْبَةً».

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِلصِّدْقِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَذِبِ وَالنِّفَاقِ وَالشِّقَاقِ وسيِّءِ الْأَخْلَاقِ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذي يُبَلِّغُنَا حُبَّكَ.



(1) «صَحِيحٌ»: أخرجه أحمدُ، وصححه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الترغيب» (2941).

26 التَّــوَاضُـعُ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ حَدِيثي مَعَكُمُ الْيَوْمَ عَنِ التَّوَاضُعِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ خَلَقَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ الْإِنْسَانَ وَكَرَّمَهُ وَفَضَّلَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، وَأَلْبَسَهُ حُلَّةَ الْإِيمَـانِ، وَزَيَّنَهُ بِأَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ وَذَلِكَ تَتْمِيمًا لِتَكْرِيمِهِ وَتَفْضِيلِهِ.

وَالتَّوَاضُعُ أَحَدُ تِلْكَ الْفَضَائِلِ.

وَالَّذِينَ نَبَذُوا هَذَا الْخُلُقَ الْعَظِيمَ إِنَمَا هُمْ فِي الْحَقِيقَةِ مُعْتَدُونَ عَلَى مَقَامِ الْأُلُوهِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْكِبْرِيَاءَ وَالْعَظَمَةَ للهِ وَحْدَهُ لَا يُنَازِعُهُ فِيهما مُنَازِعٌ إِلَّا كَبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، وَ«سُنَنِ ابْنِ مَاجَّهْ»[1] مِنْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي. مَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ**».

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ حَثَّنَا اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَحَذَّرَنَا مِنَ الْكِبْرِ.

فَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ **وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (الشعراء: 215).

وَجعَلَ الجْنَّةَ لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ تَكَبُّرًا فِي الْأَرْضِ. فَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ **تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا** ﴾ (القصص: 83).

وَوَصَفَ عِبَادَهُ الْـمُتَّقِينَ بِأَنَّهُمْ يَمْشُونَ فِي الْأَرْضِ مُتَوَاضِعِينَ غَيْرَ مُتَكَبِّرِينَ فَقَالَ: ﴿ **وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا** ﴾ (الفرقان: 63).

قَالَ **ابْنُ سَعْدِي** رحمه الله: «ذَكَرَ أَنَّ صِفَاتِهِمْ أَكْمَلُ الصِّفَاتِ وَنُعُوتَهُمْ أَفْضَلُ النُّعُوتِ، فَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا، أَيْ سَاكِنِينَ مُتَوَاضِعِينَ لله وَلِلْخَلْقِ، فَهَذَا وَصْفٌ لَهُمْ بِالْوَقَارِ وَالسَكِينَةِ، وَالتَّوَاضُعِ لله وَلِعِبَادِهِ»[2].

وقَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ حَاكِيًا عَنْ لُقْمَانَ وَهُوَ يَعِظُ ابْنَهُ: ﴿ **وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ (لقمان: 18).

وَمَعْنَى الْآيةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ : أَيْ: «لَا تَتَكَبَّرْ، فَتَحقِرَ عِبَادَ الله، وَتُعْرِضَ عَنْهُمْ إِذَا كَلَّمُوكَ». كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[3].

---

(1) رواه مسلم (2620)، وابْنُ ماجَهْ (4174) واللفْظُ لَهُ.

(2) «تفسير السَّعْديِّ» (586).

(3) «فتح القدير» للشوكاني (4/ 301).

وَالتَّوَاضُعُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَلَامَةُ حُبِّ اللهِ لِلْعَبْدِ كَمَا قَالَ ـ تَعَالَى ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة: 54).

قَالَ **الْـحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ** رحمه الله: «هَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ الْكُمَّلِ، أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ مُتَوَاضِعًا لِأَخِيهِ وَوَلِيِّهِ، مُتَعَزِّزًا عَلَى خَصْمِهِ وَعَدُوِّهِ»[1].

وَقَالَ **الْفَقِيهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ** رحمه الله: «اعْلَمْ أَنَّ الْكِبْرَ مِنْ أَخْلَاقِ الْكُفَّارِ وَالْفَرَاعِنَةِ، وَالتَّوَاضُعُ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ؛ لِأَنَّ اللهَ وَصَفَ الْكُفَّارَ بِالْكِبْرِ فَقَالَ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (الصافات: 35)».

وَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴾ (العنكبوت: 39).

وَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: 60).

وَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (غافر: 76).

وَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (النحل: 23).

وَقَدْ مَدَحَ اللهُ عِبَادَهُ الْـمُؤْمِنِينَ بِالتَّوَاضُعِ فَقَالَ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (الفرقان: 63).

يَعْنِي مُتَوَاضِعِينَ وَمَدَحَهُمْ بِتَوَاضُعِهِمْ وَأَمَرَ نَبِيهُ بِالتَّوَاضُعِ فَقَالَ: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الحجر: 88).

---

(1) «تفسير ابن كثير» (2/ 73).

وَقَالَ: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (الشعراء: 215).

وَمَدَحَ النَّبِيُّ ﷺ بِخُلُقِهِ فَقَالَ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ (القلم: 4).

وَكَانَ خُلُقُهُ التَّوَاضُعَ؛ لِأَنَّهُ رُوِيَ فِي الْخَبَرِ أَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ الْحِمَارِ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ، فَثَبَتَ أَنَّ التَّوَاضعَ مِنْ أَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، وَكَانَ الصَّالِحُونَ مِنْ قَبْلُ أَخْلاقُهم التَّواضُعُ، فَوَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نَقْتَدِي بِهِمْ رضي الله عنهم»[1].

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ حَثَّنَا نَبِيُّنَا ﷺ عَلَى التَّوَاضُعِ وَرَغَّبَنَا فِيهِ وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ سَبَبٌ لِلرفْعَةِ وَالْعِزَة، وَطَرِيقٌ إِلَى الْجَنَّةِ.

فَفِي «صَحِيح مُسْلِم»[2] مِنْ حديثِ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**».

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[3] مِنْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، ومَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**».

قَالَ **ابْنُ الْحَاجِّ** رحمه الله: «مَنْ أَرَادَ الرِّفْعَةَ فَلْيتَوَاضَعْ لله تَعَالَى، فإِنَّ الْعِزَّةَ لَا تَقَعُ إِلَّا بِقدْرِ النُّزُولِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْـمَاءَ لَمَا نَزَلَ إِلَى أَصْلِ الشَّجرَةِ صَعَدَ إِلَى أَعْلاهَا، فَكَأَنَّ سَائِلًا سَأَلَهُ: مَا صَعَدَ بِكَ هُنَا ـ أَعْني فِي رَأَسِ الشَّجرَةِ وَأَنْتَ تَحْتَ أَصْلِهَا؟! فَكَأَنَّ لِسَانَ حَالِهِ يَقُولُ: مَنْ تَوَاضَعَ لله رَفَعَهُ»[4].

---

(1) «تنبيه الغافلين» (97).

(2) رواه مسلم (2865).

(3) رواه مسلم (2588).

(4) المدخل لابن الحاج (2/ 122).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[1] مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «**لَا يَدْخُلُ الْـجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**». قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أن يكون ثَوْبُهُ حَسَنًا ونَعْلُهُ حَسَنَةً. قال: «**إِنَّ الله جَمِيلٌ يحبُّ الجمالَ. الكبرُ بَطَرُ الْـحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**».

وَمَعْنَى بَطَرُ الْحَقِّ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ دَفْعُهُ وَإِنْكَارُهُ تَرَفُّعًا وَتَجَبُّرًا وَتِلْكَ صِفَاتُ الْـمُتَكَبِّرِينَ الَّذينَ لَا يَرْجُونَ لله وَقَارًا فَاعْرِفُوهُمْ. وَمِنْ صِفَاتِهِمْ ـ أَيْضًا ـ مَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ أَنَّهُمْ يَغْمِطونَ النَّاسَ وَمَعْنَى غَمْطِ النَّاسِ أَيْ احْتِقَارُهُمْ.

فَهَذَا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هُوَ تَعْرِيفُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لِلْكِبْرِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ التَّوَاضُعِ وَالذُّلِّ وَالْـمَهَانَةِ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ: «مِنْ التَّوَاضُعِ مَا وَضَعَ».

وَالْحِكْمَةُ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: 269).

أَيُّهَا النَّاسُ، الْفَرْقُ بَيْنَ التَّواضُعِ وَالْـمَهَانَةِ أَنَّ التَّوَاضَعَ يَتَولَّدُ مِنْ بَيْنِ الْعِلْمِ بِالله ـ سُبْحَانَهُ ـ وَمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَإِجْلَالِهِ، وَمِنْ مَعْرِفَتِهِ بِنَفْسِهِ وَتَفَاصِيلِهَا وَعُيُوبِ عَمَلِهَا وَآفَاتِهِ، فَيَتَولَّدُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ خُلُقٌ هُوَ التَّوَاضُعُ وَهُوَ انْكِسارُ الْقَلْبِ لله وَخَفْضُ جَنَاحِ الذُّلِّ والرَّحْمَةِ لِعِبَادِهِ فَلَا يَرَى لَهُ عَلَى أَحَدٍ فَضْلًا وَلَا يَرَى لَهُ عِنْدَ أَحَدٍ حَقًا بَلْ يَرَى الْفَضْلَ لِلنَّاسِ عَلَيْهِ وَالحُقُوقَ لَهُمْ قَبْلَهُ، وَهَذَا خُلُقٌ إِنَّمَا يُعْطِيه اللهُ ـ عَزَّ وجلَّ ـ مَنْ يُحِبُّهُ وَيُكْرِمُهُ وَيُقَرِّبُهُ.

---

(1) رواه مسلم (91).

وَأَمَّا الْـمَهَانَة فَهِي الدَّناءةُ والخِسَّة وَبَذْلُ النَّفْسِ أَوْ ابْتِذَالُها فِي نَيْلِ حَظِّهِ مِنْهُ فَهَذَا كُلُّهُ ضَعَةٌ لَا تَواضعٌ طَالِبُ كُلِّ حَظٍّ لِمَنْ يَرْجُو نَيْلَ حَظِّهِ مِنْهُ فَهَذَا كُلُّهُ ضَعَةٌ لَا تَواضعٌ وَاللهَ ـ سُبْحَانَهُ ـ يُحِبُّ التَّواضُعَ وَيَبْغَضُ الضَّعَةَ وَالْمَهَانَةَ. كَمَا قَالَ ذَلِكَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ[1].

وأَسْتَغْفِرُ الله.

الخُطْبَةُ الثَّانيةُ ـ صُوَرٌ مِنْ تواضُعِ النَّبيِّ ﷺ :

الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْـمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنِ التَّواضُعِ وَالْآنَ حَدِيثي مَعَكُمْ عَنْ صُورٍ مِنْ تَواضُعِ النَّبيِّ ﷺ .

أَيُّهَا النَّاسُ، نَبِيُّنَا مُحَمَّدُ ﷺ هُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ خُلقًا وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ اخْتَارَهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ، وَأَكْرَمَهُ بِالرِّسَالَةِ وَأَيَّدَهُ بِالْوَحْي، وَجَبَلَهُ عَلَى حَمِيدِ الْخِلَالِ، وَفَطَرَهُ على كَرِيمِ الخِصَالِ.

وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ الثَّنَاءِ فَقَالَ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: 4).

وَأَمَرَنَا بِالتَّأَسِيِّ بِهِ فِي أَقْوَالِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَأَحْوَالِهِ.

فَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: 21).

---

(1) انظر «الروح» لابن القيم (211).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ أَدَّبَ اللهُ نَبِيَّهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ وَرَبَّاهُ فَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ، فَكَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، كَمَا قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها عِنْدَمَا سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِهِ[1].

وَمِنْ تَرْبِيَةِ اللهِ لَهُ أَنْ أَمَرَهُ بِالتَّوَاضُعِ فَقَالَ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: 88).

وَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: 215).

أَيُّهَا النَّاسُ، لِنَقِفْ قَلِيلًا أَمَامَ تَوَاضُعِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَلْنَبْدَأْ بِأَكْلِهِ وَجُلُوسِهِ.

فَفِي «شَرْحِ السُّنَّةِ لِلْبَغَوِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»[2] مِنْ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : «**آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ**».

وَنَظْرَةٌ إِلَى بَيْتِهِ يَجْلِي لَنَا تَوَاضُعُهُ وَجَمِيلُ أَخْلَاقِهِ صلى الله عليه وسلم .

فَهَا هُوَ الْأَسْوَدُ يَسْأَلُ أُمَّنا عَائِشَةَ رضي الله عنها كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[3] مَا كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ ـ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ».

ـ وَهَلْ كَانَ صلى الله عليه وسلم يَرْكَبُ الْحِمَارَ؟

يُحَدِّثُنَا بِذَلِكَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنهما كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[4] أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى إِكَافٍ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ فَرَكِبَهُ وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ وَرَاءَهُ.

ـ وَهَلْ كَانَ صلى الله عليه وسلم يُسَلِّمُ عَلَى الصِّبْيَانِ؟

---

(1) رواه مسلم (746).

(2) «**صَحِيحٌ**»: شرح السنه للبغوي (13/ 248)، وصَحَّحه الأَلْبانيُّ في «الصَّحِيحة» (544).

(3) «رواه البخاريُّ» (6039).

(4) «رواه البخاريُّ» (5964).

يُخْبِرُنَا بِذَلِكَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَفْعَلُهُ».

ـ وَهَلْ كَانَ صلى الله عليه وسلم يُخَالِطُ الصِّبْيَانَ؟

يُخْبِرُنَا بِذَلِكَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لَيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «**يَا أَبَا عُمَير مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**»». كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[2].

ـ وَهَلْ صَحَّ أَنَّ الْأَمَةِ مِنْ الإِمَاء لَتَأخُذَ بِيَدِهِ حَيْثُ شَاءَتْ؟

يُخْبِرُنَا بِذَلِكَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[3] قَالَ: «إِنْ كَانَتْ الْأَمَةُ مِنَ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَتَنْطَلِقُ حيثُ شَاءَتْ».

فَأَيُّ تَوَاضُع هَذَا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ؟ فَهَلْ رَأَيْتُمْ أَو سَمِعْتُمْ بِمِثْلِ تَوَاضُعِهِ بِأَبِي هُوَ وَ أُمِّي صلى الله عليه وسلم ؟!.

أَتَأْخُذُ الْأَمَةُ مِنَ الْإِمَاءِ بِيَدِ خَيْرِ الْبَرِيَّة، وَأَزْكَى الْبَشَرِيَّةِ فَتَنْطَلِقُ حَيْثُ شَاءَتْ، فَلَا يَأْنَفُ وَلَا يَتَأَفَّفُ وَلَا يَتَضَجَّرُ وَلَا يَتَبَرَّمُ، يَرْكَبُ نَاقَةً لَهُ فَيَأْتِي أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَيَسْبِقُهَا فَيَشُقُّ ذَلِكَ عَلَى الْـمُسْلِمِينَ فَيَقُولُ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[4] مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه : «**إِنَّ حَقًا عَلَى الله أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَا وَضَعَهُ**».

وَيُعَلِّقُ **الْـحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ** رحمه الله عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: «فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَثِّ عَلَى عَدَمِ التَّرَفُّعِ، وَالْحَثِّ عَلَى التَّوَاضُعِ وَالْإِعْلَامِ بِأَنَّ أُمُورَ الدُّنْيَا نَاقِصَةٌ غَيْرُ كَامِلَةٍ».

---

(1) «رواه البخاريُّ» (6247)، واللفْظُ لَهُ، ومسلم (2168).

(2) «رواه البخاريُّ» (6129)، ومسلم (2150).

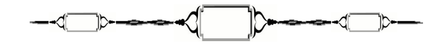
(3) «رواه البخاريُّ» (6072).

(4) «رواه البخاريُّ» (6501).

قَالَ **ابْنُ بَطَّالٍ** رَحِمَهُ اللهُ: «فِيهِ هَوَانُ الدُّنْيَا عَلَى الله، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى تَرْكِ الْـمُبَاهَاةِ وَالْـمُفَاخَرَةِ وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هَانَ عَلَى اللهِ فَهُوَ فِي محَلِّ الضَّعَةِ فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنْ يَزْهَدَ فِيهِ وَيُقَلِّلُ مُنَافَسَتَهُ فِي طَلَبِهِ»[1].

وَيَأْتِي النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَلَمَّا رَأَى هَيْبَتَه أَرْعَدَتْ فَرَائِصُهُ فَيُعْرَفُ ذَلِكَ فِيهِ فَيَقُولُ لَهُ كَمَا فِي «مُسْتَدرَكِ الحَاكِمِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَه الْأَلْبَانيّ فِي «الصَّحِيحَة»[2] مِنْ حديثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ**».

أَيُّهَا النَّاسُ، الحَدِيثُ عَنْ تَوَاضُعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذُوْ شُجُونٍ وَلَعَلَّ فِي هَذَا الْقَدْرِ كِفَايَةٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ. رَزَقَنَا اللهُ حُسْنَ اتِّبَاعِهِ، وَالإتساءِ بِهِ وَالِاهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ.



(1) «الفتح» (11/ 349).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه الحاكم (2/ 466) وصَحَّحه الأَلْبانيُّ في «الصَّحِيحة» (1876).

27 الْحَسَدُ

الخُطْبةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهّ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ حَدِيثي مَعَكُمُ الْيَوْمَ عَنِ الْحَسَدِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، الْحَسَدُ وَمَا أَدْرَاكُمْ مَا الْحَسَدُ؟ الْحَسَدُ مَنْبَعُ الشُّرُورِ الْعَظِيمَةِ وَمِفْتَاحُ الْعَوَاقِبِ الْوَخِيمَةِ.

وَيُعَرَّفُ بِأَنَّهُ كَرَاهَةُ النِّعْمَةَ وَحُبُّ زَوَالِهَا عَنِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ، هَذَا هُوَ تَعْرِيفُهُ وَهُوَ خُلُقٌ قَبِيحٌ بِكُلِّ إِنْسَانٍ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ.

بَلْ هُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْيَهُودِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: 109).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُحَذِّرُ اللهُ الْـمُؤْمِنِينَ مِنْ سُلُوكِ طَرِيقِ الْكُفَارِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَّابِ، وَيُعَلِّمُهُمْ بِعَدَاوَتِهِمْ لَهُمْ فِي الْبَاطِنِ وَ الظَّاهِرِ، وَمَا هُمْ مُشْتَمِلُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَسَدِ لِلْمُؤْمِنِينَ مَعَ عِلْمِهِمْ بِفَضْلِهِمْ وَفَضْلِ نَبِيِّهِمْ».

فَوَصَفَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ يَعْنِي: «مِنْ بَعْدِ مَا أَضَاءَ لَهُمُ الْحَقُّ لَمْ يَجْهَلُوا مِنْهُ شَيْئًا وَلَكِنَّ الْحَسَدَ حَمَلَهُمْ عَلَى الْجُحُودِ فَعَيَّرَهُمْ وَوَبَّخَهُمْ وَلَامَهُمْ أَشَدَّ الْـمَلَامَةِ»(1).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: 54).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَعْني ذَلِكَ حَسَدُهُمْ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى مَا رَزَقَهُ اللهُ مِنَ النُّبُوَّةِ الْعَظِيمَةِ وَمَنْعُهُمْ مِنْ تَصْدِيقِهِمْ إِيَّاهُ حَسَدُهُمْ لَهُ لِكَوْنِهِ مِنَ الْعَرَبِ وَلَيْسَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ»(2).

أَيُّهَا النَّاسُ، كَمَا اتَّصَفَ الْيَهُودُ بِالْحَسَدِ فَهُوَ - أَيْضًا - صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْـمُنَافِقِينَ؛ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (آل عمران: 120).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ (التوبة: 50).

(1) «تفسير ابن كثير» (1/ 184).

(2) «المرجع السابق» (2/ 194).

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا خَلَا جَسَدٌ مِنْ حَسَدٍ لَكِنَّ الْكَرِيمَ يُخْفِيهِ وَاللَّئِيمَ يُبْدِيهِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّة رحمه الله وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ: هَلْ يَحْسُدُ الْمُؤْمِنَ؟ قَالَ: مَا أَنْسَاكَ إِخْوةَ يُوسُفَ!

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (يوسف: 4-5).

قَالَ **ابْنُ الْجَوْزِيِّ** رحمه الله: «لَمَّا تَمَكَّنَ الْحَسَدُ فِي قُلُوبِ إِخْوةِ يُوسُفَ أَرَى الْمَظْلُومَ مَا لِلظَّالِمِ فِي مِرْآةٍ: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾، فَتَلَطَّفُوا بِخِدَاعٍ: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾ وَشَوَّقُوا يُوسُفَ إِلَى رِيَاضٍ: ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ فَلَمَّا أَصْحَرُوا وَأَظْهَرُوا الْمَقْتَ لَهُ، وَرَمَوْا بِسَهْمِ الْعُدْوَانِ مَقْتَلَهُ وَأَغْبَاشَ غَيَابَةِ الْجُبِّ: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ وَبَعْدَ ذَلِكَ وَصَلَ بِهِمْ الْحَسَدُ إِلَى أَنْ يُلْقُوهُ فِي الْجُبِّ وَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُ فَأَخَذَهُ بَعْضَ السَّيَّارَةِ ثُمَّ كَانَ مَآلُهُ إِلَى بَيْتِ الْمُلْكِ بِمَصْرَ، ثُمَّ نَشَأَ وَتَرَعْرَعَ، وَفُتِنَتْ بِهِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ، وَأَنْقَذَهُ اللهُ مِنْ سُوئِهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُخْلَصِينَ ثُمَّ سُجِنَ ثُمَّ أُفْرِجَ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (يوسف: 54)»[1].

أَيُّهَا النَّاسُ، الْحَسَدُ مِنْ أَسْبَابِ هَلَاكِ الْأُمَمِ، وَهُوَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ.

فَقَدْ أَخْرَجَ «الْعِرَاقِيُّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ مِنْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّهُ سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الْأُمَمِ**». قَالُوا: وَمَا دَاءُ الْأُمَمِ؟ قَالَ: «**الْأَشَرُ وَالْبَطَرُ وَالتَّكَاثُرُ وَالتَّنَافُسُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّبَاعُدُ وَالتَّحَاسُدُ حَتَّى يَكُونُ الْبَغْيُ ثُمَّ الْهَرْجُ**»[2].

---

(1) «المدهش» (ص80).

(2) «**صَحِيحٌ**»: «المغني عن حمل الأسفار» (2/ 863).

فَالْحَدِيثُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ قَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْحَسَدَ وَاقِعٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَا هُوَ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ كَمَا دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى عَاقِبَةِ الْحَسَدِ وَأَنَّ عَاقِبَتَهُ تَؤُولُ إِلَى الْبَغْيِ ثُمَّ الْهَرْجِ أَيْ: الظُّلْمِ ثُمَّ الْقَتْلِ.

فَالظُّلْمُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هُوَ نَظِيرُ مَا حَصَلَ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ إِخْوانِهِ وَالْقَتْلُ نَظِيرُ مَا حَصَلَ لِابْنِ آدَمَ مِنْ أَخِيهِ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (المائدة: 27-30).

قَالَ **ابْنُ كَثِيرٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَقُولُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ مُبَيِّنًا عَاقِبَةَ الْبَغْيِ وَالْحَسَدِ وَالظُّلْمِ فِي خَبَرِ ابْنَي آدَمَ لِصُلْبِهِ فِي قَوْلِ الْجُمْهُور وَهُمَا قَابِيلُ وَهَابِيلُ كَيْفَ عَدَا أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ فَقَتَلَهُ بَغْيًا عَلَيْه وَحَسَدًا لَهُ فِيمَا وَهَبَهُ اللهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَتَقَبُّلِ الْقُرْبَانِ الَّذِي أَخْلَصَ فِيهِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ»[1].

أَيُّهَا النَّاسُ، لَمَّا كَانَتْ عَاقِبَةُ الْحَسَدِ وَبِيلَةً فَقَدْ أَمَرَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ بِالتَّعَوُّذِ مِنَ الْحَاسِدِ إِذَا حَسَدَ.

فَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾**﴾ (الفلق: 1-5).

وَحَذَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحَسَدِ.

---

(1) «تفسير ابن كثير» (3/ 50).

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْـحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانا»**.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَزَالُ الْإِنْسَانُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَحْسَدْ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِير» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنَّهُ الْأَلْبَانِيّ في «صَحِيح التَّرْغِيبِ» مِنْ حديثِ ضَمُرَةَ بْنِ ثَعْلَبَة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا»**[2].

وَأَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ كَانَ خَالِيًا مِنَ الْحَسَدِ.

فَفِي «سُنَنِ ابْنِ مَاجَّهْ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيّ في «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»[3] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرو رضي الله عنهما قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **«كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ»**. قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: **«هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا حَسَدَ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَيْسَ مِنْ خُلُقِ الْـمُؤْمِنِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْحَسَدِ.

فَفِي «سُنَنِ النِّسَائِيِّ» وَ«الْإِحْسَانِ لِابْنِ حِبَّانِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيّ في «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»[4] مِنْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهَ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **«لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ: الْإِيمَانُ وَالْـحَسَدُ»**.

---

(1) رواه البخاريُّ (6066)، ومسلم (2563).

(2) «حَسَنٌ»: أخرجه الطَّبرانيُّ في «الكبير» (8/ 8157)، وحَسَّنه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الترغيب» (2887).

(3) «صَحِيحٌ»: أخرجه ابْنُ ماجَهْ (4216)، وصَحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الترغيب» (2889).

(4) «حَسَنٌ»: أخرجه النَّسائيُّ (3111)، وحَسَّنه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الترغيب» (2886).

أَيُّهَا النَّاسُ، التَّنَافُسُ إِذَا لَمْ يَصْحَبْهُ تَقْوَى اللهِ عَاقِبَتُهُ إِلَى الْحَسَدِ، فَالْـمُنَافَسَةُ طَلَبُ التَّشَبُّهِ بِالْأَفَاضِلِ مِنْ غَيْرِ إِدْخَالِ ضَرَرٍ عَلَيْهِمْ وَالحَسَدُ مَصْرُوفٌ إِلَى الضَّرَرِ، فَالْـمُنَافَسَةُ إِذَا صَحِبَها تَقْوَى اللهِ فَهِيَ دَاعِيَةٌ إِلَى اكْتِسَابِ الْفَضَائِلِ وَالِاقْتِدَاءِ بِالْأَخْيَارِ الْأَفَاضِلِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[1] مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِّ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟**».

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِنِ الْـمُهَاجِرِينَ فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ**».

قَالَ **الْقَاضِي عِيَاضٍ** رحمه الله: «قَوْلُهُ: «**تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ**» أَصْلُ التَّنَافُسِ التَّسَابِقِ إِلَى الشَّيْءِ أَيُّهُمْ يأْخُذُهُ أَوَّلًا وَكَأَنَّهُ كَثْرَةُ الرَّغْبَةِ فِي الشَّيْءِ هُوَ أَوَّلُ بَابِ التَّحَاسُدِ»[2].

أَيُّهَا النَّاسُ، هُنَاكَ نَوْعٌ مِنَ الْحَسَدِ الْمَحْمُودِ وَهُوَ أَنْ يَتَمَنَّى الرَّجُلُ مِثْلَ عَمَلَ أَخِيهِ أَوْ أَفْضَلَ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ تَمَنِّيِّ زَوَالِ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى أَخِيهِ فَهَذِهِ يُسَمِّيهِ الْعُلَمَاءُ الْغِبْطَةَ.

قَالَ **الْكَفَوِيُّ** رحمه الله: «الْغِبْطَةُ: تَمَنِّي الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ الَّذِي لِغَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةِ إِذْهَابِ مَا لِغَيْرِهِ ،أَمَّا الْحَسَدُ فَهُوَ إِرَادَةُ زَوَالِ نِعْمَةِ الْغَيْرِ ثُمَّ إِنَّ الْغِبْطَةَ صِفَةُ الْـمُؤْمِنِ وَالْحَسَدُ صِفَةُ الْـمُنَافِقِ»[3].

---

(1) رواه مسلم (2962).

(2) إكمال المعلم (8/ 513).

(3) «الكليات» (242).

فَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْحَسَدِ سَمَّاهُ الْعُلَمَاءُ الْغِبْطَةَ وَقَدْ سَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ حَسَدًا.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَآخَرُ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»**.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[2] مِنْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَسَمِعَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا لَيْتَنِي أُوتيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا فَعَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ هَذَا، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا لَيْتَنِي أُوتيتُ مَا أُوتِيَ هَذَا فَعَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ هَذَا»**.

أَيُّهَا النَّاسُ، عَلِمْتُمُ الْحَسَدَ الَّذِي نَهَى عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا فِي مَوْضُوعَيْنِ هُوَ الَّذِي سَمَّاهُ الْعُلَمَاءُ الْغِبْطَةَ. وَهُوَ أَنْ يُحِبَّ مِثْلَ حَالِ الْغَيْرِ وَيَكْرَهُ أَنْ يَفْضُلَ عَلَيْهِ فَهَذَا مَحْمُودٌ مَرْغُوبٌ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُحِبُّ زَوَالَ ذَلِكَ الْخَيْرِ عَنْ غَيْرِهِ وَلَا يَتَمَنَّى ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، وَمَتَى أَحَبَّ أَنْ تَكُونَ لَهُ مِثْلُ مَا لِغَيْرِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَقَامَ فِي نَفْسِهِ حُبُّ زَوَالِ ذَلِكَ الْخَيْرِ عَنْ غَيْرِهِ أَوْ تَمَنَّى ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ فَهُوَ الْحَسَدُ الْمَذْمُومُ الَّذِي نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ.

وأَسْتَغْفِرُ الله.

---

(1) رواه البخاريُّ (5025)، ومسلم (816).

(2) رواه البخاريُّ (5026).

الخُطْبَةُ الثَّانيةُ ـ عِلاجُ الحَسَدِ :

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينْ.

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنِ الْحَسَدِ وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ عِلَاجِ الْحَسَدِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، عِلَاجُ الْحَسَدِ مِنْهُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَاسِدِ وَمِنْهُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَحْسُودِ.

فَعِلاجُ الْمَحْسُودِ مَا يَأْتِي:

1ـ الرُّجُوعُ إِلَى اللهِ وَتَجْرِيدُ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي سَلَّطَتْ عَلَيْهِ أَعْدَاءَهُ، فَإِنَ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ يَقُولُ: ﴿ **وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾ (الشورى: 30).

2ـ التَّعَوُّذُ بالله مِنْ شَرِّ الْحَاسِدِ:

وَالتَّعوُّذَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ كَمَا فِي سُورَةِ الْفَلَقِ، وَيَحْسُنُ قِرَاءَةُ الْمُعَوِّذَاتِ الثَّلاثِ (الْإِخْلَاصَ، وَالْفَلَقِ، وَالنَّاسِ) دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ وَحِينَ نُصْبِحُ وَحِينَ نُمْسِي وَإِذَا أَوَيْنَا إِلَى فِرَاشِنَا وَإِلَى هَذَا أَرْشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ وَذلِكَ؛ لِأَنَّ الْحَسَدَ يَشْتَرِكُ مَعَ الْعَيْنِ فِي الْأَثَرِ حَيْثُ يُسَبِّبَانِ ضَرَرًا لِلَمْعِينِ وَالْمَحْسُودِ وَيَخْتَلِفَانِ فِي الْمَصْدَرِ، فَمَصْدَرُ الْحَسَدِ تَحَرُّقُ الْقَلْبِ وَاسْتِكْثَارُ النِّعْمَةِ عَلَى الْمَحْسُودِ، وَتَمَنِّي زَوَالِهَا عَنْهُ، وَأَمَّا الْعَائِنُ فَمَصْدَرُهُ انْقِدَاحُ نَظْرَةِ الْعَيْنِ لِذَا قَدْ يُصِيبُ مَنْ لَا يَحْسُدُهُ.

3ـ التَّوَكُّلُ عَلَى الله فَإِنَّ اللهَ هُوَ حَسْبُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَكَافِي مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ** ﴾ (الطلاق: 3).

4ـ تَقْوَى الله وَحِفْظُهُ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق: 2).

أَيُّهَا النَّاسُ، ذَلِكَ شَيْءٌ مِنْ عِلَاجِ الْـمَحْسُودِ، وَأَمَّا عِلَاجُ الْحَسَدِ فَالْحَدِيثُ عَنْهُ ذُو شُجُونٍ فَمِنْهُ: تَقْوَى الله وَالصَّبْرُ الْجَمِيلُ فَمَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ حَسَدًا لِغَيْرِهِ فَلْيَسْتَعْمِلْ مَعَهُ الصَّبْرَ وَالتَّقْوَى فَيَكْرَهُ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ.

ـ وَمِنْ عِلَاجِ الْحَسَدِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الاسْتِسْلَامُ لِلْمَقْدُورِ وَالرِّضَى بِالْقَضَاءِ وَلَا يَرَى أَحَدٌ أَنْ يُغَالِبَ قَضَاءَ الله فَيَرْجِعَ مَغْلُوبًا. فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «مَنْ رَضِيَ بِقَضَاءِ الله ـ تَعَالَى ـ لَمْ يَسْخَطْهُ أَحَدٌ وَمَنْ قَنِعَ بِعَطَائِهِ لَمْ يَدْخُلْهُ حَسَدٌ».

ـ وَمِنْ عِلَاجِ الْحَسَدِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ذِكْرُ الْمَوْتِ.

فَقَدْ قَالَ **أَبُو الدَّرْدَاءِ** رضي الله عنه: «مَا أَكْثَرَ عَبْدٌ ذِكْرَ الْمَوْتِ إِلَّا قَلَّ فَرَحُهُ وقَلَّ حَسَدُهُ».

ـ وَمِنْ عِلَاجِ الْحَسَدِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ يَعْلَمَ الْحَاسِدُ أَنَّهُ يَجْلُبُ لِنَفْسِهِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ وَالْكَرْبَ فَتَرْكُ الْحَسَدِ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الرَّاحَةِ.

قَالَ **ابْنُ الْـمُعْتَزِّ**: «الْحَسَدُ دَاءُ الْجَسَدِ».

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «يَكْفِيكَ مِنَ الْحَاسِدِ أَنَّهُ يَغْتَمُّ وَقْتَ سُرُورك».

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «مَا رَأَيْتُ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ مِنَ الْحَسُودِ نَفَسٌ دائمٌ وَهَمٌّ لازِمٌ وَقَلْبٌ هَائِمٌ».

وَلَعَلَّ فِي هَذَا الْقَدْرِ كِفَايَةً لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ .

اللَّهُمَّ إِنَا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَسَدِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ.

28 التَّحذيرُ مِنَ البُخْل

الخُطْبةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثي مَعَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عَنِ **«التَّحْذِيرِ مِنَ الْبُخْلِ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا مِنْ شَكٍّ أَنَّ الْبُخْلَ مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ الْمُجْتَمَعِ بَلْ هُوَ الدَّاءُ الدَّاوِي.

فَقَدْ أَخرَجَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْـمُفْرَدِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الرَّوْضِ النَّضِيرِ» مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟**»[1].

(1) رواه البخاريُّ (5025).

أَيُّهَا النَّاسُ، جُبِلَتْ النُّفُوسِ عَلَى بُغْضِ الْبَخِيلِ؛ لِأَنَّهُ بَعِيدٌ مِنَ اللهِ بَعِيدٌ مِنْ خَلْقِهِ بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لِلْبُخْلِ مَسَاوِئُ جَمَّةٌ غَزِيرَةٌ سَوْفَ اقْتَصِرُ بِذِكْرِ طَرَفٍ مِنْهَا، فَمِنْهَا:

1 - أَنَّ الْبَخِيلَ يَظُنُّ أَنَّهُ بِبُخْلِهِ يُحَافِظُ عَلَى مَالِهِ وَهُوَ إِنَّمَا يُحْرِمُ نَفْسَهُ ثَوَابَ الله. أَلَمْ يَقُلِ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ **إِنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَاللَّهُ الْغَنِىُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾** ﴾ (محمد: 36-38).

قَالَ **ابْنُ كَثِيرٍ** رَحِمَهُ اللهُ: «يَقُولُ تَعَالَى تَحْقِيرًا لِأَمْرِ الدُّنْيَا وَتَهْوِينًا لِشَأْنِهَا: ﴿ **إِنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ** ﴾ أَيْ حَاصِلُهَا ذَلِكَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا لله - عَزَّ وَجَلَّ - وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ **وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ** ﴾ أَيْ هُوَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ لَا يَطْلُبُ مِنْكُمْ شَيْئًا وَإِنَّمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ الصَّدَقَاتِ مُوَاسَاةً لِإِخْوَانِكُمُ الْفُقَرَاءِ لِيَعُودَ نَفْعُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ وَيَرْجِعَ ثَوَابُهُ إِلَيْكُمْ ثُمَّ قَالَ - جَلَّ جَلَالَهُ - : ﴿ **إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا** ﴾ أَيْ: يُحْوِجُكُمْ تَبْخَلُوا ﴿ **وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ** ﴾».

قَالَ قَتَادَةُ: قَدْ عَلِمَ اللهُ - تَعَالَى - أَنَّ فِي إِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ إِخْرَاجُ الْأَضْغَانِ، وَصَدَقَ قَتَادَةُ فَإِنَّ الْمَالَ مَحْبوبٌ وَلَا يُصْرَفُ إِلَّا فِيمَا هُوَ أَحَبُّ إِلَى الشَّخْصِ مِنْهُ وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿ **هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ** ﴾ أَيْ لَا يُجِيبُ إِلَى ذَلِكَ. ﴿ **وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ** ﴾ أَيْ: إِنَّمَا نَقَصَ نَفْسَهُ مِنَ الْأَجْرِ وَإِنَّمَا يَعُودُ وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ»[1].

(1) «تفسير ابن كثير» (7/ 216).

2- أَنَّ الْبَخِيلَ يُجَازَى بِعَمَلِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا شَكَّ أَنَّ الْبَخِيلَ يُجَازَى بِعَمَلِهِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ كَمَا قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١)﴾ (الليل: 8-11).

فَالْآيَاتُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ تَضَمَّنَتْ الْوَعِيدْ بِالتَّعْسِيرِ لِمَنْ بَخِلَ بِمَالِهِ وَاسْتَغْنَى عَنْ رَبِّهِ ـ عَزَّ وَجلَّ ـ وَكَذَّبَ بِالْجَزَاءِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

قَالَ **ابْنُ كَثِيرٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ أَيْ: لِطَرِيقِ الشَّرِّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الأنعام: 110).

وَالْآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يُجَازِي مَنْ قَصَدَ الْخَيْرَ بِالتَّوْفِيقِ وَمَنْ قَصَدَ الشَّرَّ بِالْخُذْلَانِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدَرٍ مُقَدَّرٍ»[1].

3- أَنَّ جَمْعَ الْمَالِ مَعَ الْبُخْلِ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنَّ جَمْعَهُ الْمَالَ مَعَ الْبُخْلِ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعُهُ بَلْ هُوَ مَضَرَّةٌ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (آل عمران: 180).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[2] مِنْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ آتَاهُ الله مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ**

---

(1) المرجع السابق (8/ 261).

(2) رواه البخاريُّ (1403).

يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي شِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾».

4 - أَنَّ الْـمَلَائِكَةَ يَدْعُونَ عَلَى الْـمُمْسِكِ بِالتَّلَفِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْعَاقِبَةِ الْعَاجِلَةِ لِلْبَخِيلِ إِلَّا دُعَاءُ الْـمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ بِتَلَفِ أَمْوَالِهِ لَكَانَ فِي ذَلِكَ كِفَايَةٌ فِي ارْتِدَاعِهِ فَكَيْفَ وَقَدْ جَمَعَ الْبُخْلُ آفَاتٍ كَثِيرَةً تَفُوقُ الْحَصْرَ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ إِلَّا وَمَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**».

أَيُّهَا النَّاسُ، الدُّعَاءُ بِالتَّلَفِ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ. فَقَدْ يَكُونُ أَصْلُ الْمَالِ أَوْعَيْنُهُ مَوْجُودًا، لَكِنْ لَا بَرَكَةَ لَهُ، وَقَدْ تَتْلُفُ نَفْسُ صَاحِبِ الْمَالِ، وَالْمُرَادُ بِهِ فَوَاتُ أَعْمَالِ الْبِرِّ بِالتَّشَاغُلِ بِغَيْرِهَا كَمَا قَالَ ذَلِكَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رحمه الله[2].

5 - إِنَّ مَنْعَ الْعَبْدِ الْحَقَّ الْوَاجِبَ وَبَالٌ ذَلِكَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مَنْعَ الْعَبْدِ الْحَقَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ كَالزَّكَاةِ أَو النَّفَقَاتِ الْوَاجِبَةِ لِلزَّوْجَاتِ أَوِ الْأَقَارِبِ، أَوِ النَفَقَةِ فِي سَبِيلِ الله إِذَا وَجَبَتْ فَهُوَ مِمَّنْ يَشْمَلُهُمْ قَوْلُهُ - تَعَالَى - : **﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ**

(1) رواه البخاريُّ (1442)، ومسلم (1010).

(2) «فتح الباري» (3/ 305).

أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة: 34-35).

6- إِنَّ الْبُخْلَ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مَا مِنْ شَكٍّ أَنَّ الْبُخْلَ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ النَّارِ الَّتِي يُعْرَفُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[1] مِنْ حديثِ عَيَاضِ بْنِ حمارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**أَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذي لَا زَبْرَ لَهُ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوْ الْكَذِبَ وَالشِّنْظِيرَ وَالْفَحَّاشَ**».

فَقَوْلُهُ الضَّعِيفُ الَّذي لَا زُبْرَ لَهُ أَيْ لَا عَقْلَ لَهُ بزَبُرُهُ وَيَمْنَعُهُ مِمَّا لَا يَنْبَغِي، وَأَمذَا الشِّنْظِيرُ فَهُوَ السَّيِّءُ الْخُلُقِ.

وَفِي «مُسند أحمد» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَححه الْأَلْبَانِي فِي «الصَّحِيحَة»[2] مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرو رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَهْلَ النَّارِ كل جعظري جوَّاظ مستكبر جمَّاع مَنَّاعٌ، وأَهْلُ الجنَّةِ الضُّعفاءُ المغْلُوبون**».

7- أَنَّ البخل من أشراط الساعة.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَنَّ البخل قد يوضع فِي القلوب حَتَّى لا يجد العبد له فكاكًا.

---

(1) رواه مسلم (2865).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (142)، وصححه الأَلْبانيُّ في «الصَّحِيحة» (1741).

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يتقارب الزمان، وينقص العمل ويلقي الشُّحُّ، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج**». قَالوا: يَا رَسُولَ الله أَيُّمَا هُوَ؟. قَالَ: «**القتل القتل**».

والشح ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هُوَ البخل بأداء الحقوق.

قَالَ **الْـحَافظ ابْنُ حَجَرٍ** ﵀: «قَوْلُهُ: «**يلقي الشُّحُّ**» فَالُمرَادُ إلقاؤه فِي قلوب الناس على اختلاف أحوالهم حتى يبخل العالم بعلمه فيترك التعليم والفتوى، ويبخل الصانع بصناعته حتى يترك تعليم غيره، ويبخل الغني بمالِهِ حتى يهلك الفقير، وليس المراد أصل الشح لأنه لم يزل موجودًا»[2].

أَيُّهَا النَّاسُ، مِنْ محاسن ديننا الحنيف أَنَّهُ حث عَلَى الكرم بَلْ أَنَّهُ كره لأهله الإحصاء فِي الانفاق عَلَى الغير وندب إِلَى الانفاقِ بغيرِ حسابٍ.

فَفِي «الصَّحيحَيْنِ»[3] مِنْ حديثِ أَسْمَاء ﵄ أَنَّ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: «**أنفقي ولَا تُحصِي فَيُحصِي الله عليك، ولَا توعي فَيُوعِيَ اللهُ عليك**».

قَالَ **الْـحَافظ ابْنُ حَجَرٍ** ﵀: «الإحصاء معرفة قدر الشيء وزنًا أو عددًا وَهُوَ مِنْ بَابِ المقابلة، والمعنى النهي عَنْ مَنْعِ الصَّدقة خشية النفاد، فَإِنَّ ذَلِكَ أعظم الأسباب لقطع البركة، لأنَّ الله يثب على العطاء بغيرِ حسابٍ، ومن لا يحاسب عند الجزاء لا يحسب عليه عند العطاء، ومن علم أَنَّ الله يرزقه من حيثُ لَا يحتسب فحقه أَنَّ يُعطي وَلَا يحسب»[4].

---

(1) رواه البخاريُّ (7061)، ومسلم (157).

(2) «فتح الباري» (13/ 17).

(3) رواه البخاريُّ (1433)، ومسلم (1028).

(4) «فتح الباري» (3/ 300).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَعَلَّ هُنَاكَ مَنْ يَظُنُّ أَنِّي أُخَاطِبُ أَهْلَ الدُّثُورِ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ، كَلَّا فَخِطَابِي إِنَّمَا هُوَ لِلْجَمِيعِ فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْـمُقِلِّ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ ؟أَجْرًا؟ قَالَ: «**أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومُ قُلْتَ لِفُلانٍ كَذَا وَلِفُلانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ**».

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ إِنَّ أَبْخَلَ الْبُخْلِ البُخْلُ عَلَى النَّفْسِ وَعَلَامَ يَبْخَلُ أَحَدُنَا عَلَى نَفْسِهِ وَاللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعَمِهِ عَلَى عَبْدِهِ وَإِظْهَارُ النِّعْمِةِ هُوَ جُزْءٌ مِنَ التَّحَدُّثِ بِهَا واللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ يَقُولُ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: 11).

فَإِذَا وَسَّعَ اللهُ عَلَيْنَا فَعَلَيْنَا أَنْ نُظْهِرَ أَثَرَ تِلْكَ النَّعْمَةِ فِي طعامِنا وَشَرَابِنَا وَمَلْبَسِنَا وَمَرْكَبِنَا وَمَسْكَنِنا.

فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَّهْ وَالنَّسَائِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَححه الْأَلْبَانِي فِي «صَحِيح أَبِي دَاوُدَ»[2] مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي ثَوْبٍ دُونَ، فَقَالَ: «**أَلَكَ مَال؟**». قَالَ: نَعَمْ، قَال: «**مِنْ أَيِّ الْـمَالِ؟**». قَالَ: قَدْ آتانِي اللهُ مِنَ الْإِبِلَ وَالْغَنَمِ وَالْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ، قَالَ: «**فَإِذَا آتَاكَ اللهُ مَالًا فَلْيُرَ أَثَرُ نِعْمةِ اللهِ عَلَيْكَ وَكَرَامَتُهُ**».

---

(1) رواه البخاريُّ (1419)، ومسلم (1032).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أبو داوُدَ (4063)، وابْنُ ماجَهْ (3573))، وصَحَّحه الأَلْباني في «صَحِيح أبي داود» (3428).

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِي فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»[1] مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ**».

وأَسْتَغْفِرُ الله.

الخُطْبَةُ الثَّانيةُ ـ جُودُ النَّبيِّ ﷺ وبُعْدِهِ عَنِ البُخْلِ:

الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى الْـمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينِ، نَبِيِّنَا مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ. **أمَّا بَعْدُ،**

أَيُّهَا النَّاسُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنِ التَّحْذِيرِ مِنَ الْبُخْلِ، وَالآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ جُودِ النَّبِيِّ ﷺ وَسَخَاؤُهُ وَبُعْدِهِ عَنِ الْبُخْلِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، «نَبِيُّنَا مُحَمَّد ﷺ هُوَ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ، وَأَزْكَي الْبَشَرِيَّةِ، وَأَعْلَاهَا رُتْبَةً، وَأَجَلُّهَا قَدْرًا، وَأَحْسَنُهَا خُلُقًا، وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ اخْتَارَهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ، وَأَكْرَمَهُ بِالرِّسَالَةِ وَأَيَّدَهُ بِالْوَحْي. جَبَلَهُ عَلَى حَمِيدِ الْخِلَالِ، وَفَطَرَهُ عَلَى كَرِيمِ الْخِصَالِ، ثُمَّ أَدَّبَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبهُ، وَرَبَّاهُ فَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ، فَكَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ أُمُّ الْـمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها عِنْدَمَا سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِهِ»[2][3].

وَهُوَ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ، الَّذي أَمَرَنَا اللهُ بِالتَّأَسِّي بِهِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ.

---

(1) «**حَسَنٌ**»: أخرجه الترمذيّ (2819) وحَسَّنه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (1887).

(2) رواه مسلم (746).

(3) انظر «سوء الخلق» للحمد (167).

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: 21).

فَهَذِهِ الْآيَةَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ تُؤَكِّدُ اتِّبَاعَ النَّبِيِّ ﷺ وَالِاقْتِدَاءُ بِهِ وَاعْتِبَارَ ذَلِكَ الْأَصْلِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ نَنْطَلِقَ مِنْهُ لِتَصْحِيحِ أَخْلَاقِنَا وَتَقْوِيمِ سُلُوكِنَا[1].

أَيُّهَا النَّاسُ، تَعَالَوا بِنَا لِنَقِفَ قَلِيلًا عَلَى شَيْءٍ مِنْ جُودِهِ وَكَرَمِهِ فَقَدْ كَانَ ﷺ كَمَا يَصِفُهُ خَادِمُهُ أَنَسٌ رضي الله عنه : «أَحْسَنُ النَّاسِ وَأَجْوَدُ النَّاسِ وَأَشْجَعُ النَّاسِ». وَالحَدِيث فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[2].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» ـ أَيْضًا ـ مِنْ حَدِيثِ جَابر رضي الله عنه قَالَ: «مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ لَا»[3].

مَا قَالَ لَا ـ قَطُّ ـ إِلَّا فِي تَشَهُّدِه ... لَوْلَا التَّشَهُّدُ كَانَتْ لَاؤُهُ نَعَمُ
يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَان رَاحَتِهِ ... رُكنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

أَيُّهَا النَّاسُ، تَعَالَوْا نَنْظُرْ إِلَى عَطَائِهِ بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي وَبُعْدِهِ عَنِ الْبُخْلِ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[4] مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي جُبَيْرُ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مُقْفِلة مِنْ حُنَيْنٍ، مغلقت النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سُمْوةٍ فخطِفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ:

---

(1) انظر «الأخلاق بين الطبع والتطبع» لراقمه.

(2) رواه البخاريُّ (2820)، ومسلم (2307).

(3) رواه البخاريُّ (6034)، ومسلم (2311).

(4) رواه البخاريُّ (2821).

«أُعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدَ هَذِهِ الْعِضَاةِ نعمًا لقَسَمْتُه بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلمٍ» عَنْ أَنَسٍ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ»(1).

قَالَ **النَّوَوِيُّ** ؒ: «أَيْ كَثِيرَةٌ كَأَنَّهَا تَمْلَأُ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ».

إِلَيْهِ وَإِلَّا لَا تُشَدُّ الرَّكَائِبُ ... وَمِنْهُ وَإِلَّا فَالْمُؤَمِّلُ خَائِبُ
وَفِيهِ وَإِلَّا فَالْغَرَامُ مُضَيَّعُ ... وَعَنْهُ وَإِلَّا فَالْمُحَدِّثُ كَاذِبُ

أَيُّهَا النَّاسُ، لَعَلَّ فِي هَذَا الْقَدْرِ كِفَايَةً لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ فَاللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ بِهِ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، وَنَسْتَعِيذُكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ بِهِ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ يَسْتَعِيذُكَ مِنَ الْبُخْلِ وَنَحْنُ نَسْتَعِيذُكَ مِمَّا اسْتَعَاذَكَ بِهِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، صَلُّو وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكُمُ الله بِالصَّلَاةِ وَالسَّلامِ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (الأحزاب: 56).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلمٍ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهُ ﷺ: **«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»**(2).

---

(1) رواه مسلم (2312).

(2) رواه مسلم (408).

وَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيَّ فِي «الْمِشْكَاةِ» مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهُ صلى الله عليه وسلم: «**الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**»[1].

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».



(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه الترمذي (3795) وصحَّحه الأَلْبانيُّ في «المشكاة» (933).

29 قِصَّةُ مُوسَى والْخَضِر

الخُطْبَةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهّ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: 1).

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ قِصَّةِ مُوسَى وَالخَضِرِ عليهما السلام.

أَيُّهَا النَّاسُ، اعْلَمُوا - عَلَّمَنِي اللهُ وَإِيَاكُمْ - أَنَّ الْخَضِرَ عليه السلام كَانَ نَبِيًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَهَذَا هُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ لِأَدِلَّةٍ مِنْهَا:

- قَوْلُ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (الكهف: 65)، فَالْعَبْدُ هُوَ الْخَضِرُ عليه السلام فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ.

- وَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴾ (الكهف: 65).

فَالرَّحْمَةُ هِيَ النُّبُوَّةُ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ كَمَا فِي قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ (الزخرف: 32).

ـ وَالْعِلْمُ الْوَارِدُ فِي قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾.

هُوَ عِلْمُ الْوَحْيِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء: 113).

ـ وَقَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾ (يوسف: 68).

وَهَذَا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هُوَ التَّفْسِيرُ الصَّحِيحُ الَّذي عَلَيْهِ الْكِتَابُ ـ أَيْ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ وَتَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِالسُّنَّةِ وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

أَمَّا لِمَاذَا سُمِّيَ الْخَضِرُ بِهَذَا الاسْمِ فَيُخْبِرُنَا بِذَلِكَ نَبِيُّنَا ﷺ فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّمَا سُمِّيَ الْـخَضِرُ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ، دَعُونِي أُحَلِّقُ بِكُمْ فِي رِيَاضِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ حَيْثُ النَّبْعِ الصَّافِي وَالْمَوْرِدِ الْعَذْبِ حيثُ يَنْهَلُ مِنْهُمَا كُلُّ وَارِدٌ فَنَأْخُذُ مَا صَفَى وَنَتْرُكُ مَا كَدَرَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَمَّا سَبَبُ اجْتِمَاعِ نَبِيِّ اللهِ مُوسَى وَكَلِيمِهِ بِعَبْدِ اللهِ وَنَبِيِّهِ الْخَضِرِ ـ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ فَيُحَدِّثُنَا عَنْ تَفَاصِيلَ هَذَا اللِّقَاءِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلمٍ»[2] مِنْ حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهُ ﷺ يَقُولُ: **«بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ**

---

(1) رواه البخاريُّ (3402).

(2) رواه البخاريُّ (3400)، ومسلم (2380).

تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ: لَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى: بَلَى، عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ لَهُ الْـحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الْـحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ فَكَانَ يَتْبَعُ أَثَرَ الْـحُوتِ فِي الْبَحْرِ. فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ فَقَالَ مُوسَى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾، فَوَجَدَا خَضِرًا فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي قَصَّ اللهُ فِي كِتَابِهِ».

فَقَدْ دَلَّ الْحَدِيثُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَلَى سَبَبِ اجْتِمَاعِ مُوسَى الْكَلِيمِ بِنَبِيِّ اللهِ وَعَبْدِهِ الْخَضِرِ عليهما السلام كَمَا صَرَّحَ الْحَدِيثُ باسْمِ نَبِيِّ اللهِ وَعَبْدِهِ وَأَنَّهُ الخَضِرَ عليه السلام وَفِيمَا يَأْتِي مَزِيدُ بَيَانٍ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] ـ أَيْضًا ـ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ «وَهُوَ الثَّوْرِيُّ» قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَار قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاس إِنَّ نوفَا الْبُكَائِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ لَيْسَ هُوَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ، فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ الله، حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ مُوْسَى قَام خَطيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيل، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاس أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَعَاتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: بَلَى، لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ: أَيُّ رَبِّي وَمَنْ لِي بِهِ**» وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَان: أَيْ رَبِّ وَكَيْفَ لِي بِهِ ـ قَالَ: تَأْخُذُ حُوْتًا، فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، حَيْثُمَا فُقِدَ الحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ وَرُبَّمَا قَالَ: فَهُوَ ثَمَّهْ.

وَأَخَذَ حُوتًا، وَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ حَتَّى إِذَا أَتَيا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا فَرَقَدَ مُوسَى وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فَخَرَجَ، فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، فَأَمْسَكَ اللهُ عَنِ الْحُوتِ جَرْيَهُ الْـمَاءَ فَصَارَ مِثْلَ الطَّاق

---

(1) رواه البخاريُّ (340)، ومسلم (2380).

فَقَالَ: هَكَذَا مِثْلَ الطَّاقِ، فَانْطَلَقَا يَمْشيَانِ بَقِيَّةُ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمِهِمَا حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ قَالَ لَهُ فَتَاهُ: أَرَأَيْت إِذَا أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ، وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَلَهُمَا عَجَبًا قَالَ لَهُ مُوسَى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا، رَجَعَا يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ مُوسَى فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ وَأَنِّيّ بِأَرْضِكَ السَّلَامُ، قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا، قَالَ: يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ اللهُ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَمَّكَهُ اللهُ لَا أَعْلَمهُ أَنَا، قَالَ: هَلْ اتَّبِعُكَ؟ قَالَ: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحلِ الْبَحْرِ، فَمُرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ كَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَلَمَّا رَكِبَ فِي السَّفِينَةِ جَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ، قَالَ لَهُ الْخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ، إِذْ أَخَذَ الْفَأْسَ فَنَزَعَ لَوْحًا. قَالَ: فَلَمْ يَفْجَأْ مُوسَى إِلَّا وَقَدْ قَلَعَ لَوْحًا بِالْقَدُّومِ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: مَا صَنَعْتَ؟ قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمِدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا. قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا، قَالَ: لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا، فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا، فَلَمَّا خَرَجَا مِنَ الْبَحْرِ مَرُّوا بِغُلَامٍ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَقَلَعَهُ بِيَدِهِ هَكَذَا، أَوْمَأَ سُفْيَانُ بِأُصْبعُهُ كَأَنَّهُ يَقْطِفُ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ مُوسَى:

﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ ، مَائِلًا، أَوْمَأَ بِيَدِهِ هَكَذَا وَأَشَارَ سُفْيَانُ كَأَنَّهُ يَمْسَحُ شَيْئًا إِلَى فَوْقٍ، فَلَمْ أَسْمَعْ سُفْيَانَ يَذْكُرُ مَائِلًا إِلَّا مَرَّةً. قَالَ: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطعِمُونَا وَلَمْ يُضِيفُونَا عَمَدْتَ إِلَى حَائِطِهِمْ، لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا. ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ .

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ فقصَّ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا**».

قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوْسَى لَوْ كَانَ صَبَرَ لَقُصَّ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا**».

أَيُّهَا النَّاسُ، تِلْكَ أَحَادِيثُ صِحَاحٌ تُفَصِّلُ مَا أُجْمِلَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى مَعَ الْخَضِرِ عليهما السلام وَاللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ يَقُولُ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: 44).

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ زَعَمَ أَقْوَامٌ أَنَّ الْخَضِرَ عليه السلام لَا يَزَالَ حَيًّا وَهُذَا الْقَوْلُ بَاطِلٌ لأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّة. أَمَّا الْكِتَابُ فَقَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَٰلِدُونَ﴾ (الأنبياء: 34).

فَقَوْلُهُ: ﴿لِبَشَرٍ﴾ نكِرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّفْي تَعُمَّ كُلَّ الْبَشَرِ، وَالْخَضِرُ دَاخِلٌ فِي هَذَا الْـمَعْنَى.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلمٍ»[1] مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهُ ﷺ: «**اللَّهُمَ! إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ**».

---

(1) رواه مسلم (1763).

وَمِنْ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَوْتِ الْخَضِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِخْبَارُهُ ﷺ بِأَنَّهُ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ اللَّيْلَةِ الَّتِي تَكَلَّمَ فِيهَا بِالْحَدِيثِ لَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِمَّنْ عَلَيْهَا تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَلَوْ كَانَ الْخَضِرُ حَيًّا فِي الْأَرْضِ لَمَا تَأَخَّرَ بَعْدَ الْمِائَةِ الْمَذْكُورَةِ.

فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الْجَامِعِ»[1] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنهَا لَا يَبْقَى مَنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ**».

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَوْ كَانَ الْخَضِرُ حَيًّا إِلَى زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَكَانَ مِنْ أَتْبَاعِهِ، وَلَنَصَرَهُ وَلَقَاتَلَ مَعَهُ لِأَنَّه ﷺ مَبْعُوثٌ لِلنَّاسِ كَافَّةً بَلْ لِجَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

وَحَتَّى لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعُ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ - أَيْ مُوسَى - خَيْرٌ مِنَ الْخَضِرِ عليه السلام وَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ كَمَا فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «إِرْوَاءِ الْعَلِيلِ»[2] مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**».

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا يُشَاهِدُهُ بَعْضُ الْجُهَّالِ فِي الْوَاقِعِ أَحْيَانًا مِنَ التَّبَجُّحِ بِرُؤْيَةِ الْخَضِرِ إِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ لِيُلَبِّسَ عَلَيهِمْ دِينَهُمْ وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ بِالله.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ **ابْنُ تَيمِيَةَ** رحمه الله: «وَلَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ رَأَى الْخَضِرَ وَلَا أَنَّهُ أَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّ الصَّحَابَةِ كَانُوا أَعْلَمَ وَأَجَلَّ قَدْرًا مِنْ أَنْ يُلَبِّسَ

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أبو داوُدَ (4348)، والترمذي (2366)، وصححه الألْبانيُّ في «صَحِيح الجامع» (871).

(2) «**حَسَنٌ**»: أخرجه أحمدُ (15223) وحَسَّنه الألْبانيُّ في «الإرواء».

الشَّيْطَانُ عَلَيْهِم، وَلَكِنْ لَبَّسَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بَعْدِهِم فَصَارَ يَتَمَثَّلُ لِأَحَدِهِمْ فِي صُورَةِ النَّبِيِّ، وَيَقُولُ: أَنَا الخَضِرَ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»[1].

وأَسْتَغْفِرُ الله.

الخُطْبَةُ الثَّانيةُ ـ قِصَّةُ مُوسَى والْخَضِرِ:

الْحَمْدُ لله الْقَائِلُ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ (يوسف: 3).

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد ﷺ القَائِلِ كَمَا فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»[2] مِنْ حَدِيثِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيَّ رضي الله عنه: «**أُوتِيتُ الْقُرآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**».

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَمَّا فَصَّلَتْهُ السُّنَّةُ مِنْ قِصَةِ مُوسَى الْكَلِيمِ مَعَ عَبْدِ الله وَنَبِيِّهِ الْخَضِرِ عليه السلام فَإِلَيْكُمْ مَا حَكَاهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا

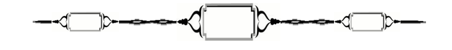
---

(1) «مجموع الفتاوى» (27/ 18).

(2) «صَحِيحٌ»: أخرجه أحمدُ (17306) وصَحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح أبي داود» (3804).

لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةَۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِيۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِيۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (الكهف: 60-82).

اللَّهُمَ اقْسِمُ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمْنَا.



30 قِصَّةُ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ حَدِيثي مَعَكُمُ الْيَوْمَ عَنْ قِصَّةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسُوقُهَا إِلَيْكُمْ امْتِثَالًا لِقَوْلِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ (هود: 120).

نَسُوقُهَا لِتَثْبِيتِ الْفُؤَادِ كَمَا نَسُوقُهَا لِلِاتِّعَاظِ وَالِاعْتِبَارِ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (يوسف: 111).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ ذَكَرَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ نَبِيَّهُ يُونُسَ فِي أَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بَلْ فِي كِتَابِ اللهِ سُورَةٌ بِاسْمِهِ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (الصافات: 139-148).

وَقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنبياء: 87-88).

وَقَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (القلم: 48-50).

وَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ (النساء: 163).

وَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (يونس: 98).

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْآيَاتِ إِنَّمَا هِيَ تَتَحَدَّثُ عَنْ نَبِيٍّ كَرِيمٍ إِنَّهُ يُونُسُ ـ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ إِنَّهُ ذُو النُون وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ هَذَا الِاسْمُ (ذُو النُونِ) لِالْتِقَامِ الْحُوتِ لَهُ، وَالنُّونُ هُوَ الْحُوتُ فَهُوَ صَاحِبُ الْحُوتِ.

إِنَّهُ يُونُس بْنُ مَتَّى كَمَا نَسَبَهُ نَبِيُّنَا ﷺ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**». وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيه.

(1) رواه البخاريُّ (3413)، ومسلم (2376).

أَيُّهَا النَّاس، إِنَّ هَذَا النَّبيَّ الْكَرِيمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَمَرَنَا اللهُ بِالتَّأَسِّي بِهِمْ وَالِاقْتِداءِ بِهِمْ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ (الأنعام: 86-90).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ هَذَا النَّبيَّ الْكَرِيمَ إِلَى أَهْلِ بَلْدَةٍ يُقَالُ لَهَا «نِينَوى» كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ السَّنَدُ إِلَى قَتَادَةَ وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْـمُفَسِّرِينَ و«نِينَوى» مِنْ أَرْضِ الْمُوصِلِ بِالْعِرَاقِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ وَحَذَّرَهُمْ مِنْ عَاقِبَةِ كُفْرِهِمْ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ مَغَبَّةِ عِصْيَانِهِمْ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ، وَتَمَرَّدُوا عَلَى أَمْرِهِ وَخَالَفُوهُ وَعَصَوْهُ، فَغَضِبَ مِنْهُمْ وَتَعَجَّلَ وَخَرَجَ مِنْ بِلَادِهِمْ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ مِنَ اللهِ لَهُ بِالْخُرُوجِ وَكَانَ هَذَا عَنِ اجْتِهَادٍ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِصَنِيعِ قَوْمِهِ الَّذِي صَنَعُوهُ مِنَ التَّكْذِيبِ، وَلَيْسَ فِيهِ تَعَمُّدُ مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللهِ، وَلَيْسَ فِيهِ تَعَمُّدُ الْعِصْيَانِ أَبَدًا، فَالْأَنْبِيَاءُ صَفْوَةُ وَخِيرَةُ خَلْقِ اللهِ.

فَإِلَى أَيْنَ ذَهَبَ لَقَدْ تَرَكَ لَهُمْ بِلَادَهُمْ وَاتَّجَهَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ لَنْ يُعاتَبَ عَلَى هَذَا الضَّجَرِ وَالْغَضَبِ وَالْعَجَلةِ فِي الْخُرُوجِ.

كما قَالَ رَبُّنَا ـ تَبَارَكَ وتعالى ـ : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء: 87).

أَمَّا قَوْمُهُ فَمَاذَا صَنَعُوا بَعْدَ خُرُوجِه عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟

إِنَّهُمْ فَكَّرُوا فِيمَا تَوَعَّدَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ عليه السلام إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا إِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ ـ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ـ لَا يَكْذِبُونَ، فَمِنْ ثَمَّ أَيْقَنُوا بِنُزُولِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ إِنِ اسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ فَأَقْبَلُوا عَلَى اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ مُؤْمِنِينَ فَنَفَعَهُمْ إِيمَانُهُمْ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (يونس: 98).

وَهَكَذَا الْإِيمَانُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ يَنْفَعُ فِي دَفْعِ الْعَذَابِ غَايَةَ النَّفْعِ. قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾ (النساء: 147).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ اتَّجَهَ يُونُسَ عليه السلام إِلَى سَفِينَةٍ وَاسْتَوْقَفَهَا وَرَكِبَهَا كَيْ يُسَافِرَ بَعِيدًا عَنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ عَانَدُوهُ وَكَانَتِ السَّفِينَةُ مَلِيئَةً بِالرُّكَّابِ وَالْأَمْتِعَةِ قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ (الصافات: 140).

وَمَعْنَى ﴿ أَبَقَ ﴾ أَيْ فرَّ، وَمَعْنَى ﴿ ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ أَيِ السَّفِينَةُ الْكَبِيرَةُ الْـمُمْتَلِئَةُ.

فَلَعِبَتْ الْأَمْوَاجُ بِالسَّفِينَةِ وَخَشَى أَهْلُهَا الْغَرَقَ، فَبَدَأُوا يَتَخَفَّفُونَ مِنَ الْأَحْمَالِ الَّتِي مَعَهُمْ بِإِلْقَائِهَا فِي الْيَمِّ مَتَاعًا تِلْوَ مَتَاعٍ وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَنْفَعْ فَشَرَعُوا فِي التَّخْفِيفِ مِنَ الْأَشْخَاصِ حَتَّى تَسْلَمَ لَهُمْ سَفِينَتُهُمْ فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَسْتَهِمُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ لِمَعْرِفَةِ مَنْ يُلْقَى، فَوَقَعَ السَّهْمُ عَلَى يُونُسَ عليه السلام كما قَالَ تعالى: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴾ (الصافات: 141).

وَمَعْنَى ﴿ فَسَاهَمَ ﴾ أَيْ قَارَعَ أَجْرَى الْقُرْعَةَ وَمَعْنَى ﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴾ أَيْ الْمَغْلُوبِينَ (الَّذِينَ وَقَعَتْ عَلَيْهِمُ الْقُرْعَةُ).

وَهُنَا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أُلْقِيَ يُونُسَ عليه السلام فِي الْيَمِّ، وَللهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ـ لَكِنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ سَخَّرَ لِيُونُسَ عليه السلام حُوتًا عَظِيمًا

جاءَ يَشُقُّ الْبَحْرِ، فَابْتَلَعَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ تَتَنَاوَلْهُ أَسْنَانُهُ بِأَذَىً لِأَمْرٍ يُرِيدُهُ اللهُ وَلِأَمْرٍ قَدْ قَدَّرَهُ اللهُ.

ثُمَّ مَاذَا بَعْدُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ لَقَدْ اتَّجَهَ الْحُوتُ وَيُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَطْنِهِ إِلَى قَاعِ الْبِحَارِ، فَهُنَاكَ تَرَاكَمَتْ عَلَى يُونُسَ ظُلُمَاتٌ: ظُلْمَةُ بَطْنِ الْحُوتِ، وَظُلْمَةُ قَاعِ الْبَحْرِ، وَظُلُمَاتُ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ، فَضْلًا عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنْ كَرْبٍ وَهَمٍّ وَنَكَدٍ وَغَمٍّ لِكَوْنِهِ ذَهَبَ مُغَاضِبًا وَخَرَجَ بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنَ اللهِ لَهُ بِالْخُرُوجِ وَلَكِنَّهُ حَاوَلَ الْحَرَكَةَ فَبَدَأَ يَتَحَرَّكُ فَكَانَ أَوَّلَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ أَنْ قَالَ مُنَادِيًا فِي الظُّلُمَاتِ **﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾** (الأنبياء: 87).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ قَالَ تِلْكَ الدَّعْوَةَ الَّتِي مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا وَفَرَّجَ اللهُ هَمَّهُ، وَكَشَفَ كَرْبَهُ.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»[1] مِنْ حَدِيثِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ أَكْثَرَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ التَّسْبِيحِ فِي تِلْكَ الظُّلُمَاتِ كما قَالَ رَبُّنَا ـ تَبَارَكَ وتعالى ـ: **﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾**

(الصافات: 143-144).

وَهَكَذَا الْـمُؤْمِنُونَ لَا يَقْنَطُونَ مِنْ رَحْـمَةِ اللهِ، وَلَا يَيْأَسُونَ مِنْ رَوْحِهِ، فَقَدْ عَلِمُوا عَنِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَنَّهُ غَافِرُ الذَّنْبِ وقَابِلُ التَّوْبِ وعَلِمُوا أَنَّ رَحْـمَةَ

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه الترمذي (3752)، وصَحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الترمذي» (2785).

الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَعَلِمُوا أَنَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا.

وَهَكَذَا فَعَلَ يُونُسُ عليه السلام إِذْ اسْتَغْفَرَ وَهَلَّل وَوَحَّدَ وَأَخْلَصَ فِي الدُّعَاءِ لله وَاللهُ يُجِيبُ دَعْوَة الْـمُضطرِّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ، سَبَّحَ يُونُسَ عليه السلام وَاعْتَرَفَ بِالذَّنْبِ، وَنَادَى رَبَّهُ مُوَحِّدًا: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

(الأنبياء: 87).

فَأَنْجَاهُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ بِأَنْ اتَّجَهَ الْحُوتُ إِلَى جَانِبِ الْبَرِّ فَقَذَفَ يُونُسَ عليه السلام وَنَبَذَهُ ـ أَيْ طَرَحَهُ ـ بِالْعَرَاءِ كما قَالَ تعالى: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

(الصافات: 145-148).

وَمَعْنَى ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ أَيْ: السَّاحِلُ، وَمَعْنَى ﴿سَقِيمٌ﴾ أَيْ: مَرِيضٌ، وَاليَقْطِينُ هُوَ الْقَرْعُ قَالَ ذَلِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه وَقَالَهُ ـ أَيْضًا ـ جُمْهُورُ الْـمُفَسِّرِينَ، وَمِنَ الْـمُنَاسَبَاتِ هُنَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُحِبَّ الدُّبَّاءَ الَّذِي هُوَ الْقَرْعُ. كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْن»[1] مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي تَفْسِيرِهِمْ لِقَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ أَنَّهَا (أَيْ شَجَرَةُ الْيَقْطِين) تُضِلُّهُ بِظَلِّها الظَّلِيلِ؛ لأَنَّهَا بَارِدَةُ الظِّلَالِ وَلَا يَسْقُطُ عَلَيْهَا ذُبَابٌ وَلَا يَجْتَمِعُ عِنْدَهَا، وَلِأَنَّهَا مِنْ أَسْرَعِ الْأَشْجَارِ نَبَاتًا وَامْتِدَادًا.

(1) رواه البخاريُّ (5433)، ومسلم (2041).

أَيُّهَا النَّاسُ، مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَى هَذَا النَّبيِّ الْكَرِيمِ أَنَّهُ لَمْ يُنْبَذْ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ، وَلكن نُبِذَ وَهُوَ سَقِيمٌ كما قَالَ رَبُّنَا ـ تبارَكَ وتعالى ـ : ﴿ **لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ** ﴾ (القلم: 49).

وَانْعَمَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ ثَانِيةِ بِأَن أَرْسَلَهُ إِلَى قَوْمِهِ فَآمَنُوا وَصَدَّقُوا كَما قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ **وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ** ﴾ (الصافات: 147-148).

فَصَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَى هَذَا النَّبيِّ الْكَرِيمِ وَعَلَى نَبِيِّنَا مُحَمدٍ ﷺ.

وأَسْتغفرُ اللهَ.

الخُطْبةُ الثَّانيةُ ـ مِنْ فوائِدِ قِصَّةُ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ تَقَدَّمَ الحَدِيثِ مَعَكُمْ عَنْ قِصةِ نَبِيِّ اللهِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ فَوَائِدِ قِصَّةِ هَذَا النَّبيِّ الْكَرِيمِ. فَمِنْ فَوَائِدِ قِصَّةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا يَأْتِي:

1- الْإِنْسَانُ جُبِلَ عَلَى الْـخَطَأِ

أَيُّهَا النَّاسُ، أَوَّلُ الدُّرُوسِ الْـمُسْتَفَادَةُ أَنَّ الْإِنْسَانَ جُبِلَ عَلَى الْخَطَأِ حَتَّى أَهْلَ الْفَضْلِ وَالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ اللهُ لَـهُمْ»**.

2- لَمْ يَنْجُ مِنَ الذُّنُوبِ أَحَدٌ حتَّى أَهْلُ الصَّلَاحِ

كما قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ** ﴾ (النحل: 61).

فَآدَمُ عليه السلام أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ وَكَذَا زَوْجَتُهُ وَلَكِنَّهُمَا أَقَرَّا بِالذَّنْبِ وَاعْتَرَفَا بِهِ وَأَقْلَعَا عَنْهُ، فَقَالَا: ﴿ **قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾** ﴾ (الأعراف: 16).

وَعَاتَبَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - نَبِيَّهُ مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم بِقَوْلِهِ: ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ** ﴾ (عبس: 1-2).

وَأَصْحَابُ نَبِيِّنَا مُـحَمَّد صلى الله عليه وسلم صَدَرَ مِنْ بَعْضِهِمْ الَّذِي صَدَرَ يَوْمَ أُحُدٍ كما قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾ (آل عمران: 155).

3- عَدَمُ الْيَأْسِ مِنَ التَّوْبَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، وَمِنَ الدُّرُوسِ الْـمُسْتَفَادَةِ مِنْ قِصَّةِ يُونُسَ عليه السلام عَدَمُ الْيَأْسِ مِنْ رَوْحِ اللهِ وَالْقُنُوطِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَالِاعْتِرَاضِ عَلَى قَضَاءِ اللهِ.

---

(1) رواه مسلم (2749).

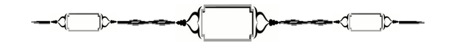
فَيُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحَاطْت بِهِ ثَلَاثُ ظُلُمَاتِ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ فَأَرْسَلَ الْأَمَلَ مِنْ هُنَاكَ مُدَوِّيًا: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأنبياء: 87).

فَمَاذَا كَانَتْ النَتِيَّجَةُ: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الأنبياء: 88).

4- الثِّقَةُ بِنَصْرِ اللهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَثِقَ بِنَصْرِ الله فَإِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قَالَ: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الأنبياء: 88).

اللَّهُمَ نَجِنا بِرَحْمَتِكَ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ، وَأَحقُّ مَنْ عُبِدَ، وَأَنْصَرُ مَنْ ابْتُغِيَ وَأَرأفُ مَنْ مَلَكَ، وَأَجودُّ مَنْ سُئِلَ، أَنت الْمُلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ لَا إِلَه إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنَّا كُنَّا مِنَ الظَّالِمِينَ.



31 الغُلامُ المُؤمِنُ وأصْحَابُ الأُخْدُود

الخُطْبَةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ حَدِيثِي مَعَكُمُ الْيَوْمَ عَنْ قِصَّةِ الْغُلَامِ الْمُؤْمِنِ وَأَصْحَابِ الْأُخْدُودِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، فِيمَا قَصَّهُ اللهُ عَلَيْنَا ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ الدُّرُوسُ وَالْعِظَاتُ وَالْعِبَرُ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ : ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾

(يوسف: 111).

وَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود: 120).

أَيُّهَا النَّاسُ، فِي قِصَّةِ الْغُلَامِ وَأَصْحَابِ الْأُخْدُودِ زَادٌ لِلْغُرَبَاءِ وَأَيُّ زَادٍ وَقَدْ قَصَّ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ قَصَصِ الْـمَاضِينَ مَوْعِظَةً وَذِكْرًا.

وَأَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يُبَلِّغَ وَحْيَ رَبِّهِ وَأَنْ يَقُصَّ عَلَى الْخَلْقِ آيَاتِهِ قَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: 176).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِلَيْكُمُ الْقِصَّةَ كَمَا جَاءَتْ بِهَا السُّنَّةُ فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[1] مِنْ حَدِيثِ صُهَيْبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبُرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبُرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمُهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَقَال: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِي النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيِّ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، وَقَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ. وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ.**

---

(1) رواه مسلم (3005).

فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ: مَا هَا هُنَالَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي.

فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِالله دَعَوْتُ الله فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِالله فَشَفَاهُ الله، فَأَتَى المُلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ المُلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟

قَالَ: رَبِّي.

قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟!

قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ.

فَأَخَذَهُ المُلِكُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ المُلِكُ: أَيْ بُنَي! أَقَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِىءُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ؟!

فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَ عَلَى الرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ فَوُضِعَ الْمِنْشَارُ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ.

ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ المُلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ فَوُضِعَ الْمِنْشَارُ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذَرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعَدُوا بِهِ الْـجَبَلَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْـجَبَلُ فَسَقَطُوا. وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْـمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْـمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟

قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ.

فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ (أَيْ السَّفِينَةِ الصَّغِيرَة) فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوه، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْـمَلِكِ.

فَقَالَ لَهُ الْـمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟

قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟.

قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلِبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمَ، فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْـمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ ـ وَاللهِ ـ ! نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وَأُضْرِمَ النِّيرَانُ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي؛ فَإِنَّكِ عَلَى الْـحَقِّ».

وَالْحَدِيثِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ كَمَا أَخْرَجَهُ «الْإِمَامُ مُسْلِمٌ» فَقَدْ أَخْرَجَهُ «التِّرْمِذِيُّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» بِمَعْنَاهُ وَفِيهِ: «وَكَانَ عَلَى طَرِيقِ الْغُلَامِ رَاهِبٌ فِي صَوْمَعَتِهِ»، قَالَ مَعْمَرٌ: أَحْسَبُ أَنَّ أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ كَانُوا يَوْمَئِذٍ

مُسْلِمِينَ، وَفِيه: «أَنَّ الدَّابَّةَ الَّتِي حَبَسَتِ النَّاسَ كَانَتْ أَسَدًا وَأَنَّ الْغُلَامَ دُفِنَ ـ قَالَ ـ فَيُذْكَرُ أَنَّهُ أُخْرِجَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَأُصْبُعُهُ عَلَى صَدْغِهِ كَمَا وَضَعَهَا حِينَ قُتِلَ»[1].

أَيُّهَا النَّاسُ، تِلْكَ قِصَّةُ الْغُلَامِ الْـمُؤْمِنِ وَأَصْحَابُ الْأُخْدُودِ كَمَا فَصَّلَتْ ذَلِكَ السُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ وَفِيهَا فَوَائِدَ عَظِيمَةٌ.

فَمِنْ فَوَائِدِهَا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَنْعَمَ عَلَى الْغُلَامِ بِنِعَمٍ كَثِيرَةٍ، وَمِنْهَا إِكْرَامُهُ بِإِجَابَةِ دُعَائِهِ، وَنُصْرَتِهِ لَهُ، فَمَا مِنْ مَرَّةٍ قَالَ فِيهَا: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، إِلَّا وَكَفَاهُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ وَوَقَاهُ شَرَّ أَعْدَائِهِ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ كَفَاهُ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ **أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ** ﴾ (الزمر: 36).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَعَلَّقَتْ بِاللهِ صَنَعَ بِهَا ـ سُبْحَانَهُ ـ الْأَعَاجِيبَ، فَمِنَ الَّذِي دَعَاهُ وَلَمْ يُجِبْهُ؟ وَمَنْ الَّذِي سَأَلَهُ وَلَمْ يُعْطِهِ؟ قَالَ ـ تعالى ـ: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ** ﴾ (النمل: 62).

وَقَالَ ـ تَعَالَى ـ: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ (البقرة: 186).

وَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ (غافر: 60).

وَمِنْ فَوَائِدِ هَذِهِ الْقِصَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ الِابْتِلَاءَ سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ.

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه الترمذي (3578)، وصَحَّحه الألْبانيُّ في «صَحِيح الترمذي» (2661).

فَهَذَا الرَّاهِبُ يَقُولُ لِلْغُلَامِ: «أَيْ بُنَيَّ، أَنْتَ أَفْضَلُ مِنِّي، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى» فَهَلْ كَانَ الرَّاهِبُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ، وَلَكِنَّهَا الْمَعْرِفَةُ بِسُنَنِ اللهِ فِي خَلْقِهِ وَالْعِلْمُ بِمَا حَدَثَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ قَبْلِ قَالَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الكهف: 7).

وَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الملك: 2).

وَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (العنكبوت: 2).

وَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ (الفرقان: 20).

وَلَقَدْ أُوذِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، خَنَقَهُ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِطَرَفِ رِدَائِهِ، وَأَلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ سَلَّةَ الْجَزُورِ، وَهُوَ سَاجِدٌ أَمَامَ الْكَعْبَةِ، وَحُوصِرَ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ وَجُرِحَ وَجْهُهُ الشَّرِيفُ وَأُغْمِيَ عَلَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقِيلَ عَنْهُ: سَاحِرٌ وَكَاهِنٌ وَمَجْنُونٌ، كَمَا أُوذِيَ ﷺ فِي شَخْصِ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ ـ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ ـ .

وَمَنْ تَتَبَّعَ أَحْوَالَ الْأَنْبِيَاءِ ـ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ـ كَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَيُوسفَ وَمُوسَى وَعِيسَى لَوَجَدَ أَنَّ الِابْتِلَاءِ سِمَةٌ مُلَازِمَةٌ لَهُمْ قَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (إبراهيم: 13).

وَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (يس: 30).

وَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (الذاريات: 52-53).

وَكَانَ لِأَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ كَصَاحِبِ يس وَمُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ وَأَصْحَابِ الْأُخْدُودِ حَظُّهُمْ وَنَصِيبُهُمْ مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ.

وَمِنْ فَوَائِدِ هَذِهِ الْقِصَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ الْعَمَلَ لِهَذَا الدِّينَ مَسْئُولِيَّةُ الْجَمِيعِ.

فَهَذَا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ غُلَامٌ أَيْ طِفْلٌ صَغِيرٌ كَانَ صَاحِبَ دَعْوَةٍ يُرِيدُ إِيصَالَهَا إِلَى النَّاسِ حَتَّى وَإِنْ كَلَّفَهُ ذَلِكَ نَفْسَهُ فَلَا بَأْسَ بِبَذْلِهَا رَخِيصَةً فِي سَبِيلِ اللهِ، فَالنَّفْسُ إِلَى مَوْتٍ وَالْـمَالُ إِلَى فَوْتٍ.

قَالَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ** ﴾ (آل عمران: 185).

وأَسْتغفرُ اللهَ.

الخُطْبةُ الثَّانيةُ ـ الغُلاَمُ المُؤْمِنُ وَأصْحَابُ الأُخَدُودِ:

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعْدُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَمَّا فصَّلَتْهُ السُّنَّةُ مِنْ قِصَّةِ الْغُلَامِ الْـمُؤْمِنِ وَأَصْحَابِ الْأُخْدُودِ.

وَالْآنَ سَأُلْقِي عَلَى مَسَامِعِكُمْ سُورَةَ الْبُرُوجِ وَهُنَا تَوْطِئَةً بَيْنَ يَدَيْ السُّورَةِ.

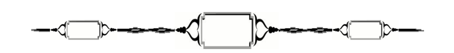
أَقُولُ إِنَّهَا مَكِيَّةٌ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ وَالْـمَقْصُودُ مِنْهَا تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ عَنْ إِيذَاءِ الْكُفَّارِ وَهِيَ ـ أَيْضًا ـ تَسْلِيَةٌ لأَتْبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

فَأَخْبَرَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَنَّ سَائِرَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ مِثْلِ فِرْعَونَ وَثَمُودَ وَغَيْرِهِمْ كَانُوا كَذَلِكَ ثُمَّ عَقَّبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ قَدَرٌ مَقْدُورٌ لَا رَادَّ لِأَمْرِهِ وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ۝١٤ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ (البروج: 1-22).

اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْكَفَرَةِ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَيُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيُقَاتِلُونَ أَوْلِيَاءَكَ.

اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَ بِالْإِسْلَامِ وَالْـمُسْلِمِينَ بِسُوءٍ فَأَشْغِلْهُ بِنَفْسِهِ وَرُدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ.



32 أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه

الخُطْبةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهّ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ عَنْ حَيَاةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه وَالْحَدِيثُ عَنِ الصِّدِّيقِ يَحْلُو وَيَطِيبُ فَهُوَ سَيِّدُ الصِّدِّقِينَ، وَخَيْرُ الصَّالِحِينَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ أَفْضَلُ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ وَأَعْلَمُهُمْ وَأَشْرَفُهُمْ، لَمْ يَشْرَبِ الْخَمْرِ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا فِي إِسْلَامٍ، وَلَمْ يَسْجُدْ لِصَنَمٍ ـ قَطُّ ـ فِي جَاهِلِيَّتِهِ وَلَمَا بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ كَانَ أَوَلَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الرِّجَالِ وَصَدَّقَهُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ رَبِّهِ وَسُمِّيَ الصِّدِّيقُ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِي»[1] مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم صَعَدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ: «**اثْبُتْ أُحُدُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**». فَالصِّدِّيقُ هُوَ أَبُو بَكْر وَالشَّهِيدَانِ عُمَرُ وَعُثْمَانُ.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[2] مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي؟ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي؟ فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا**».

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِلصِّدِّيقِ فَضَائِلَ جَمَّةً فَلَا عَجَبَ فَقَدْ كَانَ صَدْرًا مُعظَّمًا، وَرَئِيسًا فِي قُرَيْشٍ مُكَرَّمًا سَمِحَ الْخُلُقِ مِنَ الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ.

فَمِنْ فَضَائِلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[3] مِنْ حَدِيثِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ فَأَتَيْتَهُ فَقُلْتُ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**» فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «**أَبُوهَا**». قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**» فَعَدَّ رِجَالًا.

وَمِنْ فَضَائِلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ.

فَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»[4] مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي**

(1) رواه البخاريُّ (3675).

(2) رواه البخاريُّ (3661).

(3) رواه البخاريُّ (3662)، ومسلم (2384).

(4) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أحمدُ (1629)، وصَحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح أبي داود» (4650).

الْـجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْـجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي الْـجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْـجَنَّةِ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَ الْعَاشِرَ».

وَالْعَاشِرُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه رَاوِي الْحَدِيثِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مَنْزِلَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما فِي الْجَنَّةِ لَعَالِيَةٌ.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيُرَوْنَ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَرَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وَأَنْعِمَا**».

بَلْ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الجنَّةِ.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»[2] مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، إِذْ طَلَعَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهلِ الْـجَنَّةِ، مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ، إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْـمُرْسَلِينَ، يَا عَلِيُّ: لا تُخْبِرْهُمَا**».

وَمِنْ فَضَائِلِهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ عَتِيقُ اللهِ مِنَ النَّارِ.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»[3] مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «**أَنْتَ عَتِيقُ اللهِ مِنَ النَّارِ**». فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ: عَتِيقًا.

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه الترمذي (3920)، وصححه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الترمذي» (2892).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه الترمذي (3927)، وصححه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الترمذي» (2897).

(3) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه الترمذي (3942)، وصححه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الترمذي» (2905).

وَمِنْ فَضَائِلِهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ مِنْ أَعْلَمِ الصَّحَابَةِ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ: «**إِن اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللهِ**». قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ عَبْدٍ خُيِّرَ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ أَمنَّ النَّاسِ عليَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَا تَّخَذْتُ أَبَا بَكرٍ، وَلَكن أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَينَّ بابٌ فِي الْـمَسْجِدَ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ**».

وَمِنْ فَضَائِلِهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ صُحْبَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْهِجْرَةِ وَقَوْلُ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿**إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ (التوبة: 40).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[2] مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما قَالَ: اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه مِنْ عَازِبٍ رَحْلًا بِثَلَاثَةِ عَشْرَ دْرهمًا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَازِبٍ: مُرْ الْبُرَاءَ فلْيَحملْ إِليَّ رَحْلي فَقَالَ عَازِبٌ: لَا، حَتَّى تُحَدِّثُنَا كَيْفَ صَنَعْتَ أَنْتَ وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حِيْنَ خَرَجْتُمَا مِنْ مَكَّةَ وَالْـمُشْرِكُونَ يَطْلُبُونَكُمْ، قَالَ: ارْتَحَلْنَا مِنْ مَكَّةَ فَأَحَيْنَا، أَوْ سَرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّى أَظْهَرْنَا وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةُ فَرَمَيْتُ بِبَصَرِي هَل أَرَى مِنْ ظِلٍ فَآوِي إِلَيْهِ، فَإِذَا صَخْرَةٌ أَتَيْتُهَا فَنَظَرْتُ بَقِيَةَ ظِلٍ لَهَا فَسَوَّيْتُهُ، ثُمَّ فَرَشْتُ

(1) رواه البخاريُّ (3654)، ومسلم (2382).

(2) أخرجه البخاريُّ (3652)، وأخرجه مسلم (2009) بنحوه.

لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: اضْطَجِعْ يَا نَبِيَّ الله فَاضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ انْطَلَقْتُ انْظُرُ مَا حَوْلِي: هَلْ أَرَى فِي الطَّلَبِ أَحَدًا؟ فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ يَسُوقُ غَنَمَه إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَنْ أَنْتَ ـ يَا غُلامُ ـ، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيشٍ سَمَّاهُ فَعَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ: نَعم. قُلْتُ: هَلْ أَنْتَ حالِبٌ لَنَا؟ فَأَمَرْتُهُ فَاعْتَقَلَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنفُضَ ضَرْعَهَا مِنَ الْغُبَارِ ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفَّيْهِ فَقَالَ: هَكَذَا، ضَرَبَ إِحْدَى كَفَّيْهِ بِالْأُخْرَى فَحَلَبَ لِي كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ الله ﷺ إِدَاوَةً عَلَى فَمِهَا خِرْقَةٌ فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَافَقْتُهُ قَدْ اسْتَيْقَظَ فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ الله فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ آنَ الرَّحِيلُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**بَلَى**». فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا فَلَمْ يُدرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنُ مَالِكِ بْن جُعْشُمَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ فَقُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ الله فَقَالَ: «**لَا تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا**».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(1) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الْغَارِ: لَو أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا فَقَال: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا**».

وَمِنْ فَضَائِلِهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ دِفَاعُهُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»(2) مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرو بْنِ الْعَاص: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْـمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْن أَبِي مُعَيْطِ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ

(1) رواه البخاريُّ (3653)، ومسلم (2381).

(2) رواه البخاريُّ (3856).

فَخَنَقَهُ خَنقًا شَدِيدًا، فَاقْبَلَ أَبُو بَكْر حَتَّى أَخَذَ بِمْنكَبِهِ وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَـال: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ (غافر: 28) ».

وَهَذِهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ بِشَارَةٌ لِأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِن الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ الله دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ ـ يَعْنِي الْـجَنَّة ـ يَا عَبْدَ الله هَذَا خَيرٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ**». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا عَلَى هَذَا الذي يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، وَقَالَ: هَلْ يُدعى منها كُلِّها أَحدٌ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**نَعْم، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ**».

وَفِي «صَحيحِ مُسْلِمٍ»[2] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟**». قَالَ أَبُو بَكْر: أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ تَبعَ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟**». قَالَ أَبُو بَكْر: أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ أَطْعَمَ الْيَوْمَ مِسْكِيناً؟**». قَالَ أَبُو بَكْر: أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ عَادَ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟**». قَالَ أَبُو بَكْر: أَنَا. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِىءٍ إِلَّا دَخَلَ الْـجَنَّةَ**».

وأَسْتغفرُ اللهَ.

(1) رواه البخاريُّ (3666)، ومسلم (1027).

(2) رواه مسلم (1028).

الخُطْبَةُ الثَّانيةُ ـ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه :

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بإِحْسَانٍ إلى يَوْمِ الدِّينِ.

أمَّا بَعْدُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ذُو شُجُونٍ فَقَدْ طَبَقَتْ مَحَاسِنُه الدُّنْيَا وَسَارَتْ بِذِكْرِهِ الرُّكْبَانُ فِي الآفَاقِ مَا حَمَلَتِ الْابِلُ رَجُلًا ـ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْـمُرْسَلِينَ ـ خَيْرًا مِنْهُ.

فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»[1] مِنْ حَدِيثِ عبد الله بن مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: «**مَنْ رَأَى اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟**».

فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، رَأَيْتَ كَأَنَّ مِيزَانًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ، فَرُجِحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ بِعُمَرَ، وَوُزِنَ عُمَرُ بِعُثْمَانَ فَرَجَحَ عُمَرُ بِعُثْمَانَ، ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانَ.

وَهَا هُوَ عُمَرُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ يُسَابِقُ أَبَا بَكْرٍ فَهَلْ سَوْفَ يَسْبِقُه فِي هَذِهِ الْجَوْلَةِ وَلْنَدَعْ الْحَدِيثَ لِعُمَرَ رضي الله عنه يُحَدِّثُنَا.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ»[2] مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ نَتَصَدَّقَ، وَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبَقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه أبو داوُدَ (4634)، وصححه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح أبي داود» (3875).

(2) «**حَسَنٌ**»: أخرجه الترمذي (3939) وحَسَّنه الأَلْبانيُّ في «المشكاة» (6021).

«**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**». قُلْتُ: مِثْلَهُ. وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**».

فَقَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ.

قُلْتُ: لَا أَسْبِقُه إِلَى شَيْءٍ أَبدًا.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى اسْتِخْلَافِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه فِي أَكْثَرَ مِنْ حَدِيثٍ وَسَأَذْكُرُ طَرَفًا مِنْهَا فَإِنَّ قَوْمًا يَدَّعُونَ أَنَّ الْوَصِيَّةَ لِغَيْرِهِ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ بُرْهَانٌ وَلَا كِتَابٌ مُنِيرٌ.

لَا تَـذْكُـرُ الْـكُتُبُ السَّوَالِفُ قَبْلَهُ ... طَلَعَ الصَّبَاحُ فَـأَطْفِئِ الْقِنْـدِيلَا

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[1] مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ: «**ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّ مُتَمَنٍّ وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى وَيَأْبَى اللهُ وَالْـمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[2] مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَتْ امْرَأَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ - كَأَنَّهَا تَقُولُ الْـمَوْتَ - قَالَ ﷺ: «**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ**».

قَالَ **الْـحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ** رحمه الله: «وَالْاسْتِدْلَالُ بِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ هُوَ الْخَلِيفَةُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ صَحِيحٌ، لَكِنْ بِطَرِيقِ الْإِشَارَةِ لَا التَّصْرِيحُ»[3].

---

(1) رواه مسلم (2387).

(2) رواه البخاريُّ (3659)، ومسلم (2386).

(3) «فتح الباري» (13/ 345).

وَكَذَلِكَ أَمْرُهُ ﷺ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ لَأَعْظَمُ دَلِيلٍ وَأَبْلَغُ إِشَارَةٍ مِنْهُ ﷺ عَلَى أَنَّهُ الْخَلِيفَةَ بَعْدَهُ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ**».

قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يَسْمَعِ النَّاسُ مِنَ الْبُكَاءِ فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ قُولِي لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْمَعِ النَّاسُ مِنَ الْبُكَاءِ فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَهُ إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**». فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا.

أَيُّهَا النَّاسُ، هُنَاكَ قَوْمٌ يَدَّعُونَ التَّشَيُّعَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَيَنَالُونَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَهَذَا ظُلْمٌ لِأَنْفُسِهِمْ فَإِنَّ الَّذِي زَكَّاهُمْ وَعَدَّلَهُمْ هُوَ خَالِقُهُمْ ثُمَّ نَبِيُّهُمْ ثُمَّ هَا هِيَ شَهَادَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[2] مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّد بْنِ الْحَنَفِية رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي (أَيْ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ): أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟

قَالَ: أَبُو بَكْرٍ.

قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ.

---

(1) رواه البخاريُّ (679)، ومسلم (418).

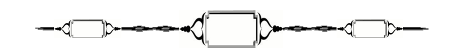
(2) رواه البخاريُّ (3671).

أَيُّهَا النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا أُذَكِّرُكُمْ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ، كَمَا فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»[1] مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ**».

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ.

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نُحِبُّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فِيكَ اللَّهُمَّ بِحُبِّنَا لَهُمَا فِيكَ احْشُرْنَا مَعَهُمْ.



(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه الترمذي (3924)، وصَحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الترمذي» (2895).

33 عُمَرُ بْنُ الخطَّابِ رضي الله عنه

الخُطْبةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.

عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَمَا أَدْرَاكُمْ مَا عُمَرُ إِنَّهُ الْفَارُوقُ الَّذِي فَرَّقَ اللهُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ كَانَتْ أَوَلُ شُعَاعَةٍ مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ لَامَسَتْ قَلْبَهُ هِيَ دَعْوَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم.

فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ»[1] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ؛ بِأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْـخَطَّابِ**». قَالَ: وَكَانَ أَحَبُّهُمَا إِلِيهِ عُمَرُ.

---

(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه الترمذي (3946)، وصَحَّحه الأَلْبانيُّ في «المشكاة» (6036).

وَأَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانٍ فِي «مَوْرِدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لِغَيْرِهِ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَةِ»[1] لِلْأَلْبَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**اللَّهُمَّ! أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْـخَطَّابِ خَاصَّةً**».

وَبَعْدَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْـمُبَارَكَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَسْلَمَ عُمَرُ فَكَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ[2] وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَطُوفَ بِالْبَيْتِ وَنُصَلِّيَ، حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ فَلَمَّا أَسْلَمَ قَاتَلَهُمْ وَتَرَكُونَا، فَصَلَّيْنَا وَطُفْنَا[3]. وَقَالَ ـ أَيْضًا ـ كَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ فَتْحًا، وَكَانَتْ هِجْرَتُهُ نَصْرًا، وَكَانَتْ إِمَارَتُهُ رَحْمَةً[4]. وَقَالَ ـ أَيْضًا ـ إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ فَحَيَّهَلَا بِعُمرِ بْنِ الْخَطَّابِ»[5].

أَيُّهَا النَّاسُ، الْحَدِيثُ عَنْ عُمَرَ ذُو شُجُونٍ أَمَّا كَيْفَ كَانَ وَاقِعُ إِسْلَامِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُحَدِّثُنَا ابْنُهُ عَبْدُ الله كَمَا فِي «مَوَارِدِ الظَّمْآنِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيِّ فِي «التَّعْلِيقَاتِ الْحِسَانِ» قَالَ: «لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه لَمْ تَعْلَمْ قُرَيْشٌ بِإِسْلَامِهِ فَقَالَ: أَيُّ أَهْلِ مَكَّةَ أَفْشَى لِلْحَدِيثِ؟ قَالُوا: جَمِيلُ بْنُ مُعَمَّرٍ الْجُمَحِيُّ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَأَنَا (مَعَهُ) أَتْبَعُ أَثَرَهُ، أَعْقِلُ مَا أَرَى وَأَسْمَعُ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا جَمِيلُ! إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، قَالَ: فَوَالله مَا رَدَّ عَلَيَّ كَلِمَةً، حَتَّى قَامَ عَامِدًا إِلَى الْـمَسْجِدِ فَنَادَى أَنْدِيَةَ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ، فَقَالَ عُمَرُ: كَذِبَ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ، وَآمَنْتُ بِالله،

---

(1) «**صَحِيحٌ لغيره**»: أخرجه ابن حبان في «موارد الظمآن» وقال الألْبانيُّ في «الصَّحِيحة» (3225): «صَحِيحٌ لغيره».

(2) رواه البخاريُّ (3684).

(3) «**حَسَنٌ**»: أخرجه الإمام أحمدُ في «فضائل الصحابة» (1/ 344).

(4) الشيخان برواية البلاذري (141).

(5) «**موقوفٌ صَحِيحٌ**»: أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (1/ 340).

وَصَدَّقْتُ رَسُولَهُ، فَثَاوَرُوهُ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى رَكَدَتِ الشَّمْسُ عَلَى رُؤُسِهِمْ (أَيْ اسْتَوَتْ)، حَتَّى فَتَرَ عُمَرُ وَجَلَسَ، (فَقَامُوا عَلَى رَأْسِهِ)، فَقَالَ (عُمَرُ): افْعَلُوا مَا بَدَا لَكُمْ، فَوَاللهِ لَوْ كُنَّا ثَلَاثَ مِئَةِ رَجُلٍ؛ لَقَدْ تَرَكْتُمُوهَا (لَنَا) أَوْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ.

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ قِيَامٌ (عَلَيْهِ)؛ إِذَا جَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ حُلَّةُ حَرِيرٍ، وَقَمِيصٌ مُوَشًّى فَقَالَ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ. قَالَ: فَمَهْ؟ امْرُؤٌ اخْتَارَ دِينًا لِنَفْسِهِ، أَفَتَظُنُّونَ أَنَّ بَنِي عَدِي تُسْلِمُ إِلَيْكُمْ صَاحِبَهُمْ؟ قَالَ: فَكَأَنَّمَا كَانُوا ثَوْبًا انْكَشَفَ عَنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ بَعْدُ بِالْـمَدِينَةِ: يَا أَبَةِ ! مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي رَدَّ عَنْكَ الْقَوْمَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: يَا بُنَيَّ ! ذَاكَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ»[1].

أَيُّهَا النَّاسُ، دُونَكُمْ فَضَائِلَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهِيَ جَمَّةٌ غَزِيرَةٌ.

فَمِنْ فَضَائِلِهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ مُحَدَّثٌ مُلْهَمٌ صَادِقُ الظَّنِّ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[2] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ»**.

وَمِنْ فَضْلِهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ اللهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»[3] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ اللهَ جَعَلَ الْـحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ. وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَا نَزَلَ بِالنَّاسِ أَمْرٌ ـ قَطُّ ـ فَقَالُوا فِيهِ، وَقَالَ عُمَرُ ـ أَوْ قَالَ ابْنُ الْـخَطَّابِ فِيهِ ـ شَكَّ خَارِجَةُ ـ إِلَّا نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ عَلَى نَحْوِ مَا قَالَ عُمَرُ»**.

---

(1) «**حَسَنٌ**»: «موارد الظمآن» (2181)، وحَسَّنه الأَلْبانيُّ في «التعليقات الحسان» (6840).

(2) رواه البخاريُّ (3689).

(3) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه الترمذي (3947)، وصَحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الترمذي» (2908).

وَمِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ مُوَافَقَاتُهُ ﷺ لِرَبِّهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَيْ أَنَّ النَّاسَ إِذَا قَالُوا فِي أَمْرٍ وَقَالَ فِيهِ عُمَرُ إِلَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى نَحْوِ مَا قَالَ عُمَرُ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[1] مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: «وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَنَزَلَتْ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وَآيَةِ الْحِجَابِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيرةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ: عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[2] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّه قَالَ: «لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ قَمِيصَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يُكَفِّنَهُ فِيهِ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي عَلَيْهِ فَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِثَوْبِهِ فَقَالَ: تُصَلِّي عَلَيْهِ وَهُوَ مُنافق، وَقَدْ نَهَاكَ اللهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ؟ قَالَ: إِنَّمَا خَيَّرَنِي ـ أَوْ أَخْبَرَنِي اللهُ ـ فَقَالَ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ فَقَالَ: سَأَزِيدُه عَلَى سَبْعِينَ. قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[3] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: «وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أَسَارَى بَدْرٍ».

وَمِنْ فَضَائِلِهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ مَا سَلَكَ طَرِيقًا إِلَّا سَلَكَ الشَّيْطَانُ طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِهِ.

---

(1) رواه البخاريُّ (402).

(2) رواه البخاريُّ (4672)، ومسلم (2400).

(3) رواه مسلم (2399).

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّد بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«يَا ابْنَ الْـخَطَّاب وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فجًّا (أَيْ طَرِيقًا) ـ قَطُّ ـ إِلَّا سَلَكَ فجًّا غيرَ فجِّكَ»**.

وَمِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رضي الله عنه ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ شَيَاطِينَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ تَفِرُّ مِنْهُ.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «المشكاة»[2] مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ قَدْ فَرُّوا مِنْ عُمَرَ»**.

وَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»[3] مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ جَاءَتْ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي كُنْتُ نَذَرْتُ إِنْ رَدَّكَ اللهُ سَالِمًا، أَنْ أَضْرِبَ بَيْنَ يَدَيْكَ بِالدُّفِّ وَأَتَغَنَّى، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ: **«إِنْ كُنْتِ نَذَرْتِ فَاضْرِبِي وَإِلَّا فَلَا»**. فَجَعَلَتْ تَضْرِبُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ وَهِيَ تَضْرِبُ. ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَأَلْقَتِ الدُّفَّ تَحْتَ اسْتِها، ثُمَّ قَعَدَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَخَافُ مِنْكَ يَا عُمَرُ، إِنِّي كُنْتَ جَالِسًا وَهِيَ تَضْرِبُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ وَهِيَ تَضْرِبُ فَلَمَّا دَخَلْتَ أَنْتَ يَا عُمَرُ القتِ الدُّفَّ»**.

وأَسْتغفرُ اللهَ.

---

(1) رواه البخاريُّ (3683)، ومسلم (2396).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه الترمذي (3956)، وصَحَّحه الأَلْبانيُّ في «المشكاة» (6039).

(3) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه الترمذي (3955)، وصَحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الترمذي» (2913).

الخُطْبةُ الثَّانيةُ ـ عُمَرُ بْنُ الخطَّابِ رضي الله عنه :

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرَفِ المُرسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أمَّا بَعْدُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الْحَدِيثُ عَنْ عُمَرَ وَفَضَائِلِهِ بِحَاجَةٍ إِلَى سَفْرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ فَلَا يَزَالُ الشَّرِيطُ طَوِيلًا وَالسِّجِلُّ حَافِلًا.

فَمِنْ فَضَائِلِهِ أَنَّهُ عَبْقَرِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

فَفِي «الصَحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**أُرِيتُ فِي الْـمَنَامِ أَنِيِّ أَنزِعُ بِدَلو بكرةٍ عَلَى قُلَيْبٍ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ نَزْعًا ضَعِيفًا وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَاسْتَحَالَتْ (أَيْ صَارَتْ) غَرْبًا (أَيْ دَلْوًا عظيمةً) فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًا يَفَري فَرْيَةُ (أَيْ لَمْ أَرَ عبقريًا يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ) حَتَّى رَوَى النَّاسُ وَضَرَبُوا بِعَطَنٍ**».

وَمِنْ فَضَائِلِهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[2] مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْـجَنَّةِ**». فَفَتَحْتُ لَهُ فَإِذَا هُوَ أَبُو بَكْرٍ فَبَشَّرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْـجَنَّةِ**».

---

(1) رواه البخاريُّ (3682)، ومسلم (2393).

(2) رواه البخاريُّ (3693)، ومسلم (2403).

فَفَتَحْتُ لَهُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَمَدَ اللهَ ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ فَقَالَ لِي: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْـجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**». فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَمَدَ اللهَ ثُمَّ قَالَ: «اللهُ الْمُسْتَعَانُ».

وَمِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رضي الله عنه ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ مِنْ ذَهَبٍ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ قَالَ: «**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْـجَنَّةِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَر، فَذَكَرْتُ غِيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا**». فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللهِ.

وَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»[2] مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَعَا بِلَالًا فَقَالَ: «**يَا بِلَالُ بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْـجَنَّةِ؟ مَا دَخَلْتُ الْـجَنَّةَ قَطُّ إِلَّا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي، فَأَتَيْتُ عَلَى قَصْرٍ مُرَبَّعٍ مُشْرِفٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقُلْتُ: أَنَا قُرَشِيٌّ! لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدٌ! لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْـخَطَّابِ**».

أَيُّهَا النَّاسُ، أَمَّا عِلْمُ عُمَرَ فَيُخْبِرُنَا النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[3] مِنْ حَدِيثِ حَمْزَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ شَرِبْتُ ـ يَعْنِي اللَّبَنَ ـ حَتَّى أَنظرُ إِلَى الرِّيِّ يَخْرجُ مِنْ ظِفْرِي ـ أَوْ فِي أَظَافِرِي ـ ثُمَّ نَاوَلْتُ عُمَرَ**».

---

(1) رواه البخاريُّ (3680)، ومسلم (2395).

(2) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه الترمذي (3954)، وصَحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الترمذي» (2912).

(3) رواه البخاريُّ (3681)، ومسلم (2391).

قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ الله قَالَ: «**الْعِلْمَ**».

أَمَّا دِينُ عُمَرَ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَيُخْبِرُنَا النَّبِيُّ ﷺ - أَيْضًا - كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ**».

قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ الله قَالَ: «**الدِّين**».

تِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - بَعْضُ فَضَائِلِ عُمَرَ فَهل يَسُوغُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَأْتِي أَنَاسٌ بَعْدَهُ وَإِلَى يَوْمِنَا هَذَا وَهُمْ يَطْعَنُونَ فِي هَذَا الْجَبَلِ الشَّامِخِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي زَكَّى عُمَرَ هُوَ رَسُولُهُ ﷺ فَالطَّعْنُ فِيهِ طَعْنٌ فِي تَزْكِيَةِ رَسُولِ الله ﷺ وَالطَّعْنُ فِي رَسُولِ الله ﷺ طَعْنٌ فِي الدِّين، وَأَشَدُّ النَّاسِ طَعْنًا فِي هَذَا الْجَبَلِ مَنْ يَزْعُمُونَ التَّشَيُّعَ لِآلِ الْبَيْتِ وَلِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَهَلْ بَلَغَهُمْ تَزْكِيَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِعُمَرَ بْنِ الْـخَطَّاب - رَضِيَ اللهُ عَنِ الْجَمِيعِ -.

فَفِي «الصَحِيحَيْنِ»[2] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «إِنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ فَدَعَوْا اللهَ لِعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابَ - وَقَدْ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ - إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مِنْكَبِي يَقُولُ: رَحِمَكَ اللهُ إِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ لِأَنِّي كُنْتُ كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَهُمَا، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ».

---

(1) أخرجه البخاريُّ (3691)، ومسلم (2390).

(2) رواه البخاريُّ (3677)، ومسلم (2389).

أَيُّهَا النَّاسُ، تِلْكَ تَزْكِيَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَالطَّعْنُ فِي تَزْكِيَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ طَعْنٌ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ نَفْسَهُ وَهَكَذَا جَرَّهُمْ طَعْنُهُمْ فِي الْفَارُوقِ إِلَى الطَّعْنِ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَإِلَى الطَّعْنِ فِي رَسُولِ الله ﷺ لِأَنَّهُ ـ أَيْضًا ـ عَدْلُ عُمَرَ وَشَهِدَ لَهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا أُذَكِّرُكُمْ بِقَوْلِ ابْنِ سِيرِين كَمَا فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، «صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ»[1] قَالَ رحمه الله: «مَا أَظُنُّ أَنَّ رَجُلًا يَنْتَقِصُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ».

أَيُّهَا النَّاسُ ـ اعْلَمُوا أَنَّه لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مِنَ الْفَضَائِلِ الْغَزِيرَة مَا لَا يَتَّسِعُ الْمَقَامُ لِذِكْرِهَا وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا هَذِهِ الْفَضِيلَةُ الَّتِي رَوَاهَا التِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»[2] مِنْ حَدِيثِ عُقْبَة بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهُ ﷺ: «**لَوْ كَانَ نَبِيٌّ بَعْدِي، لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْـخَطَّابِ**». لَكَفَاهُ بِذَلِكَ فَخْرًا فَكَيْفَ وَفَضَائِلُهُ جَمَّةٌ غَزِيرَةٌ.

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.



(1) «**صَحِيحٌ**»: أخرجه الترمذي (3950)، وصَحَّحه الأَلْبانيُّ في «صَحِيح الترمذي» (3/ 204).

(2) «**حَسَنٌ**»: أخرجه الترمذي (3951)، وحَسَّنه الأَلْبانيُّ في «الصَّحِيحة» (327).

الفهرس

الموضوع — الصفحة

ـ المُقدِّمةُ ---------------- 5

التَّوحيد

(1) – الشِّرْكُ الأَكْبَرُ وخَطَرُهُ. ---------------- 7

(2) – التَّمائمُ والرُّقَى. ---------------- 16

(3) – ضَعْفُ الإيمانِ وعِلَاجُه. ---------------- 25

الأحْكَامُ

(4) – ذِكْرُ شَيْءٍ مِنَ الكَبَائرِ. ---------------- 35

(5) – مِنْ أَحْكام اليَمِينِ. ---------------- 46

(6) – الاستخارةُ وفوائدُها. ---------------- 54

الأدَبُ

(7) – أُسُسُ اختيارِ الزَّوْجَةِ. ---------------- 61

(8) – صَلَاحُ الأَوْلَادِ والنَّهْيُ عَن الدُّعاءِ عليهم. ---------------- 71

(9) – تعليمُ الأَطفالِ التَّوحيدَ ثُمَّ القُرْآنَ وأمرهم بالصلاة. ---------------- 80

(10) – وَصِيَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ. ---------------- 90

الموضـوع الصفحة

(11) – النَّبيُّ ﷺ في بَيْتِهِ. ---------- 100

(12) – وفاةُ النَّبيُّ ﷺ. ---------- 110

الرَّقائقُ

(13) – التَّقْوى وصِفَةُ المُتقينَ. ---------- 118

(14) – صِفَةُ المُؤْمنينَ وثَمرَاتُ الإيمانِ. ---------- 127

(15) – مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الجنَّةِ. ---------- 136

(16) – وَصْفُ الحُورِ العين. ---------- 148

(17) – ذِكْرُ الله عِبادَةُ الكائناتِ. ---------- 156

(18) – الاستغفارُ وفوائده. ---------- 166

(19) – البُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ الله والسَّبيلُ إليه. ---------- 174

(20) – الحياةُ الدُّنيْا في القُرْآنِ والسُّنَّةِ. ---------- 183

(21) – وَسْوَسَةُ الشَّياطِينَ والتَّحْصينات الإيمانيَّةُ. ---------- 192

(22) – شُكْرُ النِّعَمِ وأهمِّيَّتهُ. ---------- 202

(23) – حُسْنُ الخاتمةِ وسُوءُ الخاتمةِ. ---------- 211

الأخْلاقُ

(24) – محاسنُ العَفْوِ وإصلاحُ ذاتِ البَيْنِ. ---------- 220

الموضوع	الصفحة
(25) – فضيلةُ الصِّدْقِ والتَّحذيرُ مِنَ الكَذِبِ.	229
(26) – التَّواضُعُ وصُوَرٌ مِنْ حياته ﷺ .	238
(27) – الحَسَدُ وعلاجه.	247
(28) – التَّحذيرُ مِنَ البُخْلِ وصُوَرٌ مِنْ جُودُ النَّبِيِّ ﷺ .	256
قصصٌ وَعِبَرٌ	
(29) – قِصَّةُ مُوسَى والخَضِرِ.	267
(30) – قِصَّةُ يُونُسَ.	275
(31) – الغُلَامُ المُؤْمِنُ.	284
(32) – أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ.	292
(33) – عُمَرُ بْنُ الخطَّابِ.	302
- الفهرس.	311

